خصائص الأمة المحمدية

تأليف

السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

خصائص الأمة المحمدية

ⓒ محمد بن علوي المالكي الحسني . ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحسني ، محمد بن علوي المالكي

خصائص الأمة المحمدية. ـ ط ٢. ـ المدينة المنورة

٣٤٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨ ـ ٠٣٧ ـ ٣٨ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الترغيب والترهيب ٢ ـ الحديث ـ جوامع الفنون

أ ـ العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ٢١/١٥٢٨

رقم الإيداع: ٢١/١٥٢٨

ردمك: ٨ ـ ٠٣٧ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

خصائص الأمة المحمدية

تأليف

السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني
خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى خص هذه الأمة بخصائص وشرفها بمزايا ، منها ما انفردت به عن الأمم السابقة ، فلم يشاركها فيه مُشارك ولم يُنافسها مُنافس ، ومنها ما شاركها فيه غيرها ، ولكنها متميزةٌ عنهم بالكمال والتمام . وعلى هاتين القاعدتين تنبني كُلّ المزايا والفضائل ، وقد جمعنا هذا الموضوع في هذا السِّفر المُبارك الذي نرجو به القُربَ من الله سبحانه وتعالى والزُّلفى لديه والمشاركة في الدعوة إلى الخير وتقريبه إلى العاملين وَحثِّهم عليه .

وأول مزيّةٍ بل هي أمُّ المزايا والفضائل : رَصيدُ هذه الأُمّةِ من الإيمان ، وكمال يَقينها بالله .

* * *

(تنبيه مهم)

اعلم أنه قد جاء في هذا الكتاب جملةٌ كَبيرةٌ من الأحاديث الشريفة ، منها الصحيح والحسن ، ومنها غير ذلك من الضعيف وأنواعه . وقد ذكرناها جرياً على قاعدة العلماء في العمل بالحديث الضعيف بشروطه التي ذكرها العلماء في كتب الأصول . وقد بيَّنّاهُ مُفصّلاً في كتاب « المنهل اللطيف » وهو أنَّ الحديث الضعيف لا يُعمل به في العقائد والأحكام ، ويجوز العمل به في الفضائل والترغيب والترهيب ، وَذِكْر المناقب ، وهذا هو المعتمد عند الأئمة ، وإلاَّ فإنّ في المسألة خلافاً ، مع أن الذين أجازوا العمل به جعلوا لذلك شروطاً ذكرها الحافظ ابن حجر وهي :

١ـ أن يكون في الفضائل العملية ، كما تقدم .

٢ـ أن لا يشتدّ ضعفه ، فلا يُعمل بما انفرد به الكذاب ، والمتهم بالكذب ، ومن فَحُش غلطه .

٣ـ أن يندرج تحت أصل معمول به .

٤ـ أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته ، بل يعتقد الاحتياط .

هذا ، وقد نص على قَبول الضعيف في الفضائل الإمام النووي في « التقريب » ، والعراقي في شرحه على « ألفيته » ، وابن حجر العسقلاني في « شرح النُّخبة » ، والشيخ زكريا الأنصاري في « شرح ألفية العراقي » ، والحافظ السيوطي في « التدريب » ، وابن حجر المكي في « شرحه على الأربعين » . وللعلامة اللكنوي رسالة تسمى « الأجوبة الفاضلة » ، له فيها بحثٌ مُستفيض في ذلك ، ولسيِّدي الإمام الوالد السيد علوي بن عباس المالكي الحسني رحمه الله رسالةٌ خاصةٌ في أحكام الحديث الضعيف .

رَصيدُ الأُمّة المحمّدية من الإيمان

أمّا رصيدُ هذه الأمة من الإيمان فعظيم ، ونصيبها منه كبير ، وذلك لأنها تُؤمن بكلِّ كتابِ أنزله الله ، وبكلّ رسولٍ أرسله الله ، وبكلّ مَلكٍ خلقهُ الله بلا تفريق بين أحد . وهذا مِصداقُ قول الله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

وقد أمرنا بالإقرار بهذه الحقيقة الإيمانية الاعتقادية ، قولاً واعتقاداً في قوله سبحانه : ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

فرصيدُنا من الإيمان أكبر من غيرنا من الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، ولهذا المعنى كانت قيمة المسلم في الموازنة أعلى من قيمة غيره ، لأنّ التفاضُل إنما هو بالإيمان . ومن هنا جاز للمسلم أن يتزوّج بالكتابية ، ولم يجُز للمسلمة أن تتزوّج بغير المسلم ؛ لأنها أفضل منه بإيمانها ، أمّا إيمانه فأنقص منها .

وهناك معنىً آخرُ في هذا الباب : وهو أن المسلم إذا تزوّج بالنصرانية أو باليهودية وذكرتْ نبيَّها ، فإنه يُصلِّي وَيُسلِّم عليه مع الاحترام والتعظيم والتكريم ، بخلاف ما إذا تزوّجت المسلمة بيهودي أو نصراني ، فإنها إذا ذكرت نبيَّها محمّداً ﷺ ، لا يَبعُدُ أن يَسُبَّهُ أو يَشتمَهُ زوجُها ، أو على الأقل أن لا يرضىٰ بذلك ، ولا يقع منه موقع الرضا والقَبول .

كَمالُ يقين هذه الأُمّة

ومن شَرف هذه الأمة : أنَّ الله تعالى وفّر حظّها من اليقين بشهادة المعصوم ﷺ إذ قال : « ما أُعطِيَت أُمّةٌ من اليقين ، أفضلَ مما أُعطيتْ أُمّتي »[1] .

أي ما ملأ الله قلوب أمةٍ نوراً شرح به صدورها لمعرفته تعالى وَمُجاهدة أنفسهم على سبيل الاستقامة عليها بحيث تصير الآخرة لهم كالمُعاينة ، أفضل مما أعطيت أمتي ولا مُساوياً له ، فإنّ الأوّلين لم يَنالوا ذلك إلا الواحد بعد الواحد . وقد حَبا الله سبحانه هذه الأمة بمزيد التأدُّب وقُربِ منازلِهم غاية التقرُّب ، وسماهم في التوراة : صفوة الرحمن ، وفي الإنجيل : حُلماء عُلماء أبراراً أتقياء ، كأنهم من الفقه أنبياء . فالفضل الذي أعطيته هذه الأمّة النور الذي به انكشف الغطاء عن قلوبهم حتى صارت الأمور لهم معاينة : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران : ٧٣] قالوا : واليقين يتفاوت على ثلاث مراتب : عِلمُ اليقين ، وَعينُ اليقين ، وَحقُّ اليقين . فعلمُ اليقين : ما كان من طريق النظر والاستدلال . وعين اليقين : أن يُشاهد الغُيوب كما يشاهد المَرئيّات مشاهدةَ عِيان ، وحقُّ اليقين : هو المشاهدة مع شِدّة الالتصاق والامتزاج .

---

(١) رواه الحكيم الترمذي عن سعيد بن مسعود الكندي «كنز العمال ١٢ : ١٦٢ (٣٤٤٨٣)» .

قال السَّريُّ السَّقطيُّ : واليقين سُكونك عند جَوَلان الموارد في صدرك ، لتيقُّنك أنَّ حُزنك منها لا ينفعك ، ولا يرد عنك مَقضيّاً .

وسنذكر في أول هذا الكتاب الخصائص العامة التي مَنَّ الله بها على هذه الأمة ، ثم نذكُر بعد ذلك الخصائص التفصيلية للأعمال التعبُّدية وغيرها .

* * *

خَصائِصُ عَامّةٌ للأُمّةِ المحمّدية

أولاً ـ رَفعُ الإصر

وذلك بنص القرآن قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

والإصرُ : أَصلهُ الثِّقَل الذي يَأْصِرُ صاحبه ، فلا يقدر على التحرُّك . ومعنى ذلك : أنّ الله تعالى لم يُوجِب على هذه الأمة ـ أمة محمد ﷺ ـ شيئاً فوق طاقتهم ، ولم يجعله من شرعهم كما كان ذلك على مَن قبلهم مِن الأمم .

وذلك كبني إسرائيل مثلاً الذين كُلّفوا بجُملةٍ من الأعمال الصعْبة والتكاليف الشاقّة ، هي أشبه ما يكون بأطواق الحديد التي تحيط بالأعناق (وهي الأغلال) .

تلك الأغلال والأثقال كثيرةٌ ، فمنها :

١ـ قَطْعُ مَوضعِ النَّجاسة :

فإذا أصابت النجاسة ثوب أحدهم ، فإنه عليه أن يقطعهُ لِيطهِّرَهُ ، ولا يكفي غَسله كما أخرجه البخاري في « صحيحه »[1] . وقد زعم بعضهم

(١) صحيح البخاري كتاب الوضوء « باب البول عند سباطة قوم ».

أنه كان يجبُ قطعُ ما أصابته النجاسة ، ولو كان من الجسم اعتماداً على ظاهر رواية أبي داود وفيها :

« كانوا إذا أصابَ البَوْلُ جسَدَ أحدِهم ، قَطَعوا ما أصابه البولُ منهم »[1] .

ورواية مسلم وفيها : جِلْدَ أحدِهم ، وأَوَّلَ القُرطبي هذا : بأن المُرادَ بالجلد ، واحد الجلود التي كانوا يلبسونها .

قال الحافظ : ورواية البخاري صَريحةٌ في الثياب ، فلعل بعضهم رَواهُ بالمعنى انتهى[2] .

أمّا هذه الأمة ؛ فإنه يكفي في شرعها في مثل ذلك إراقة الماء وغسل المحلِّ فقط ، سواءٌ كان ذلك مسجداً أو ثوباً أو بدناً . كما فصَّلته كتب السُّنّة .

٢ـ عَدمُ مُؤاكلة الحائض :

وذلك أنَّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم ، لم يُؤاكلوها ولم يُخالطوها ، ولم يساكنوها في بيتٍ واحد ، بل يَتركُوها في البيت مُنْفردةً .

كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأحمد[3] . أما هذه الأمة فقد أبيح لها في دينها مُعاشرة الحائض في المأكل والمشرب والمُضاجعة ، ونهى عن النكاح والاستمتاع بما بين السُّرّةِ والرُّكْبة احتياطاً . « اِصنَعُوا كُلَّ شيءٍ إلاَّ النِّكَاحَ »[4]

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، «باب الاستبراء من البول».
(٢) فتح الباري (١/ ٣٣٠).
(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٢٦٨).
(٤) رواه مسلم في صحيحه. «باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد» .

وهكذا رَاعىٰ الإسلام بهذا الحكم ميولَ الإنسان وبشريته ، بجانب نورانيَّته وروحانيَّته ، فيرابط بين نزوة الجسد العارضة وغاية الروح . وهذا المنهج الراقي في معاملة الإنسان ، هو الذي يتلاءم مع الفِطْرة كلِّها ، لأنه مِن صُنع خَالقِ هذه الفطرة .

٣ـ تَعيينُ القِصاص في العَمد والخطأ :

فقد كان متحتِّماً على بني إسرائيل القصاص حتى في الخطأ ، ولم تكن فيهم الدية في نَفْسٍ أو جُرح . كما جاء في الصحيح[١] .

وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة : ٤٥] .

فخفَّفَ عن هذه الأمة بمشروعية الدِّية بدلاً عن القتل ، لمن عفا من الأولياء بقوله تعالى لهذه الأمة : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة : ١٧٨] .

٤ـ قَتلُ النَّفْسِ بالتَّوبة :

وذلك أنهم لما عبَدوا العِجْل ؛ بيّن لهم موسى عليه السلام طريق التوبة بعد العزم عليها ، وهو أن يقتل البَريءُ منهم المُجرم : ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة : ٥٤] .

وذلك أيضاً هو طريق التوبة في جُملةٍ من المعاصي ، يكون بقطع

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات، «باب من قتل له قتيل فهو بخير الناظرين» (٢٠٥/١٢).

الأعضاء الخَاطئة كاللسان في الكذب ، والذَّكَر في الزنا ، وَفقْءِ العين في النظر للأجنبية[1] .

أمّا الأمة المحمّدية ؛ فإنَّ الله سبحانه سَهَّل لها طريق التوبة ، وأخبر أنه يقبلها وَيعفُو عن السيّئات ، وأنه يَفرحُ بها أشدَّ من فَرح الأمِّ بولدها الرضيع الغائب عنها : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ١١٠] .

٥ـ افتضَاحُ أصحَابِ المعاصي منهم :

فقد كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً ، أو فَعل معصيةً ، فإنه إذا أصبح يجدُ مكتوباً على باب داره : فلانٌ فعل كذا وكذا . وكفارتها كذا وكذا ، ويرى ذلك الخاصّ والعامّ[2] .

أمَّا الأمّةُ المحمدية ؛ فإنَّ الله تفضَّل عليها بالسَّتر ، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كُلُّ أمَّتي مُعَافَىً إلاَّ المُجَاهِرينَ ، وإن من الجهار أن يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصبِحُ وقَد سَترهُ اللهُ تعالى فيَقُولُ : يا فلانُ عَمِلْتُ البَارِحةَ كَذَا وكذا ، وقد بَات يستُرهُ رَبُّهُ ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ » . متفق عليه .

٦ـ المُؤاخذَة بحديثِ النفس مما لم تَعملهُ الجوارح :

وذلك أنَّ الله تعالى ما بعث من نبيٍّ ولا أرسل من رَسولٍ أنزل عليه الكتاب ، إلاَّ أخبره أنه سَيُحاسِبُ عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم فكانت الأمّةُ تأتي على أنبيائها ورسلها ويقولون : نُؤاخَذ بما

---

(١) المواهب اللدنية (٥/ ٣٨١).
(٢) الخصائص النبوية للسيوطي (٣/ ٢٠٤).

تحدِّث به أنفسنا ولم تَعملهُ جوارحنا ، فيكفرون ويقولون : سمعنا وعصينا .

ولما قال المؤمنون من هذه الأمة : سمعنا وأطعنا وأسلمنا وآمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله ، طمأنهم الله تعالى بأنه تجاوز عنهم حَديث النفس ، إلاَّ ما عَملت الجوارح : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ـ من خير ـ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ـ من شر ـ﴾ [البقرة: ١٣٤] .

٧ـ المُؤاخذَةُ على الخَطأ والنِّسيَان :

وذلك بتعجيل عُقوبته من تحريم شيءٍ من مَطعمٍ أو مَشْربٍ ، عقوبةً على حسَب ذلك الذنب من كبر وصغر .

أمَّا الأمةُ المحمدية ؛ فإن الله وضَعَ عنها الخطأ والنِّسيانَ وما اُستُكرِهوا عليه ، كما ثبت في الحديث الذي رواه أحمد وابن حِبّان والحاكم وابن ماجه والطبراني والدارقطني بأسانيدَ جيدةٍ ، وَحَسَّنه النووي[1] .

٨ـ تَحريمُ اشتغَالِهم يَوم عِيدهم :

وهو يوم السبت ، إذ أُخذ عليهم العهدُ والميثاق بتعظيم يوم السبت ، والقيام بأمره وعدم اشتغالهم وعملهم فيه ، ولذلك لما خَالفوا وتحيلوا على اصطياد الحيتان فيه ؛ قال الله لهم عقاباً : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة : ٦٥] ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف : ١٦٣] .

---

(١) المواهب اللدنية (٢/ ٧١٧). الخصائص (٣/ ٢٠٢).

أمّا الأمةُ المحمدية : فإنَّ الله تعالى رفع عنهم هذا الإصر ، فهم يَتعاملون حتى في يوم عيدهم يوم الجمعة ، قبل الصلاة وبعدها : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة : ٩ـ١٠] .

٩ـ الطَّاعون عَذابٌ على الأُمم السَّابقة :

وقد أخبرنا ﷺ أنه كان رِجْساً وعذاباً أُرسل على طائفةٍ من بني إسرائيل وغيرهم . أمّا هذه الأمةُ ؛ فإن الله جعله رَحمةً بهم وشَهادةً لهم . كذا في الصحيح[١] .

١٠ـ تَحرِيمُ بعض الطيبات من الأَطعمة :

وهذا كان من العُقوبات التي عَاقب بها الله بني إسرائيل بسبب بَغْيهم وَظُلمهم وَتَلاعُبهم بشرائع الله ، وأشَرَتِهم التي جعلتهم يأخذون عَرض هذا الأدنى ويقولون : سيغفر لنا ، قال الله تعالى : ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ [النساء : ١٦٠] .

وقد بَيّن الله تعالى أنواع ما حَرّمهُ عليهم ، وهو :

١ـ كُلّ ذي ظُفْرٍ ـ أي : ما ليس بمنفرج الأصابع ـ من البهائم والطير ، كالإبل والنَّعام والإوز والبط ، فهي عليهم حَرام .

٢ـ الشحم : ـ أي : المادة الدهنية التي تكون في الحيوان ـ فهو عليهم حَرامٌ في البقر والغنم ، وأباح لهم منها الشحوم المختلطة بالعظم ،

---

(١) المواهب اللدنية (٢/ ٧٢١)، الخصائص (٣/ ٢٢١).

وكذا ما يحويه البطن ، وكذا ما علق بالظَّهر من الشحوم كما في آية الأنعام[1] .

أمّا الأمةُ المحمدية ؛ فإنَّ الله تعالى أباح لها كُلّ طيّب : ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائدة : ٥] ، ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] وحرم عليها كل خبيث ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

١١ـ تَحرِيمُ الغَنائم عليهم :

فكانوا إذا اغتنموا شيئاً من أعدائهم ، لم يحل لهم أن يأخذوه ويتصرفوا فيه ، بل يجمعونه وتنزلُ نار من السماء فتحرقه ، فيكون ذلك علامةَ قبول غزوتهم[2] ، كما قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ﴾ [آل عمران : ١٨٣] .

أمّا الأمّةُ المحمدية ؛ فإنَّ الله لشَرف نبيها عنده ، أحل لهم الغنائم كما ثبت في الحديث الصحيح المتفق عليه ، وجعلها حلالاً مباركاً : ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال : ٦٩] .

١٢ـ تَحريمُ الصَّلاةِ عليهم إلاَّ في مَواضعَ مَخصُوصة :

وذلك أن من مضى من الأمم ، كانوا لا يُصلّون إلاَّ في أماكنَ مخصوصةٍ ، كَالبِيَع والصوامع والكنائس ، فمَن غَاب منهم عن موضع صلاته ، لم يجز له أن يُصلِّيَ في غيره من بِقاع الأرض حتى يعود إليه ، ثم يقضي كُلّ ما فاته[3] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٠٠).

(٢) المواهب اللدنية (٢/ ٧١٠).

(٣) فتح الباري (١/ ٤٣٦).

وعند البزار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : ولم يكن أحدٌ من الأنبياء يُصلّي حتى يبلغَ محرابه[1] .

أمّا الأمّةُ المحمّدية ؛ فإنَّ الله جعل لها الأرض مسجداً ، أي موضع صلاة لا تختص الصلاة منها بموضع دون غيره كما ثبت في الصحيح[2] .

١٣ـ تَخصِيصُ الطَّهارة بالماء :

وذلك أنَّ مَن مضى من الأُمم ، كان في شرائعهم وجوبُ الاقتصار على الماء في الطهارة ، وعدمُ جواز الاكتفاء بغيره ، فإذا عَدِمَ أحدُهم الماءَ ، لم يُصَلِّ حتى يَجدهُ ثمّ يقضي ما فاته .

أمّا الأمّة المحمّدية ؛ فإن الله تعالى جعل لها الأرض طهوراً ، فأيُّما رجل أتى الصلاة ولم يجد ماءً ، وجد الأرض طهوراً كما ثبت في الصحيح[3] .

* * *

---

(١) فتح الباري (١/٤٣٨).
(٢) صحيح البخاري ـ كتاب التيمم.
(٣) فتح الباري (١/٤٣٨)، والمواهب اللدنية (٢/٧١١).

ثانياً ـ الإكرامُ بالرَّحمةِ الخاصَّة

ومن خصائص هذه الأمة : إكرامهم في الآخرة بالرحمة الخاصة ، وذلك بنص القرآن الكريم .

فقد وصف القرآن الكريم هذه الأمّة المحمّدية بأنه جعل السابقَ منهم سابقاً ، والمُقْتصدَ لاحقاً ، والظالمَ لنفسه مغفوراً له . قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾

[فاطر : ٣٢ـ٣٥] .

ومعنى هذا : أنَّ الحق سبحانه وتعالى قَسَّم هذه الأُمّة إلى ثلاثة أنواع :

الأول : أشار إليه بقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ وهو المُفَرِّط في فعل بعض الواجبات ، المُرتكِبُ لبعض المنهيّات ، وهو الذي خَلط عملاً صالحاً وآخر سيّئاً .

الثاني : أشار إليه بقوله : ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ وهو المؤدّي للواجبات التَّارِكُ للمُحرَّمات ، وقد يَتركُ بعض المُستَحبّاتِ ، ويفعل بعض المكروهات .

الثالث : أشار إليه بقوله : ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ وهو الفَاعل للواجبات ، التَّاركُ للمحرَّمات والمكروهات ، وبعض المباحَات .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « السَّابِقُ بالخيراتِ يدخُلُ الجنَّةَ بِغيرِ حسابٍ ، والمُقْتصِدُ يدخلُ الجنَّةَ برحمةِ الله ، والظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يَدْخُلُ الجنَّة بشفاعةِ سيِّدِنا محمَّدٍ ﷺ » ، وكذا رُوِيَ عن غير وَاحدٍ من السلف ، وجاء مَا يُؤيِّده في السُّنّة بِطُرقٍ جَيِّدةٍ ثابتة .

فمن ذلك : ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣٢] فأمّا الذين سبقوا ؛ فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا ؛ فأولئك الذين يُحاسبون حساباً يسيراً ، وأمَّا الذين ظلموا أنفسَهم ؛ فأولئك الذين يُحبَسُون في طول المحشر ، ثم هم الذين تَلافاهم الله برحمته ، فهم الذين يقولون بعد ذلك : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] . صدق الله العظيم .

قُلْتُ : هو المناسِبُ لسياق الآية الشريفة ولحال الظالم لنفسه ، فإنه إذا حُبِسَ في المحشر لنقصان حاله عن السابق والمقتصد ، أصابه حينئذ الهَمُّ والحَزنُ والغَم ، فإذا تَداركه الله برحمته ودخل الجنة ، تذكّر ما كان عليه فقال : الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزَن ، لأنّ الله تعالى بعد أن ذكر الأصناف الثلاثة وذكر أنهم يدخلون الجنة ، ذكر بعد ذلك أنهم يقولون : الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزن . ولا يُتصور أن يُصيب السابق أو المقتصد حَزنٌ ، لأنهم لا يحزنهم الفَزعُ الأكبر . فبقي الصِّنفُ الثالث ، وهو الظالم لنفسه ، ولهذا كانت هذه الأمّة أمّة مرحُومةً ، كما قال محمد ابن الحنفيّة رضي الله عنه : إنها أمةٌ مرحُومةٌ ، الظالمُ مغفورٌ له ،

والمُقتصِدُ في الجنّات ، والسَّابقُ في الدرجات . رواه الثوري وغيره .

وهذا كله من محض فضل الله سبحانه وتعالى الذي شمل الأنواع الثلاثة ، إذ كلهم انتهى إلى الجنة وإلى النعيم ، على تَفاوت في الدرجات ، وهو يشهد بكرامة هذه الأمة على الله . وهذه الكرامَةُ ليست رَخيصةً أو سَهلةً ، لأنَّ الله سبحانه أخبر قبل ذلك أنه اصطفى هذه الأمة لوِرَاثة الكتاب والقيام به فقال : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ﴾ [فاطر : ٣٢] فجعل في مُقابلة هذه الكرامة الأخروية العظمى ، التّبِعة الكبرى والمسؤوليّة الناشئة عن هذا الاصطفاء وعن تلك الوراثة ، وهي تَبِعةٌ ضَخمةٌ ذاتُ تكاليف وإلزامات .

فهو إذن : إكرامٌ بالفضل في الجزاء ، حتى لمن أَساء ، وتقليدٌ بأمانة الوراثة للكتاب والاصطفاء .

* * *

ثالثاً ـ جعلهم أُمّةً وسطاً

ومن خصائص هذه الأمة : أنهم هُم الأمة الوسط ، وأنهم هم الشُّهداء على الناس بنص القرآن : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وقد جاء ذِكرُ هذه المنقَبة والخصوصيّة في أثناء الكلام عن القبلة ، كما قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] ، ثم قال بعدها : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وَحاصِلُ الأمر أنه قد كان ﷺ يستقبل في المدينة المنورة بيت المقدس ، وكان يُكثر الدعاء والابتهال أن يُوجّهَ إلى الكعبة التي هي قِبلة إبراهيم عليه السلام فأُجيب إلى ذلك وَأُمِرَ بالتوجُّه إلى البيت العتيق . ولما وقع هذا التحويل ، حصل لبعض الناس من أهل النِّفاق والريب ، والكفرة من اليهود ، ارتيابٌ وزيغٌ عن الهُدىٰ وتخبُّطٌ وشَكٌّ ، وقالوا : ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ﴾ [البقرة : ١٤٢] ، فأنزل الله جوابهم في قوله : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة : ١٤٢] .

ثُمَّ بَيّن لهم أنه كما أنعم عليهم بالهداية إلى الصراط المستقيم ، كذلك أنعم عليهم بأن جعلهم أُمّةً وسطاً ، والوسط أيضاً : هو الخطُّ المستقيم والطريق المستوي ، وهذا ما تقتضيه الحِكمَةُ من كونه سبحانه هَداهم إلى الصراط المستقيم وجعلهم أمّةً (وسطاً) ، أي على صراطٍ مُستقيمٍ ،

أي : عُدولاً خِياراً ، لأنَّ الوسط حَقيقةٌ في البُعْدِ عن الطَّرفين ، ولا شك أنَّ طَرفي الإفراط والتفريط رديئان ، فالمتوسِّط في الأخلاق يكون بعيداً عن الطرفين ، فكان مُعتدلاً فَاصلاً .

وهكذا يُحدِّثنا القرآن عن حقيقة هذه الأمّة في الكون ، وعن وظيفتها في هذه الأرض ، وعن مكانها العظيم في هذه البشرية ، وعن دورها الأساسي في حياة الناس ، مما يقتضي أن تكون لها قِبلتُها الخاصةُ ، وشَخصيَّتُها الخَاصة ، وذاتيَّتُها المستقِلّة ، إنها الأمّة الوسط التي تَشهدُ على الناس جميعاً في الدنيا والآخرة .

فأمّا في الدنيا : فإنها سَمعت أخبار كُلِّ الأمم السابقة في كتابها الأكبر الذي هو القرآن ، أو عن نبيِّها المصطفى ﷺ فيما جاء عنه ، فتسمع أخبار العُصَاة والمطيعين ، والمصدِّقين والمكذِّبين ، وَجزاءَ كُلٍّ ، وتسمع أخبار الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، وأعمالهم وجهادهم ، وتضحيتهم وما لاقَوا من عَنتٍ وَتعبٍ ومشقةٍ ، ثم تُبدي رأيها فيهم وتزن قيمتَهم ، وتصوراتِهم ، وتقاليدَهم وشعاراتِهم ، فتفصِّل في أمرها وتقول : هذا حَقٌّ منها ، وهذا بَاطل .

وأمّا في الآخرة : فإنه إذا كان يوم القيامة ، ووقف الناس للسؤال يقال لكلِّ أمةٍ : هل بَلَّغكم رسولُكم؟ فيقولون : لا ، فيُقال للرسول الذي أُرسِلَ إليهم : هل بَلَّغت قومك؟ فيقول : نعم ، فَيُقال : مَن يَشهَدُ لك؟ فيقول : محمّد وأمّتُه ، فيُدعى محمد وأمته فيقال لهم : هل بَلَّغ هذا قومه؟ فيقولون : نعم ، فيقال لهم : وما أدراكم؟ فيقولون : جَاءنا نبيّنا فأخبرنا أنَّ الرُّسُلَ قد بلّغوا ، فذلك قوله : ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

* * *

رابعاً ـ يُسْرُ الشَّريعة المحمّدية

ومن خصائص هذه الأمة : أنَّ شريعتها أيسرُ الشرائع ، وذلك بنصِّ القرآن ، فما من فريضةٍ من الفَرائض إلاَّ ويسّرها الله سبحانه وتعالىٰ ، بفتح باب الرخصة والعُذْر فيها . فَخُذ مثلاً الصلاة ، وهي أهم وأعظم الفرائض ، بل هي عماد الدين وأساسه المتين . فإنها مع ذلك ؛ جعل الله تعالى لها أحكاماً خاصةً تختلفُ عن الحكم الأصلي لها ، مُراعاةً لظروفٍ خاصةٍ في أحوالٍ خاصة ، كالمرض والسفر والحرب ، وفي حالةِ عدم وجود اللباس الساتر ، أو عدم معرفة القِبلة ، أو نسيانها ، أو النوم عنها .

وهذا التَّيسيرُ هو الصِّفَةُ العامة لهذه الشريعة المُطهَّرة ، قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقال ﷺ : « إنَّ اللهَ رَضِيَ لهٰذه الأمَّةِ اليُسْرَ ، وكَرِهَ لها العُسْرَ » رواه الطبراني برجال الصحيح .

وروى أحمد في « مسنده » عن حذيفة قال : سجد ﷺ فلم يرفَع رأسه حتّى ظننّا أنّ نفسَه قُبِضَت ، فلمّا فَرغ قال : « رَبِّي ٱسْتَشَارَني » (الحديث) ، وفيه : « وأحَلَّ لنا كَثيراً مِمّا شَدَّدَ على مَنْ قَبْلَنا وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا في الدُّنيا مِنْ حَرَجٍ فَلَمْ أَجِدْ شُكْراً إلاَّ هٰذِهِ السَّجْدَة »(١) .

---

(١) المواهب اللدنية (٣٨٢).

وكان ﷺ يفتخر بهذه النعمة تَحدُّثاً بنعمة الله ويقول : « إنِّي بُعِثْتُ بالْحَنيفيَّةِ السَّمْحَةِ »[1] .

ويوصي بذلك بُعوثَه وَرُسله فيقول لهم : « بَشِّروا ولا تُنَفِّروا ويَسِّروا ولا تُعَسِّروا »[2] .

وهذه هي القاعدة الكُبرى في تكاليف هذه العقيدة كلها ، فهي ميسرةٌ ولا عُسر فيها ، وهي توحي للقلب الذي يتذوقها بالسهولة واليسر في أخذ الحياة كلها ، وَتطبَعُ نفس المسلم بطَابعٍ خَاصٍّ من السَّماحة التي لا تَكلُّفَ فيها ولا تعقيد مما كان على من قبلهم من الأمم .

* * *

(١) رواه أحمد بسند حسن. (كشف الخفاء ٢١٧).

(٢) رواه أحمد والشيخان.

خامساً ـ كَمالُ الشريعةِ المُحمديّة

ومن خصائص هذه الأُمّةِ : أنَّ شريعتها أكملُ الشرائع ، وذلك بنص القرآن .

قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

وهذا إعلانٌ صريحٌ من الحق سبحانه وتعالى بإكمال العقيدة وإكمال الشريعة ، فلا نَقص يستدعي الكمال ، ولا قصور يستدعي الإضافة ، ولا مَحلِّيّة أو زمانية تستدعي التطوير أو التحوير ، وهذا الكَمالُ هو من حَتميّاتِ العُمُوميةِ المكانيةِ والزَّمانية في هذه الرسالة ، وذلك لأنَّ كُلّ رَسُولٍ قبل خاتم النبيين ، إنما أُرسِل لقومه في عصره ، فهي رِسَالةٌ خاصةٌ لمجموعةٍ خاصةٍ في بيئةٍ خاصةٍ في زَمنٍ محدود ، فكانت أحكامها وشرائعها متكيفةً ومحكومةً بتلك المقتضيات والظروف ، لتناسِبَ حالة الجماعة وحالة البيئة وحالة الزمان .

لكن لما كان النبي ﷺ سيدنا محمد أُرسِل لكافة الناس ، فهي رسالةُ الإنسان في كُلِّ زمانٍ وفي كلِّ مكانٍ ، التي تُخاطب فِطرته التي لا تتبدّل ولا تتحوّر ، ولا ينالها التغيير ، فطرة الله تعالى التي فَطَر الناس عليها .

فَصَّلَ في هذه الرسالة شريعةً تتناول حياة الإنسان من جميع أطرافها ، وفي كُلِّ جوانب نشاطها ، وتضع لها المبادىء الكُلية والقواعد الأساسية ، فيما يتطور فيها ويتحوّر بتغيُّر الزمان والمكان ، وجعلها

محتويةً على كُلِّ ما تحتاج إليه حياة الإنسان من ضوابط وتوجيهاتٍ وتشريعاتٍ وتنظيماتٍ لكي تستمرَّ وتنمو وتتطور ؛ وتتجدّد حول هذا المحور وداخل هذا الإطار .

سادساً ـ (نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)

ومن خصائص هذه الأمة : أنَّ نورهم يسعى بين أيديهم يوم القيامة بنصِّ القرآن .

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم : ٨] أي : إلى الجنة .

وقد وضَّحتِ السُّنّة المشرَّفة هذه الخصوصية ، كما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال : « إنِّي لأعرفُ أُمَّتي يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ ، أَعْرِفُهُمْ يُؤتَون كُتُبَهُمْ بِأَيمانِهم ، وَأَعرِفُهُم بِسِيمَاهُم في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجودِ ، وَأعرِفُهُمْ بِنُوْرِهِمْ يسْعَى بَيْنَ أَيدِيهم »[(١)] .

* * *

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح .

سابعاً - كَونهم خَير أُمّةٍ

ومن خصائص هذه الأمة : الخيرية بنص القرآن .

قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وبنص السُّنّة كما قال ﷺ : « أَنْتُمْ تُوَفُّوْنَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُم خَيْرُهَا وأَكْرَمُهَا على اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »[١] .

وقال ﷺ أيضاً : « أُعطِيتُ مَا لَم يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنبِيَاءِ ، فقلنا يا رسول الله ، مَا هُوَ؟ قال : نُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وأُعطِيْتُ مَفَاتِيْح الأَرْضِ ، وَسُمِّيْتُ أَحْمَدَ ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُوراً ، وَجُعِلَتْ أُمَّتي خَيْرَ الأُمَمِ »[٢] .

ثم ذكر الحق سبحانه وتعالى من أوصافهم المحمودة : إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الخاص والعام فقال : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وهذا أيضاً بمثابة الشرط الذي يُؤهّل للاتصاف بتلك الخيرية ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خُطبةٍ له في الحج وقد قرأ هذه الآية : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ، قال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ فَلْيؤدِّ شَرْطَ اللهِ فيها .

وهذه المنقَبةُ الجليلةُ أشار إليها ﷺ في الحديث المشهور : « لا تزال

---

(١) رواه أحمد والترمذي وحسّنه وابن ماجه.

(٢) رواه أحمد وإسناده حسن.

طَائفةٌ مِنْ أُمَّتي ظَاهِرينَ على الحقِّ لا يَضُرُّهمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتى يَأْتِيَ أَمرُ الله » ، فهو بيان إبقاء هذه الشَّعيرة في الأمة المحمّدية ولو على صُورةٍ ضَيِّقةٍ .

وهذا بخلاف أهل الكتاب ، فإنهم أهملوا هذه الشَّعيرة وتناسوها مُجاملةً ورياءً ، أو نفاقاً واستبدالاً للذي هو أدنى بالذي هو خير ، ولذلك ذمَّهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨] .

فظهر أنهم بتركهم لهذه الشَّعيرة ؛ استحقوا اللعنة من النبي داود وعيسى عليهما السلام ، وسمّىٰ فِعْلَهم معصيةً وَعُدواناً ، وهو بئس الفعل والعياذ بالله .

وتتّضح صُورة هذه الخَيريةِ الإلَهية في الأُمّة المحمدية في جَلالةٍ أكثر وَعظمةٍ أكبر ، عند ذِكْرِ ما يُقابلها بالنِّسبة لغير هذه الأمّة كاليهودية مثلاً . فإن الله تعالى لما امتدح الأمّة المحمدية بأنها خير أمةٍ أخرجت للناس ، ووصفها بأوصافٍ كريمةٍ هيأتهم لهذه الخيرية ، ذَمَّ اليهود بأقبح الصِّفات وتوعَّدهم سُوءَ المصير ، وضَرب الذِّلّةَ عليهم والمَسْكنة لكفرهم بآياته سبحانه ، وقتلهم لأنبيائه ، وتعدِّيهم حدودَه فقال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ .

وبجانب هذه الخصوصية الجليلة التي دلّت عليها هذه الآيات المباركات ، فإنها تحمل هذه الأُمّة بِشارة صادقة ـ صدقَ القرآن ـ بأن هذه الكثرة من أعدائهم لن يضروهم ضرراً بليغاً : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ [آل عمران : ١١١] أي : لا يضروكم إلاَّ ضرراً يسيراً ، كأن يُؤذوكم بألسنتهم ويلقوا الشُّبَهَ بينكم ليصدّوا مَن ضَعُفَ إيمانُه عن الحق ، وهو المراد بالأذى في

قوله : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ وهذا الضَّررُ في الواقع لا يؤدي إلى هَدم كيان الأمّة ولا يُؤَدي إلى اضمحلال قوتها ، فهو ضَمانُ حَقٍّ ووعدُ صدقٍ من الحق سبحانه وتعالى أكَّده بعده بوعد ثَانٍ ، وهو أنَّ أهل الكتاب لو قاتلوا المؤمنين الصادقين ، فإن المؤمنين سيكون لهمُ النَّصر عليهم فقال : ﴿ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [آل عمران : ١١١] .

ثم ختم هذا بوعدٍ ثَالثٍ ، وهو أنهم بعد نَصرهم عليهم ، لن تكون لأهل الكتاب ـ وعلى رأسهم اليهود ـ قوّةٌ أو شَوكةٌ للأخذ بثأرهم بعد ذلك : ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ . إلاَّ أن هذه الضمانات العظيمة التي هي بشاراتٌ كريمةٌ ، مَشروطةٌ بمحافظة الأمة الإسلامية على أصلين عظيمين أشارت إليهما الآية .

الأول : الإيمان بالله : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ ، الثاني : الدعوة إلى الخير : ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ فإذا أرادت الأمة المحمدية أن لا تُصاب من جهة اليهود بما يأتي على كيانها فعليها بإخلاص العبادة لربِّها والعملِ بسنة نبيِّها ، والتقيّد بأحكام كتابها وإعداد العُدَّةِ الكاملة لقتال عدو الله وعدوها ، فإذا لم تلتزم بذلك ؛ أصابها الضَّررُ من جهة أعدائها وأثَّر في كيانها ومكَّن عدوها منها .

إنَّ وعد الله تعالى ما تَخلَّف ولن يَتخلف ، وقد حقَّقه سبحانه لأسلافنا الصالحين الذين آمنوا بالله حقاً وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولكن المسلمين هم الذين تغيرت أحوالهم ، فقد فَرَّطوا في دينهم وأضاعوا الصلاة ، وأكلوا الربا وانغمسوا في الشهوات ، واتبعوا خطوات الشيطان وتفرّقوا شِيَعاً وأحزاباً ، وتركوا الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر ، ولم يكونوا أَشِدّاءَ على الكفار رُحَماء بينهم ولم يُعِدّوا ما استطاعوا من قُوّةٍ لقتال عدوِّهم كما كان أسلافهم من قبل ، ولم

يُحسنوا الشعور بالمسؤولية كما تُريدها تعاليم الإسلام .

أكثر حُكّامهم يَحكمون بغير ما أنزل الله وسُنَّة رسول الله ﷺ ، وأكثر عُلمائهم غَلب عليهم الحِرص على الدنيا فنافقوا وجاملوا ، أو سكتوا فتسلّط عليهم الحكّام ، فلا كَلمةَ حقٍّ تُقال ولا حُدودَ تُقَام ، ولا ضَرب على أيدي الفُسّاد والمُخرِّبين ، ولا غيرة على الحُرُمات أو المقدَّسات .

فلَمّا فعلوا ذلك ؛ تبدّل حَالهم من الخَير إلى الشر ، وسَلّط الله عليهم من لا يخافهم ولا يرحمهم ، لأنه سبحانه لا يُغَيِّر ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم ، ولئن عادوا إلى المنهج الحق ، يعود إليهم كلّ ما فقدوه ، ولئن صدقوا الله يصدقهم ، ولئن نصروه ينصرهم ، ولئن وَفوا بعهد أمانة ما ورثهم يُحقِّق لهم ما وعدهم ، ومن أصدق من الله قيلا؟ .

وإنَّ العرب في حربهم مع أعداء أنبيائه وملائكته وكتبه لمَّا تَذكر معظمُهم ربهم فرجعوا إليه ذَاكرين دَاعين مُصلِّين خَائِفين رَاجين مُعْترفين بأن النصر منه ، ثبّتهم الله بقدر رَجعتهم تلك مع ما هُم عليه في مجتمعاتهم من مُخالفةٍ لله ومحاربةٍ لأحكامه ، ومُجاهرةٍ بمعاصيه .

أقول : إنَّ العرب ـ مع ما هم عليه ـ لمّا تذكروا الله سبحانه وتعالى ولمجرَّد تذكُّرهم ، فقد تحقّق لهم خيرٌ كبيرٌ ونَصرٌ كَثيرٌ ، واندفع عنهم عارٌ خطيرٌ ووقفت معهم الدنيا محاربة ومناصرة ومؤيدة ، إمَّا بالفعل أو بالقول .

وإنّ الأمل يملأ القلوب في أن يتم البعث الإيماني الإسلامي ، فيربط الحاضر بالماضي ، ويروي حديث المجد العزيز المشهود مُتصلاً مُسنداً مرفوعاً .

* * *

ثامناً ـ كون المسيح عيسى من أَفرادِ هذه الأُمّة

إنَّ من أفراد هذه الأمة نبياً عظيماً من أُولي العزم ، وهو المسيح عيسى عليه السلام ، فإنه حين ينزل يكون من هذه الأمة اتفاقاً ، مع بقائه على نبوّته ، بل ذَهب جمعٌ من العلماء إلى أنه صحابي لاجتماعه بالنبي ﷺ ، وهو حَيٌّ مؤمناً به ومصدقاً .

وإذا نزل فإنما يَحكم بشريعة نبينا ﷺ ، فهو تَابعٌ لنبينا ﷺ ، ولذلك فإنه يُصلي مأموماً مع جَماعةِ المسلمين كما جاء في الحديث في « الصحيحين » عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كَيفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنكُمْ » .

وفي « صحيح مسلم » : «فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لَنَا ، فيقول : لا ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هٰذِهِ الأُمَّةَ » .

وفي « مسند أحمد » : « فإِذا بِعيسى فيُقال : تَقَدَّمْ ، فيقول : لِيَتَقَدَّم إِمَامُكُمْ فَلْيُصَلِّ بِكُمْ » .

وفي « سنن ابن ماجه » : « إنَّ عيسى يقول للإمام صَلِّ ، فَإِنَّها أُقِيْمَتْ لَك » .

والحَاصِلُ : أنَّ الأخبار تواترت بأن عيسى يُصلِّي مأموماً يوم ينزلُ خليفةً في الأمّة المحمدية ، وهو وإن كان واحداً من أفرادها ومن أتباع نبيّها محمد ﷺ ، إلاّ أنه رَسولٌ ونبيٌّ كريمٌ ، لا كما يَظنُّ بعض الناس أنه

يأتي واحداً من هذه الأمة بدون نُبوّةٍ وَرسالةٍ ، ويجهل أنهما لا تزولان بالموت ، فكيف بمن هو حَيٌّ وقد جاء في « الصحيحين » : « لَيُوشِكَنَّ أن يَنزلَ فِيكم ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسِطاً ، فَيَكْسرُ الصَّلِيْبَ وَيقْتُلُ الخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ » ، ويزيدُ هذا المعنى وضوحاً ، حديث عبد الله بن مُغَفّل : « يَنْزِلُ عيسى بنُ مَريَمَ مُصَدِّقاً بِمُحَمَّدٍ على مِلَّتِهِ »[1] .

وليس في الرُّسل مَن يتّبعه رَسولٌ عاملاً بشريعته تاركاً للشرع الذي أوحي به ، إلاَّ نبيّنا ﷺ ، لأنه نبيُّ الأنبياء .

* * *

(١) رواه الطبراني ونقله الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية ٥/٣٤٩.

تاسعاً ـ ثُبوت البِشَارة بالجنة لآخر هذه الأمةِ كما ثَبتت لأولها

جاء في الحديث عن أبي أُمامة الباهلي أنه ﷺ قال : « طُوبَى لِمَنْ رَآني وَآمَنَ بِي ، وطُوبَى ـ سَبْعَ مَرَّاتٍ ـ لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي » . أخرجه أحمد والبخاري في « التاريخ » وابن حبان والحاكم بلفظ : « طُوْبى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بي (مَرَّةً) ، وطُوْبَى لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي ـ سَبْعَ مرَّاتٍ ـ » وصححه الحاكم وَتُعقِّبَ ، لكن له شاهدٌ من حديث أنس عند أحمد .

وروى الطيالسي وعبد بن حُميد عن ابن عمرَ قال : سُئِل رسول الله ﷺ فقيل : أرأيتَ مَنْ آمَنَ بك ولم يَرَكَ وصَدَّقَكَ ولم يَرَكَ ، قال : « أُولٰئِكَ إِخْوَانِي أُولئِكَ مَعي ، طُوبى لِمنْ رَآنِي وَآمَنَ بي ، طُوْبَى لِمَنْ آمَنَ بي وَلَمْ يَرَني ـ ثلاثَ مرات ـ » .

وروى الطبراني برجال ثقات والحاكم عن عبد الله بن بُسر مرفوعاً : « طُوْبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ، وَطُوْبَى لِمَنْ رَأى مَنْ رَآني ، وَطُوْبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي ، طُوْبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ » .

وجاء في حديث أخرجه أحمد وابن حبان زيادةٌ ، وهي : أنه سُئِل ﷺ : وما طُوبىٰ؟ فقال : « شَجَرةٌ في الجنَّةِ » .

وبهذا ثَبت فَضلُ الإيمان به ﷺ أوّلاً وآخراً لهذه الأمة .

* * *

عاشراً ـ ثُبوت الفَضل لآخر هَذه الأُمّة كما ثبت لأوّلها

تثبت بالاتفاق أفضلية عصره ﷺ ويدلّ على ذلك ما جاء في « الصحيحين » وغيرهما : « خيرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوْنَهُمْ ثُمَّ الَّذينَ يَلُوْنَهُمْ » .

قال العلماء : المقصود بذلك عصر الصحابة ومدتهم من البعثة مائة وعشرون سنة ، أو دونها بقليل أو فوقها بقليل على الخلاف في وفاة آخر الصحابة موتاً أبي الطُّفيل .

وقوله : « ثم الذين يلونهم » أي : القرن الذين بعدهم ، وهم التابعون ، ومدتهم نحو سبعين أو ثمانين سنة إن اعتبر من سنة مائة .
وقوله : « ثم الذين يلونهم » وهم أتباع التابعين نحواً من خمسين إلى حدود عشرين ومائتين ، وهذا يَدُلُّ على أنَّ أول هذه الأمة أفضل من كُلِّ من يأتي بعده ، وذهب أبو عمر بن عبد البر أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة أفضلُ ممن كان في جُملَةِ الصحابة .

جاء عن عمر بن الخطاب قال : كنتُ جالساً عند رسول الله ﷺ فقال : « أَتدرُونَ أَيُّ الخَلْق أَفْضَلُ إِيْمَاناً؟ قلنا : الملائكة ، قال : وحُقَّ لهم ، بل غيرهم ، قلنا : الأنبياءُ ، قال : وحُقَّ لَهُمْ ، بَلْ غَيْرُهُم .

قال ﷺ : أفضَلُ الْخَلْقِ إيماناً ؛ قَوْمٌ في أَصْلاَبِ الرِّجَالِ يُؤْمِنُونَ بي ولَمْ يَروْنِي ، فَهُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ إِيْمَاناً »[١] .

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن ، وأبو داود الطيالسي ، وحسنه ابن عبد البر .

وجاء أيضاً عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال : يا رسول الله : « هَلْ أَحَدٌ خَيرٌ مِنَّا أسلمْنَا معك وجاهَدْنَا معك ، قال : قومٌ يَكُونُونَ مِن بَعدِكُمْ يُؤْمِنونَ بي وَلَمْ يَرَوْنِي »[1] .

ونحن لا نُحبُّ أن نتعرَّض إلى الخلاف الجاري بين العلماء في قضيّة التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل الأعمال ، غير أنَّ ذلك لا يمنعنا من القول بأنَّ مُشاهدة رسول الله ﷺ وَرُؤيته ، لا يَعْدلها شيء .

* * *

(١) رواه أحمد والطبراني وصححه الحاكم .

الحادي عشر ـ وُجود قَبر نبيِّنا ﷺ بالتَّعيين

ومن فَضل الله الذي شرّف به هذه الأمَّة فامتازت به على من سواها من الأمم ، أنَّ قبر نبيّنا وسيّدنا محمّد ﷺ مَعلومٌ عندنا بيقين وتواتر ، لا شَكَّ في ذلك ولا ريب . فَتردُ الناس في كُلِّ وقتٍ وَحين ، وتتكبّد مشاقّ السفر وعناءه إلى قبره الشريف ، مع امتلاء قلوبهم بالعلم التامّ واليقين الكامل على أنه ﷺ في هذا المكان المشهود ، وهذه حُجُراتُه المعروفة ومساكن زوجاته ، وهذه روضته المطهَّرة .

هذا الشرفُ والفَضلُ لم يثبت لنبيٍّ غيره ﷺ ، ولا لأُمَّةٍ غير الأُمّةِ المُحمّدية .

وفي هذا يقول ابن حجَر :

ولـمْ تُعلَـمْ مقـابـرُهُـم بـأرضٍ   يقينـاً غيـر مـا سكـنَ الـرَّسـولُ

وقال الإمام مالك رضي الله عنه للمهدي : يا أمير المؤمنين ، إنك تَـدخـل الآن المـدينـة فتمـرُّ بقـوم عـن يمينـك ويسـارك ، وهـم أولاد المهاجرين ، فَسلِّم عليهم ، فإنه ما على وجه الأرض قَومٌ خَيرٌ من أهل المدينة ، ولا خَير من المدينة .

فقال له : ومن أين قُلتَ ذلك يا أبا عبد الله؟ قال : لأنه لا يُعرَفُ قبرُ نَبيٍّ اليوم على وجه الأرض ، غيرُ قبر محمّد ﷺ ، ومَن قَبرُ محمّدٍ عِنْدَهم ، فينبغي أن يُعْلَمَ فضلهم على غيرهم[١] .

---

(١) كذا في «ترتيب المدارك».

فالقبر الشريف موضع تَنَزُّلِ الرحمة الإلٰهية كما جاء في الحديث عن كعب رضي الله عنه : « مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إلاَّ وَيَنْزِلُ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنَ الْمَلائِكَةِ حَتَّى يَحُفُّوا بالْقَبر يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلى النَّبيِّ حَتَّى إِذَا أَمْسَوا عَرَجُوا وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلفاً حَتَّى يَحُفُّوا بِالقَبْرِ يَضْرِبُونَ بِأَجنِحَتِهِمْ فَيُصَلُّونَ على النَّبيِّ سبعونَ ألفاً باللَّيْلِ وسبعون ألفاً بالنَّهارِ »[1] .

* * *

(١) رواه الحافظ إسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي ﷺ » .

الثاني عشر - ذِكْرُ الأُمّةِ المُحمّديةِ في الكُتبِ السَّابقة

قال الله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وأخرج الدارمي في « مسنده » وابن عساكر عن كعب قال : في السطر الأول : محمد رسول الله عبدي المختار ، لا فَظٌّ ولا غَليظٌ ولا سَخَّابٌ في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يَعْفُو ويصفحُ ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة ، وملكه بالشام . وفي السطر الثاني : محمد رسول الله ، أمته الحمَّادون يحمدون الله في السَّرَّاء والضَّرَّاء ، يحمدون الله في كل منزل ويكبِّرونه على كُلِّ شَرَفٍ ، رُعَاة الشمس يصلّون الصلاة إذا جاء وقتها ، ولو كانوا على رأس كُناسة[١] ، ويأتَزِرون[٢] على أوساطهم ، ويوضِّئون أطرافهم ، وأصواتُهم بالليل في جو السماء كأصوات النَّحل .

وفي رواية أخرى عند الدارِمي وابن سعد وابن عساكر زيادةٌ وهي : « يصُفّون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم ، دَوِيُّهم في مساجدهم كَدوِيّ النَّحْل ، يُسمع مناديهم في جو السماء » .

---

(١) مزبلة .

(٢) يشدون الأُزُر .

وفي روايةٍ عند الزبير بن بكّار وأبي نُعيم زيادةٌ : « أناجيلهم في صدورهم ، قُربانهم الذي يتقربون به إليَّ دماؤه ، رُهبَانٌ بالليل لُيوثٌ بالنهار » .

وفي روايةٍ عن أبي هريرة عند أبي نُعيم : جاء في أوصاف هذه الأُمَّة في التوراة : أنهم الآخرون السابقون ، المستجيبون المُستجاب لهم ، أناجيلهم في صدورهم يقرؤونه ظاهراً ، يأكلون الفيء ، يَجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها ، إذا همَّ أحدهم بحسنةٍ فلم يعملها كُتبت له حَسنةٌ واحدة ، وإن عَمِلها كُتبت له عشر حسنات ، وإذا هَمّ أحدهم بسيئةٍ فلم يَعملها ، لم تُكتب ، وإن عملها كُتبت سَيئة واحدة ، يُؤتَون العلم الأول والآخر ، فيقتُلون قرون الضلالة والمسيح الدجال .

وفي روايةٍ عن كعب الأحبار عند أبي نُعيم أيضاً : جاء في وصف هذه الأُمة أنها خير أمّةٍ أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والآخر ، إذا أرادوا أمراً قالوا : نفعله إن شاء الله ، الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد ، غُرٌّ مُحجّلون من آثار الوضوء ، أمة مرحومةٌ ضُعفاء ، يؤتَون الكتاب ، اصطفيتهم ، فمنهم ظالمٌ لنفسه ، ومنهم مُقتصد ، ومنهم سَابقٌ للخيرات ، لا يدخل النار منهم إلاَّ من بَرِىء من الحسنات مثل ما برىء الحجر من ورق الشجر .

وفي رواية عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن كعب أخرجها أبو نُعيم أيضاً : إذا غزَوا في سبيل الله ، كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد ، وإن حضروا الصّفَّ في سبيل الله ، كان الله عليهم مُظلّلاً » .

وفي روايةٍ عن أنس مرفوعاً أخرجها أبو نعيم في « الحلية » أيضاً : إنَّ الجنة محرَّمةٌ على جميع الخلق حتى يدخلَها (أي : محمدٌ ﷺ) وأمته

صائمون بالنهار ، رهبانٌ بالليل ، أَقبَلُ منهم اليسير ، وَأُدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله .

وفي روايةٍ عن وهب بن مُنبِّه أخرجها ابن أبي حاتم وأبو نُعيم : جاء في وصف الأمة المحمدية ما يأتي : أنَّ الله جلَّ جلاله قال : أُلهمهم التسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد ، في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم ، هم أوليائي وأنصاري ، أنتقم بهم من أعدائي عبدةِ الأوثان ، يصلّون لي قياماً وقعوداً وَرُكّعاً وسجوداً ، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ٱبتغاء مرضاتي ألوفاً ، ويقاتلون في سبيلي صفوفاً وَزُحوفاً . ثم قال : أجعلهم أفضل الأمم ، وأجعلهم أمةً وسطاً شُهداء على الناس ، إذا غضبوا هَلّلوني ، وإذا قبضوا كبَّروني ، وإذا تنازعوا سبّحوني ، يُطهِّرون الوُجوه والأطراف ، ويشدّون الثياب إلى الأنصاف ، ويهللون على التِّلال والأشراف .

وروى البيهقي عن وهب بن مُنبه وفيه : أنَّ الله سبحانه وتعالى قال : أمتهُ ـ يعني محمداً ﷺ ـ مرحومةٌ أعطيتُهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وٱفترضت عليهم الفرائض التي ٱفترضتُ على الأنبياء والرسل ، حتى يأتوني يوم القيامةِ ونورهم مثلُ نُور الأنبياء .

* * *

الثالث عشر ـ أنَّ هذه الأمَّة لا تجتمعُ على ضَلالة

اختص الله هذه الأُمة بأن لا تجتمع على ضَلالة ، ونشأ من ذلك أنَّ إجماعهم حجّةٌ ، وبأن اختلافهم رحمةٌ ، فكان اختلاف من قبلهم عذاباً .

أخرج أحمد والطبراني عن أبي بصرة الغِفاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « سألتُ الله أن لا يَجْمَعَ أُمَّتِي على الضَّلالة ، فأَعطانِيها . وسألته أن لا يُظْهِرَ عليهم عَدُوّاً ، فأعْطَانِيها » . الحديث .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « لا يَجْمَعُ الله أُمَّتِي عَلى الضَّلالةِ أبداً » .

وأخرج الشيخ نصر المقدسي في « كتاب الحُجّة » قال رسول الله ﷺ : « اختلافُ أمَّتي رَحمةٌ » .

وهذا الحديث رواه أيضاً الديلمي في « مسند الفردوس » عن ابن عباس مرفوعاً .

وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله لا يَجْمَعُ أُمَّتِي ، أو قال : أمةَ مُحَمدٍ عَلَى ضَلالَةٍ ، ويَدُ الله على الجَماعةِ ، ومن شَذَّ شذّ في النَّار » .

وروى أبو داود عن أبي مالك الأشعري عن رسول الله ﷺ قال : « قَدْ أَجَارَكم الله من ثلاثِ خِلالٍ ، ذكر منها : وَأَنْ لا تجتمِعوا على ضَلاَلَةٍ » .

* * *

الرابع عشر ـ أنَّ الله لا يُهلك هَذه الأُمَّةَ بِجُوعٍ ولا غَرقٍ

اختص الله هذه الأُمَّة بأن لا يُهلكها بجوعٍ ولا بغَرقٍ ولا يُعَذَّبوا بعذابٍ عُذِّب به مَن قبلهم ، ولا يُسلطَ عليهم عدوّاً غيرهم فيستبيحَ بَيْضتَهم .

أخرج مسلم عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زَوى لِيَ الأرضَ فَرأيتُ مَشَارِقها وَمَغارِبها ، وإنَّ مُلكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنها ، وأُعطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ والأَبْيَضَ ، وإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتي أن لا يُهلِكَهَا بسَنَةٍ عَامَّةٍ ولا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوا من سِوى أنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُم ، فَأَعطاني » .

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعد أن النبي ﷺ قال : « سَألتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتي بالسَّنَةِ ، فأعطانِيها ، وسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالْغَرقِ ، فَأَعْطَانِيها ، وسَأَلْتُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ، فَرُدَّتْ عَلَيَّ » .

وأخرج الدارمي وابن عساكر عن عمرو بن قيس أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إن الله أدرَكَ بِي الأَجَلَ المَرْحُومَ واختَارني اختياراً ، فَنَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يومَ القِيَامَةِ ، وَإِنِّي قَائِلٌ قَولاً غَيْرَ فَخْرٍ : إِبْرَاهِيمُ خَلِيْلُ الله ، ومُوسى صَفِيُّ الله ، وَأَنا حَبِيْبُ الله ، ومَعِي لِوَاءُ الحَمْدِ يَوم القِيَامةِ ، وإِنَّ اللهَ وَعَدَنِي في أُمَّتِي وَأَجَارَهُمْ مِنْ ثَلاثٍ : لا يَعُمُّهُمْ بِسَنَةٍ ، وَلا يَسْتَأْصِلُهُمْ عَدُوٌّ ، وَلا يَجْمَعُهُمْ عَلَى ضَلالَةٍ » .

وعند أبي داود من حديث أبي مالك الأشعري : « قَدْ أَجَارَكُمُ اللهُ مِنْ ثَلاثِ خِلالٍ : أَنْ لا يَدْعُوَ عَلَيْكُمْ نَبِيُّكُمْ فَتَهْلِكُوا جَمِيْعاً ، وَأَنْ لا يَظْهَرَ أَهْلُ البَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الحَقِّ ، وَأَنْ لا تَجْتَمِعُوا عَلَىٰ ضَلالَةٍ » .

شَرفُ الوُضوءِ وَفَضلهُ

ومن الشرف الذي ٱدخره الله تعالى لهذه الأُمَّة : ما أعدَّهُ الله من الثَّواب الجزيل والفضل الجميل على الوضوء .

فمن ذلك : أن الوضوء يطهِّر الإنسان من الخطايا وينظِّف جوارحه واحدة واحدة ، فكُلّما غسل جارحته ، خرجت منها الخطايا التي ٱقترفتها .

قال ﷺ : « مَنْ توضَّأَ وَأَحْسَنَ الْوُضوءَ ، خَرَجَتْ خطَايَاه من جَسدِه حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحتِ أَظْفَارِهِ »(١) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا توضَّأَ العبْدُ المسْلِمُ أو المُؤمِنُ فغَسَلَ وجْهَهُ ، خرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطيئَةٍ نَظَرَ إليها بعَيْنِهِ معَ الْماءِ أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماء . فإذا غسَلَ يدَيْهِ ، خرَج مِنْ يدَيهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كانَ بَطَشَتْها يَداهُ معَ الماءِ أو معَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ . فإذا غَسَلَ رِجْلَيْهِ ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاهُ مَعَ المَاءِ أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ ، حَتَّىٰ يَخرُجَ نَقِياً مِنَ الذُّنُوبِ »(٢) .

وفي روايةٍ عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

« ما مِنكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَه فَيُمَضْمِضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ ، إلاّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وفِيهِ وَخَيَاشِيْمِهِ . ثم إذا غَسَلَ وجْهه كما أَمَرَهُ الله ، إلاّ خَرَّتْ خطايا وجْههِ من أَطْرافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الماءِ . ثم يَغْسِلُ يدَيه إلىٰ المِرْفقَيْنِ ، إلاَّ خَرَّتْ خطايا يدَيه مِنْ أَنامِلِه مع الماءِ . ثم يَمْسَحُ رأسَه ، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِه معَ الماءِ . ثم يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلىٰ الكَعْبَينِ ، إلاَّ خَرَّتْ خَطايا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنامِلِه معَ الماءِ ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحمِدَ الله وَأَثْنَىٰ عليهِ وَمَجَّدَه بالَّذي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، وفَرَّغَ قَلْبَهُ لله ، إلاَّ انْصرَفَ مِنْ خَطِيْئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ كَيوْمَ وَلَدَتْه أُمُّهُ »[١] .

ومن ذلك : أنَّ الوضُوءَ على المكاره يَرفعُ الدَّرجات .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ألا أَدُلُّكُمْ عَلىٰ ما يَمْحُو اللهُ به الخَطَايا ويرفَعُ به الدَّرجاتِ؟ قالوا : بَلىٰ يا رسول الله ، قال : إِسْباغُ الوُضوءِ علىٰ المكارِهِ ، وكَثْرةُ الخُطَا إلى المساجِدِ ، وٱنْتِظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ فذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ فذلكم الرِّباطُ فذلكم الرِّباطُ »[٢] .

ومن ذلك : أنَّ الشهادة بعد الوُضوءِ سببُ دُخولِ الجنة .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضوءَهُ ثم قال : أشهَدُ أنْ لا إلٰه إلا اللهُ وحدَه لا شرِيكَ له وأنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه ، اللّهم ٱجْعَلْني مِنَ التَّوابِيْنَ واجْعَلْني مِنَ المُتَطَهِّرين ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوابُ الجنَّةِ الثَّمانيةُ يَدْخُلُها مِنْ أَيِّها شاء »[٣] .

* * *

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم والترمذي بمعناه ولم يذكر مسلم : اللهمّ ٱجعلني من التّوّابين وٱجعلني من المتطهِّرين .

فَضلُ الأَذانِ وَشَرفُ المُؤَذِّنين

ومن شَرف الأُمّةِ المحمدية : أنَّ الله ٱختصّها بالأَذان . وَقد جاء في فضله وفضل المؤذِّنين أحاديثُ كثيرةٌ تُبيِّن شرفهم وما ٱختصّهم الله تعالى به مِن مناقبَ ومزايا .

فمنها : أنَّ المؤذِّن يَشهدُ له كُلُّ مَن يَسمع صوته بالأَذان ، كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يَسْمَعُ مَدىٰ صوتِ المؤَذِّنِ جِنٌّ وَلا إنسٌ ولا شيءٌ ، إلاّ يَشْهَدُ لهُ يومَ القيامة »[1] . وفي روايةٍ : « أنّه يشهَدُ لهُ كلُّ رَطْبٍ ويابِسٍ »[2] .

ومنها : أنَّ للأَذان فضلاً خَفِياً لا يَعلمهُ إلا الله ، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لو يَعْلَمُ الناسُ ما في النداءِ والصَّفِّ الأوَّلِ ثم لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِموا لاسْتَهَمُوا عليه »[3] .

والمُرادُ بالنداء الأَذان . وقوله : « ٱستهموا » أي ٱقترعوا . ومعناه : أنهم لو عَلِمُوا فضيلة الأَذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقاً

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه البخاري .

يحصّلونه لضيق الوقت عن أذان بعد أَذان ، أو لكونه لا يؤذِّن للمسجد إلاَّ واحدٌ ، لاقترعوا في تحصيله .

ومنها : أنَّ رفْع الصوت بالأَذان لتحصيل ثواب الله وشهادة كُلّ شيء بالتوحيد للمؤذن ، أمرٌ مَحبوبٌ يَستحقُّ أن يتقاتل عليه الناس بالسيوف .

فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لو يَعْلَمُ الناسُ ما في التَّأْذِين ، لتَضارَبوا عَليه بالسُّيُوفِ »[(١)] ، أي لحصل نِزَاعٌ شريفٌ وتقاتُلٌ بَسيطٌ على النصر والفوز في المنافسة الخيريّة ، وهذا من باب الترغيب ، وإلاَّ فإنَّ المقاتلة لا تجوز ، بل الخلافُ على ذلك لا يَجوز .

ومنها : أنَّ المؤذِّن معه رَحمةُ الله وعونه ، ومساعدته وإحسانه ، وفي أيِّ مكان سار ووصل تحيطُ به رحمة الله تعالى . رُويَ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَدُ الرَّحْمٰنِ فوقَ رأسِ المُؤَذِّنِ ، وإنَّه لَيُغْفَرُ له مدىٰ صوتِه أينَ بَلَغَ »[(٢)] .

ومنها : أنَّ المؤذن أَمينٌ وهو مَحلُّ ثِقة الناس ، يعتمدون عليه في معرفة وقت إفطارهم ووقت صلاتهم . فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الإمامُ ضامِنٌ والمؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ . اللَّهمَّ أَرْشِدِ الأَئِمَّةَ واْغفِرْ لِلمُؤَذِّنينَ »[(٣)] .

وهذا دُعاءٌ عَظيمٌ من الرسول الكريم ﷺ للمؤذِّنين ، فَهنيئاً لهم بهذه الدعوة النبوية المُجابة .

ومنها : أنَّ المؤذن يَطردُ بأذانه الشيطان . فعن جابر رضي الله عنه قال :

---

(١) رواه أحمد وفي إسناده ابن لهيعة .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما إلا أنهما قالا : فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين . ولابن خزيمة رواية كرواية أبي داود .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ الشيطانَ إذا سمعَ النِّداء بالصلاةِ ، ذَهَبَ حتى يكونَ مكانَ الرَّوحاء » . قال الراوي : والرَّوحَاءُ من المدينة على ستّة وثلاثين ميلاً[١] . وهي التي تعرف اليوم ببئر الراحة بعد المُسيجيد .

قال النووي : وقيل : إنما يُدْبِرُ الشيطان لعِظَم أمر الأذان ، لِمَا اشتمل عليه من قواعد التوحيد وإظهار شعائر الإسلام وإعلانه . وقيل : لِيأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان بالتوحيد . اهـ .

والمؤذِّنون هم من أَحبِّ العباد إلى الله تعالى .

رُويَ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ أَقْسَمْتُ لَبَرَرْتُ ، إِنَّ أَحَبَّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ ، لَرُعاةُ الشَّمْسِ والقَمَرِ - يعني المؤذِّنين - ، وإنَّهم لَيُعْرَفُونَ يومَ الْقِيَامَةِ بطولِ أَعْنَاقِهِمْ »[٢] .

ومن مزايا المؤذنين : أن إتمام غُفران الله للمؤذن وَدرك رحمته تعالى له ، بقدر الفراغ الذي يملؤه صَوته . فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُغْفَرُ للمؤذِّنِ مُنْتَهىٰ أَذانِه ، وَيَسْتَغْفِرُ له كلُّ رَطْبٍ ويابِسٍ سَمِعَه »[٣] .

ومنها : أنَّ المُؤذن سبع سنين احتساباً لله تعالى ، تُكتب له بَراءةٌ من النار ، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنّ

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الطبراني في الأوسط . وقوله رعاة الشمس والقمر أي الذين يترقّبون حركات الكواكب لترشدهم إلى أوقات عبادة الله عز وجل من صبح وظهر وعصر ومغرب وعشاء . كما أن الراعي يراقب حركات الماشية .
(٣) رواه أحمد بإسناد صحيح .

النبي ﷺ قال : « مَنْ أَذَّنَ سبْعَ سِنينَ مُحْتَسِباً ، كُتِبَ له بَراءةٌ من النارِ »[1] .

ومنها : أنَّ المُؤذن مَحفوظٌ من أهوال القيامة في مكان بَارزٍ مُتميِّزٍ عن غيره من أهل الموقف ، كما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المؤذِّنُون أَطْوَلُ الناسِ أَعْناقاً يومَ القيامةِ »[2] .

ومنها : أنَّ من أذّن اثنتي عشرة سنةً ، وجَبت له الجنة .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَذَّنَ اثْنَتي عَشْرَةَ سَنَةً ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ، وكُتِبَ له بتأْذِينهِ في كُلِّ يومٍ ستُّونَ حسنَةً ، ولِكلِّ إقامةٍ ثلاثونَ حسنةً »[3] .

والمؤذنون هُم من خِيَار عباد الله ، جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال : « إنّ خِيارَ عبادِ الله ، الذين يُراعُون الشّمْسَ والقَمرَ والنُّجومَ لذِكْرِ الله »[4] .

والمؤذنونَ يُحشرون يوم القيامة على حالهم الذي ماتوا عليه ، فالناس في هَلعٍ وخَوفٍ وجزعٍ ، وهم مُشتغلون بالأذان . رُويَ عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ المُؤَذِّنِينَ والمُلَبِّينَ يَخرُجُون من قُبورِهِمْ يؤَذِّنُ المُؤَذِّنُ ويُلَبِّي المُلَبِّي »[5] .

---

(١) أخرجه الترمذي وقال حديث غريب .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه ابن ماجه في سننه .
(٤) رواه الطبراني واللفظ له . والبزارُ والحاكم وقال صحيح الإسناد . ثم رواه موقوفاً وقال : هذا لا يفسد الأول لأن ابن عيينة حافظ وكذلك ابن المبارك اهـ . ورواه أبو حفص ابن شاهين وقال : تفرد به ابن عيينة عن مِسعَر وحدّث به غيره وهو حديث غريب صحيح .
(٥) رواه الطبراني في الأوسط .

والمؤذنون يوم القيامة على كُثبانٍ من مسكٍ يَراهُم الناس ، فيتمنّىٰ كُلُّ واحدٍ مَقامهم ، لا يهولهم الفزعُ الأكبر ، ولا يفزعُون يوم يَفْزعُ الناس .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ثلاثةٌ علىٰ كُثْبَانِ المِسْكِ ، وأراهُ قال : يومَ القيامة » . زاد في روايةٍ : « يَغْبِطُهُم الأَوَّلُون والآخِرُون : عَبدٌ أدّىٰ حقَّ الله وحقَّ مَواليهِ ، ورجُلٌ أَمَّ قوماً وهُمْ بهِ رَاضُونَ ، ورجُلٌ يُنَادي بالصَّلواتِ الْخَمْسِ في كُلِّ يومٍ وليلةٍ »[١] .

وفي روايةٍ عند الطبراني في « الأوسطِ » و« الصغير » بإسنادٍ لا بأس به : « لا يَهُولُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ ولا يَنَالُهُمُ الحسابُ ، هُمْ على كُثُبٍ مِنْ مِسْكٍ حتّى يُفْرَغَ من حسابِ الخلائِقِ » .

وفي روايةٍ أُخرى عند الطبراني في « الكبير » ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلاّ مرةً ومرةً ومرةً حتى عَدّ سبع مرات ، لَما حدَّثْتُ به : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثَلاثةٌ على كُثْبانِ المِسْكِ يومَ القيامةِ لا يهُولُهم الفزَعُ ولا يَفْزَعون حين يفزَعُ الناسُ » .

وَالمُؤذنُ المُحتسبُ كالشهيدِ ، جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « المُؤَذِّنُ المُحْتَسِبُ كالشهيدِ المُتَشَحِّطِ في دمِه ، يَتَمَنَّىٰ على اللهِ ما يَشْتَهي بينَ الأَذانِ والإِقامةِ »[٢] .

وَالمُؤذنُ المُحتسبُ إذا مات فإن جسمهُ محفوظٌ لا يأكله الدُّود ، فعن

---

(١) رواه أحمد والترمذي من رواية سفيان عن أبي اليقظان عن زاذان عنه وقال حديث حسن غريب .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

والمحتسب : الذي يطلب أجره من الله تعالى أكثر ثواباً من المؤجر، ومعنى المتشحّط : أي المتخبّط فيه يعني المضطرب المتمرغ .

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « المُؤَذِّنُ المُحْتَسِبُ كالشَّهيدِ المُتَشَحِّطِ في دمِهِ ، إِذا مات لم يُدَوَّدْ في قبْرِه »[١] .

وهذه مُكافأةٌ من الله تعالى للمؤذّن الذي يُحافظ على إيقاظ الناس،أن يحيا في قبره ويشعر بنعيم ربه ، وَيُنقّىٰ وَيُطهَّر جسمه ، ولا ينتن ولا يقذر ، وَيسلَمَ من الدُّود الذي يَنشأُ من عُفونةِ الجسم ، لكن الشَّرط أن يكون محتسباً . أمّا إذا كان مؤذِّناً فَاسقاً وطمّاعاً ومُختالاً ، فيُطلق الله عليه الحشرات فِي قبره تنهشهُ نَهْشاً ويبلىٰ جسمُهُ وَيُعذَّبُ عذاباً أليماً .

ومن فضائل الأذان أنه أمانٌ لأهله .

رُويَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أُذِّنَ في قريةٍ ، أَمَّنَها الله عَزَّ وجلَّ من عذابه ذلك اليومَ »[٢] .

وفي روايةٍ : قال رسول الله ﷺ : « أيُّما قومٍ نُودِيَ فيهِمْ بالأذانِ صباحاً ، إلاَّ كَانُوا في أَمانِ اللهِ حتَّى يُمْسُوا ، وأيما قوم نُودي فيهم بالأَذان مساءً ، إلاَّ كانوا في أَمَانِ الله حتى يُصْبِحُوا »[٣] .

ومن فضائل الأذان : ما جاء في الحديث عن هلال بن يَساف رضي الله عنه أنه سمع معاوية يُحدِّث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَمِعَ المُؤذِّنَ فقالَ مِثْلَ مَا يَقولُ ، فَلَه مِثْلُ أَجْرِهِ »[٤] .

ومن فضائل الأذان : أنَّ من أَجابهُ فَلهُ بكل حَرفٍ أَلفُ أَلفِ درجة ،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمي : وفيه محمد بن الفضل القطاني ولم أجد مَنْ ذكره .

(٢) رواه الطبراني في معاجمه الثلاث .

(٣) رواه الطبراني في الكبير من حديث مَعْقِل بن يسار .

(٤) رواه الطبراني في الكبير من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيِّين لكنّ متنه حسن وشواهده كثيرة .

وهذا رُويَ في الحديث عن السيدة ميمونة رضي الله عنها مرفوعاً ، وهو وإن كان ضعيفاً ، إلاَّ أنه تثبُتُ بمثله الفَضائل[1] .

ومن خصائص الأَذان : أن من خرج من المسجد بعد سماعه الأذان من غير عُذرٍ أو إرادةِ الرجوع إليه مرة أخرى ، فهو منافق .

رُوي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَدْرَكَهُ الأَذَانُ فِي المسجِدِ ثم خرَجَ لم يَخْرُجْ لحاجةٍ وهُوَ لا يُرِيْدُ الرَّجْعَةَ ، فهو منافِقٌ »[2] .

* * *

(١) وقد رواه الطبراني في الكبير .
(٢) رواه ابن ماجه .

فَضْلُ إجابة المُؤذِّن

ومن شرف الأمة المحمّدية : ما جاء في فضل إجابةِ المُؤذن من الفَضل العظيم والأجر الكريم .

فمن ذلك : أنّ النبي ﷺ بَشّرهُ بالجنة ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قال المُؤَذِّنُ : اللهُ أكبرُ الله أكبر ، فقال أحدُكم : الله أكبر الله أكبر، ثم قال أَشْهَدُ أن لا إله إلا الله ، قال : أشْهد أن لا إله إلاّ الله ، ثم قال : أشْهد أنَّ محمداً رسولُ الله ، قال : أشهَدُ أنّ محمداً رسول الله ، ثم قال : حَيَّ علىٰ الصلاة ، قال : لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، ثم قال : حيَّ على الفَلاحِ ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : الله أكبر الله أكبر ، قال : الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : لا إله إلاّ الله ، قال : لا إله إلا الله ، مِنْ قلبِه ، دخلَ الجنة »(١) .

وفي روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كُنّا مع رسول الله ﷺ فقام بلال ينادي ، فلما سكت قال رسول الله ﷺ : « من قالَ مثلَ ما قال هذا يقيناً ، دخلَ الجنة »(٢) .

وفي روايةٍ : أنَّ النبي ﷺ لما سمع بلالاً يُؤَذِّنُ قال : « من قال مِثْلَ مقالَتِه وشَهِدَ مثل شهادته ، فلهُ الجَنَّةُ »(٣) .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه أبو عبد الرحمٰن النسائي في «سننه» .
(٣) رواها أبو يعلى في «مسنده».

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ بشَّرَ مَنْ أجابَ المؤذنَ بالمغفرة إذا قال : وأنا أشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، رضِيتُ بالله ربّاً وبالإسلامِ ديْناً ، وبمحمدٍ ﷺ رسولاً[1] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ بَشّرهُ بالشفاعة يوم القيامة ، وَينالُ هذه الشفاعة إذا أجابَ المُؤذن وصلّى على النبي ﷺ ، وَيسألُ له الوسيلة . وبهذا تَعلمُ أنَّ الفوز بشفاعته الخاصة مشروط بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فقولُوا مثلَ ما يقولُ ثم صَلُّوا عَلَيَّ ، فإنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَليَّ صلاةً صلَّى اللهُ عليه بها عشْراً ، ثم سَلُوا الله ليَ الوسيلَةَ فإنَّها منزِلَةٌ في الجنةِ لا تَنْبَغِي إلاَّ لعبدٍ مِنْ عبادِ الله ، وأرجو أن أَكونَ أنا هُو ، فمن سأل ليَ الوسيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفاعةُ »[2] .

وَينالُ هذه الشفاعة أيضاً إذا قال : اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ والصَّلاةِ القَائِمةِ ، آتِ مُحَمَّداً الوَسِيْلَةَ والفَضِيلَةَ ، وأبْعَثْهُ مقاماً محموداً الذي وَعَدْتَه .

فقد جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال : « من قالَ حينَ يَسْمَعُ النداءَ » ـ الحديث ـ ثم قال : « حلَّتْ له شفاعتي يوم القيامة »[3] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يَقُول إذا سمِعَ المؤَذِّنَ : « اللَّهمَّ ربَّ هذهِ الدعوةِ التامّةِ والصلاةِ القائمةِ ، صَلِّ علىٰ

---

(١) رواه مسلم والترمذي واللفظ له .
(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .
(٣) رواه البخاري ورواه البيهقي وزاد في آخره : إنك لا تخلف الميعاد .

مُحَمدٍ وأَعْطِه سُؤلَه يوم القيامة ، وكان يُسْمِعُها مَنْ حولَه ويُحِبُّ أن يقولوا مثلَ ذلك إذا سمعوا المؤذِّنَ قال : ومَن قال مِثْلَ ذلِكَ إذا سمع المؤَذِّنَ ، وجَبَتْ لهُ شفاعةُ محمَّدٍ ﷺ يومَ القيامةِ »[1] .

وفي روايةٍ : أنَّ النبي ﷺ كان إذا سمع النداء قال : « اللهمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ القائمةِ صَلِّ على عبدِكَ ورسولك ، واْجعَلْنا في شفاعتِه يومَ القيامةِ .

ويقول : مَنْ قالَ هذا عِنْدَ النِّداءِ ، جعلَه اللهُ في شفاعتي يومَ القيامةِ »[2] .

وفي روايةٍ : « مَن سمِعَ النداءَ فقالَ : أَشهَدُ أن لا إله إلا الله وَحدَهُ لا شريكَ له وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، اللهم صَلِّ على محمدٍ وَبَلِّغْهُ درجةَ الوسِيلةِ عنْدَكَ واجعَلْنا في شفاعَتِه يومَ القيامةِ ، وجَبَتْ له الشفاعةُ »[3] .

وقد بَشر نبيُّنا ﷺ مَنْ أجابَ المؤذِّنَ ، بأنَّ دَعوته مُستجَابةٌ .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قالَ حينَ يُنادي المنادي : اللهم ربَّ هذه الدعوةِ التامةِ والصلاةِ النافعةِ ، صَلِّ علىٰ محمدٍ وأرْضَ عنِّي رضاً لا سَخَطَ بعدَه ، اْستَجابَ اللهُ له دَعْوَتَه »[4] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رجلاً قال : يا رسول الله ،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط .
(٢) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفي إسنادهما صَدَقَة بن عبد الله السمين .
(٣) رواه الطبراني في الكبير .
(٤) رواه أحمد والطبراني في الأوسط وفيه ابن لهيعة .

إنّ المـؤذِّنِيـن يفْضُلُـونَنـا « أي يـزيـدون علينـا فـي الثـواب » فقـال رسول الله ﷺ : « قُلْ كما يقولون ، فإذا انْتَهَيْتَ فَسَل تُعْطَه »[١] .

ومن فضائل الأذان : أنّ بينه وبين الإقامة دَعوةً مُستجابة .

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ساعتَان لا تُـرَدُّ علـىٰ داعٍ دعـوتُـه : حيـنَ تُقَـامُ الصـلاةُ ، وفـي الصَّـفِّ فـي سبيلِ الله »[٢] .

وفي روايةٍ عن أبي أُمامة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إذا نَادىٰ المُنادي فُتِحَتْ أبوابُ السَّماءِ واسْتُجِيْبَ الدُّعاءُ ، فمن نَزَلَ به كَرْبٌ أو شِدَّةٌ فَلْيَتَحَيَّن المُنَادِيَ ، فإذا كَبَّر كَبَّرَ ، وإذا تَشَهَّدَ تشَهَّدَ ، وإذا قال : حَيَّ علىٰ الصلاةِ ، قال : حيّ على الصلاةِ ، وإذا قال : حيَّ على الفَلاحِ قال : حيَّ على الفَلاحِ . ثُمَّ يقولُ : اللهمَّ رَبَّ هذهِ الدَّعْوةِ التَّامَّةِ الصَّادِقَةِ المُسْتَجابَة ، المستجابِ لها دعوةِ الحَقِّ ، وكلمةِ التَّقْوىٰ ، أَحْيِنَا عَلَيْها وأَمِتْنا عليها ، وٱبْعَثْنَا عليها ، واجعَلْنا مِنْ خِيارِ أهلِها أحياءً وأمواتاً . ثم يَسْأَلُ اللهَ حَاجَتَه »[٣] .

* * *

---

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه .

(٢) رواه ابن حبّان في صحيحه .

(٣) رواه الحاكم من رواية عفير بن معدان وهو واهٍ وقال : صحيح الإسناد . وقوله : « فليتحيّن المنادي » أي ينتظر بدعوته حين يؤذن المؤذن فيجيبه ، ثم يسأل الله حاجته .

فَضلُ بنَاءِ المسَاجدِ وَالمشيِ إليها وَالجُلوسِ فِيهَا

ومن شَرف الأُمّة المحمّدية : أختصاصها بالمساجد ، وقد جاء في فَضل بنائها وفضل السعي إليها عن النبي ﷺ أحاديثُ كثيرة .

فمنها : ما يَدلُّ على فضل بناء المسجد ، وأنه مَضمونٌ له بيت مثله في الجنة .

فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ بَنىٰ مسجداً يَبْتَغي به وجْهَ اللهِ ، بَنىٰ اللهُ له مِثْلَه في الجنّةِ »(1) .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من بَنىٰ مسجداً يُذْكَرُ فيه آسمُ الله ، بنىٰ اللهُ لهُ بيتاً في الجنّةِ »(2) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ومَنْ بَنىٰ لله مسجداً كَمَفْحَصِ قَطاةٍ أو أصْغرَ ، بنىٰ الله له بيتاً في الجنَّةِ »(3) . وقوله : « كمَفْحَصِ قَطاة » : القَطاةُ : طَائرٌ مَعروفٌ ، أي مِقدار عُشِّها ومأواها .

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم .

(2) رواه ابن ماجه .

(3) رواه ابن ماجه أيضاً .

وفي روايةٍ : « بَنىٰ اللهُ له بيتاً أَوْسَعَ منه »[1] . وفي روايةٍ : « أَفْضَلَ منه »[2] . وفي روايةٍ : « من بَنىٰ بيتاً يُعْبَدُ الله فيه من مالٍ حلالٍ ، بنىٰ اللهُ له بيتاً في الجنّةِ مِنْ دُرٍّ ويَاقُوتٍ »[3] .

وفي روايةٍ : « مَنْ بَنىٰ مسجداً لا يُرِيدُ به رِيَاءً ولا سُمْعَةً ، بَنىٰ اللهُ له بَيْتاً في الجنَّةِ »[4] .

وَثوابُ بناء المسجد بَاقٍ وأجرُه جَارٍ لصاحبه حتى بعد وفاته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ مِمّا يَلْحَقُ المؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وحَسَناتِه بَعْدَ مَوْتِه ، عِلْماً علَّمهُ ونشرَهُ ، أو ولداً صالِحاً تركَه ، أو مُصْحَفاً وَرّثَهُ ، أو مسجِداً بناه ، أو بَيْتاً لابْنِ السَّبيلِ بَناه ، أو نَهْراً أَجْراه ، أو صدَقَةً أَخْرَجَها مِنْ مالِه في صِحَّتِه وحَياتِه تَلْحَقُهُ مِنْ بعد موْتِه »[5] .

ومنها : ما يَدلُّ على فَضل من كنَس المسجد ونظَّفه .

عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عُرِضَتْ عليَّ أُجورُ أُمَّتي حتىٰ القَذَاةِ يُخرِجُها الرَّجُلُ مِنَ المَسْجِدِ ، وعُرِضَتْ عَليَّ ذُنوبُ أُمَّتي فَلَمْ أَرَ ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ منَ الْقُرآنِ أَوْ آيَةٍ أُوْتِيَها الرَّجُلُ ثم نَسِيَها » . والقذاةُ مفرد قَذىٰ ، وهي ما يقع في العين والماء والشراب من تُرابٍ أو تِبْنٍ أو وَسَخ أو غير ذلك ، والمعنى : يُخرج الرجل كُلَّ قذَرٍ وإنْ قَلَّ .

---

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه أحمد والطبراني .
(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » والبزار دون قوله : « من درّ وياقوت » .
(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » .
(٥) رواه ابن ماجه واللفظ له . وابن خزيمة في صحيحه والبيهقي ، وإسناد ابن ماجه حسن .

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَخرَجَ أذىً مِنَ المَسْجِدِ، بَنىٰ اللهُ له بيتاً في الجَنَّةِ»[1].

ومنها: ما يَدلّ على فَضلِ المشي إلى المساجد، وفَضلِ الجُلوسِ فيها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ في جماعةٍ تُضَعَّفُ علىٰ صَلاتِهِ في بيتِه وفي سُوقِه خمساً وعشرينَ درجة، وذٰلك أنَّه إذا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثم خَرجَ إلى المسجِدِ لا يُخْرِجُه إلاّ الصَّلاةُ، لم يَخطُ خَطْوَةً إلاّ رُفِعَتْ لهُ بهَا درجَةٌ وحُطَّ عنْهُ بها خَطِيئَةٌ، فإذا صَلَّى لم تَزَلْ الملائِكةُ تُصَلِّي عليه ما دَام في مُصَلاّه، تَقوْلُ: اللّهُمّ صَلِّ عليهِ، اللّهُمّ ٱرْحَمْهُ، ولا يَزالُ في صلاةٍ ما ٱنْتَظَرَ الصَّلاةَ»[2].

وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه، قال: كانَ رجُلٌ من الأنصار لا أعلمُ رجلاً أبعَدَ من المسجِدِ منْهُ، وكانَ لا تُخْطِئُهُ صلاةٌ، قال: فقيلَ له، أوْ قُلْتُ له: لَوِ ٱشْتَرَيْتَ حِماراً تركَبُه في الظَّلْماءِ وفي الرَّمْضَاءِ، قال: مَا يَسُرُّني أَنَّ مَنْزِلي إلىٰ جنب المسجِدِ، إنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لي مَمْشايَ إلىٰ المسجِدِ ورُجُوعي إذا رجَعْتُ إلىٰ أَهْلي. فقال رسول الله ﷺ: «قد جَمَعَ الله لكَ ذٰلِكَ كُلَّه»[3].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كانتْ دِيارنا نَائِيَةً من المسجدِ فأَرَدْنَا أنْ نَبِيعَ بيوتَنا فَنَقْرُبَ من المسجِد، فنهانا رسول الله ﷺ

---

(١) رواه ابن ماجه وفي إسناده ٱحتمال للتحسين.

(٢) رواه البخاري ومسلم بنحوه.

(٣) رواه مسلم.

فقال : « إِنَّ لكُمْ بِكُلِّ خَطوَةٍ درجةً »(١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَطَهَّرَ في بيتِه ثُمّ مشىٰ إلى بيتٍ من بيوتِ الله لِيَقْضِيَ فريضةً مِنْ فرائضِ اللهِ ، كانَتْ خَطْوَتاهُ إِحْداهُما تَحُطُّ خطيئةً والأُخْرىٰ تَرْفَعُ دَرَجةً »(٢) .

وعنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ غَدا إلى المسجِدِ أَوْ رَاحَ ، أَعَدَّ اللهُ لهُ في الجنَّةِ نُزُلاً كُلَّما غَدا أو رَاحَ »(٣) .

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ خَرَجَ مِنْ بيتِه مُتَطَهِّراً إلى صلاةٍ مكتوبةٍ ، فَأَجْرُهُ كأَجْرِ الحاجِّ المُحْرِمِ ، ومَن خَرَجَ إلىٰ تَسْبِيحِ الضُّحىٰ لا يَنْصِبُهُ إلاَّ إياه ، فأَجْرُه كأَجْرِ المُعْتَمِرِ ، وصَلاةٌ على إِثْرِ صلاةٍ لَا لَغْوَ بينَهُما ، كِتَابٌ في عِلِّيِّينَ »(٤) .

وعن بُريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بَشِّرِ الْمَشَّائِيْنَ في الظُّلَمِ إلى المساجِدِ ، بالنُّورِ التامّ يومَ القيامةِ »(٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المَشَّاؤُوْنَ إلىٰ المسَاجِدِ في الظُّلَمِ ، أُولئك الخَوّاضُونَ في رحمةِ اللهِ تعالى » .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لِيَبْشُرُ المَشَّاؤُونَ في الظُّلَمِ إلىٰ المساجِدِ ، بالنور التامِّ يومَ القيامةِ »(٦) .

* * *

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) رواه أبو داود والترمذي .وقال حديث غريب . وعن أنس بن مالك مثله رواه ابن ماجه .

(٦) رواهما ابن ماجه .

فضائل الصلاة

ومن شَرف الأُمّةِ المحمّدية : ما جَعلهُ الله تعالى لها من الفضائل على أَداء الصَلوات والمُحافظة عليها .

فمن ذلك : أنَّ الصلاة تُكفِّرُ الخَطايا . قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود : ١١٤] .

رَوىٰ الشيخـان عـن أبـي هـريـرة رضـي الله عنـه قـال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهراً بِبابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فيه كلَّ يومٍ خَمسَ مَرَّاتٍ ، هل يَبْقَى مِن دَرَنِه شَيْءٌ؟ قالوا : لا يَبْقى مِن دَرَنِهِ ـ أي وَسَخِه ـ شَيْءٌ ، فقال ﷺ : فكذلِكَ مَثَلُ الصَّلوات الْخَمْس ، يَمْحُو الله بِهِنَّ الخَطَايا ـ أي الصَّغائِرَ ـ » .

أمّا الكبائر فلا بدَّ لها من تَوبة كما دلّ على ذلك حديث مسلم والترمذي عـن أبـي هـريـرة رضـي الله عنـه أنَّ رسـول الله ﷺ قـال : « الصَّلـواتُ الخَمْسُ ، والجمُعةُ إلى الجمُعةِ ـ وفي رواية : ورمَضانُ إلى رمضانَ ـ ، كَفَّارةٌ لما بينَهُنَّ ، ما لم تُغْشَ الكبائِرُ » . وفي روايةٍ : « إذا اُجْتُنِبَتِ الكبائرُ » .

وعن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنَّ لله مَلَكاً يُنادي عنْدَ كـلِّ صـلاةٍ : يـا بَنـي آدمَ ، قُـومـوا إلـى نِيْـرانِكـم الَّتـي أَوْقَـدْتُمـوهـا

فَأَطْفِئُوها »[١] . والمراد بالنِّيران هنا : الذنوب .

وعن أبي مسلم التغلَبي قال : دخلت على أبي أمامة رضي الله عنه وهو في المسجد فقلتُ : يا أبا أُمامةَ ، إن رجلاً حدّثني عنك أنك سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ توضَّأَ فأَسْبَغَ الوُضوءَ فغسَلَ يَديه ووجْهَه ومسَح على رأسِه وأُذُنيهِ ثم قامَ إلىٰ صلاةٍ مفروضةٍ غَفَر اللهُ له في ذلك اليومِ ما مَشَتْ إليه رِجْلاه ، وقَبَضَتْ عليه يداه ، وسمِعَتْ إليه أُذُناه ، ونَظَرت إليه عَيْناه ، وحَدَّث به نَفْسَهُ من سُوءٍ . فقال أبو أمامة : والله قد سمعتُه من رسول الله ﷺ مراراً[٢] .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان يقول : « إنَّ كُلَّ صلاةٍ تحُطُّ ما بين يَدَيْها من خطيئةٍ »[٣] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة تَرفعُ الدرجات . روى مسلم عن معدان بن أبي طلحة رضي الله عنه قال : لَقِيتُ ثوبانَ مولىٰ رسول الله ﷺ فقلت : أخبِرْني بعملٍ أعمَلُه يُدْخِلُني الله به الجنة ـ أو قال : أخبرني بأحبِّ الأعمالِ إلى الله تعالى ـ فسكتَ . ثم سألته فسكت ، ثم سألته الثالثة فقال ثوبان : سألتُ عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « عليكَ بكثرةِ السُّجودِ ، فإنّك لا تَسْجُدُ للهِ سجْدَةً إلاَّ رَفَعَكَ اللهُ بِها درجةً وحَطَّ بها عنكَ خطيئةً » .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « ما مِنْ عبدٍ يسجُدُ لله سجدةً ، إلاّ كَتَبَ الله له بها حسَنةً ، ومحا عنه بها

---

(١) رواه الطبراني وقال المنذري : رجاله كلُّهم محتَجٌّ بهم في الصحيح .
(٢) رواه أحمد وله شواهد .
(٣) قال الهيثمي رواه أحمد وسنده حسن .

سيئة ، ورفع له بها درجةً ، فأَسْتكْثِرُوا من السجودِ »[1] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة خَير موضوع شرعه الله تعالى ، روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : الصَّلاة خيرُ مَوْضوعٍ ، فَمنِ آسْتطاعَ أن يسْتكثِرَ ، فلْيَسْتكْثِر » .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة خير الأعمال ، عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استَقِيمُوا ولَنْ تُحْصُوا ـ وفي رواية : استقيموا تُفْلِحوا ـ ، وآعلَموا أنَّ خيرَ أَعمالِكُمْ الصلاة ، ولا يحافِظُ على الوضوءِ إلاَّ مؤمِنٌ »[2] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة شفاء للأرواح والأشباح ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « إِنَّ في الصلاة شِفاءً »[3] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة فيها اتِّخاذُ عهدٍ عند الله تعالى بدخول الجنة ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خمسُ صلواتٍ كَتبهُنّ الله على العبادِ ، فمن جاءَ بهِنَّ ولم يُضَيِّعْ منهُنَّ شيئاً استِخْفَافاً بحقِّهِن ، كان له عند الله عهدٌ أنْ يُدْخِلَه الجنَّةَ ، ومن لم يأْتِ بهن فليسَ له عندَ الله عهدٌ إن شاءَ عذَّبَه ، وإن شاءَ أَدْخَلهُ الجَنَّةَ »[4] .

وعن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن سبعة نفر ، فقال ﷺ : « ما أَجْلَسَكُم »؟ قلنا : جلسنا ننتظِرُ

---

(١) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح .

(٢) رواه الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه . ومعنى لن تحصوا : أي لن تحصوا ثناءً عليه سبحانه . أو لن تحصوا مراتب الاستقامة .

(٣) رواه أحمد .

(٤) رواه مالك وأبو داود والنسائي .

الصلاة . قال : « فأَرَمَّ ـ أي سكت ـ قليلاً ، ثم أقبل علينا فقال : هل تَدْرُونَ ما يقولُ رَبُّكُمْ؟ قلنا : لا ، قال : فإِنَّ ربَّكم يقول : مَنْ صلَّى الصلاة لوْقتِها وحَافَظَ عليها ولم يُضَيِّعْها اسْتِخْفافاً بحقِّها ، فلهُ عَلَيَّ عهدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجنةَ ، ومن لم يصلِّها لوقتها ولم يحافِظْ عليها وضيَّعَها اسْتِخْفافاً بحقِّها ، فَلا عهدَ لهُ علَيَّ ، إنْ شِئتُ عَذَّبْتُهُ ، وإِن شئتُ غَفَرْتُ له »[١] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة تمنحُ المصلِّي عَفو الله تعالى ورحمته ورضوانه . فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الوقتُ الأوَّلُ من الصَّلاةِ رِضْوانُ اللهِ ، والآخِرُ عفوُ اللهِ »[٢] .

وجاء أنَّ النبي ﷺ قال : « أوَّلُ الوقتِ رضوانُ اللهِ ، ووسَطُ الوقتِ رحمةُ اللهِ ، وآخِرُ الوقتِ عفْوُ اللهِ عزَّ وجلَّ »[٣] .

ومن ذلك : أنّ الصلاة فيها مُباهَاةُ ربِّ العزّةِ ملائكته بالمصلِّي ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : يَتَعَاقَبُون فيكُمْ ـ وفي رواية أحمد : إنّ الملائكةَ يتعاقَبونَ فيكم : أي يتناوبون ـ ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار ، ويَجْتَمِعُون في صلاةِ الصُّبْحِ وصلاةِ العَصْرِ ، ثم يَعْرُجُ الذين بَاتُوا فيكم فَيَسْأَلُهُم ربُّهُم ـ وهو أَعلم بهم ـ فيقول : كيف تَرَكْتُم عبادي؟ فيقولون : تركْناهم وهم يُصَلُّون وأَتَيْنَاهمْ وهم يُصَلُّوْن »[٤] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة فيها صِلَةُ العبد بربه ، تَرفعُ الحُجُبَ بين المصلي وبين ربه عز وجل ، عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن العبدَ إذا قامَ في الصلاةِ فُتِحَتْ له الجِنَانُ ، وكُشِفَتْ له الحُجُبُ

---

(١) قال المنذري : رواه الطبراني وأحمد بنحوه .
(٢) رواه الترمذي .
(٣) رواه الدارقطني .
(٤) رواه الشيخان .

بينَه وبين ربِّه ، واَسْتَقْبَلَتْه الحورُ العِينُ ما لم يَمتَخِطْ أَوْ يَتَنَخَّعْ »[1] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة فيها الاقتراب من حَضرة ربِّ الأَرباب . قال تعالى : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق : ١٩] ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ مِنْ ربه عز وجل وهو ساجدٌ ، فأكثِروا الدُّعاءَ »[2] وإنما كان في السجود قُربٌ خاصٌّ ، لما فيه من مَحض ذُلّ العبودية لمقام عِزَّةِ الربوبية .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة فيها مُناجَاةُ ربِّ العزّة . عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « إنّ المؤمِنَ إذا كانَ في الصلاةِ فإنَّما يُناجي ربَّه ، فلا يَبْزُقَنَّ بينَ يدَيه ولا عن يمينهِ ، ولكن عَنْ يسارِه أو تحتَ قدَميهِ »[3] .

وهذا حيث كانت الصلاة على التراب ، وإلاَّ فيأخذه بيده اليسرى كما نُصّ عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا قامَ أحدُكم إلى الصَّلاةِ فلا يَبْصُقْ أمامَه ، فإنَّما يُناجي الله ما دامَ في مُصلاَّه ، ولا عن يمينِه فإنَّ عن يمينِه مَلَكاً ، وليَبْصُقْ عن يسارِه أو تحتَ قدَميه فيَدْفِنْها »[4] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة فيها التَّوجّهُ والإقبال على الله تعالى ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا كانَ أحدُكم يُصَلّي فلا يَبْصُقْ قِبَلَ وجْهِه ، فإنَّ اللهَ قِبَلَ وجْهِه إذا صَلَّى »[5] .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري وغيره .
(٤) رواه البخاري .
(٥) رواه البخاري .

ومن ذلك : أنَّ الصلاةَ فيها ذكرُ العبد ربه تعالى ، وَذِكرهُ تعالى لعبده، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه : ١٤] أي لذكرك لي وذكري لك ، فإن كُلَّ نوعٍ من الذِّكْر يَتقرّبُ به العبد لربه ، مُقَابَلٌ بذكرٍ منه سبحانه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : قال تعالى : ﴿قَسَّمْتُ الصلاةَ بيني وبينَ عبْدي نِصْفَين ولِعَبْدي ما سَأَلَ ، فإذا قال العبدُ : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قال الله تعالى : ﴿حَمِدَني عَبْدي﴾ وإذا قال : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله تعالى : ﴿أثنىٰ عليَّ عَبْدي﴾ وإذا قال : ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قال تعالى : ﴿مجّدني عبدي﴾ وقال مرة : ﴿فَوَّضَ إليَّ عبْدي﴾ فإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ قال : ﴿هٰذا بيني وبينَ عَبْدي ولِعَبْدي ما سَأَلَ﴾ ، فإذا قال : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال تعالى : ﴿هٰذا لعبدي ولعبدي ما سَأل﴾[1] .

وجاء في روايةٍ أُخرى زيَادةٌ في أوله : « فإذا قال العبد : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يقول الله تعالى : ﴿ذَكَرني عبْدي﴾ »[2] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة فيها تَأمينُ الملائكة ، أي : تَقولُ لقراءةِ الفاتحة : آمين ، فمن وافق تأمينه تأمينهم ، غُفر له ما تقدم من ذنبه ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أَمَّنَ الإمامُ فأَمِّنُوا ، فَإِنَّهُ مَنْ وافَقَ تأْمِينُهُ تأمينَ الملائكةِ ، غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ من ذَنْبِه »[3] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) قال النووي في المجموع ولكن إسنادها ضعيف . وهي عند الدارقطني والبيهقي .

(٣) في الصحيحين .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا قال أحدُكم : آمين ، وقالَتِ الملائكةُ في السماءِ آمين فوافَقَتْ إحداهما الأُخْرَى ، غُفِرَ له ما تقَدَّمَ من ذنبِه »(١) .

ومن ذلك : أنَّ الصَّلاة تنهى صاحبها عن الفَحشاء والمنكر ، قال الله تعالى : ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

فقد أمر سبحانه بإقامة الصلاة وَبيّن أثر الصلاة فيمن أقامها أنها تَنهاهُ عن الفحشاء ـ أي المحرّمات الفعلية ـ والمنكر القولي ، والفواحش الفِعلية والمنكرات القولية ، هُما مَجمَعُ الآثام والذنوب .

ومن ذلك : أنّ الصلاة تُهذِّبُ العبد من الصفات الذميمة ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج : ١٩ـ٢٣] . يعني أن الإنسان إذا مَسّهُ الشر اشتد جزعه وضجره ، وإذا مَسّهُ الخير من الله تعالى شَحّ ومنع حقَّ الله تعالى في ذلك .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ ، شُحٌّ هَالِعٌ وجُبْنٌ خَالِعٌ »(٢) .

ولم يبرأ من تلك الصِّفات الذَّميمة إلاَّ المصلّون الدَّائِمون على صلاتهم في أوقاتها ، الملازمون لها ، فإنها حَوّلتهم من الطِّباع السَّيئة إلى الطِّباع الحَسنة ، وطوّرتهم في أطورِ الكمالات والفضائل .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه أحمد في المسند .

ومن ذلك : أنَّ البِرّ الإلهي يتناثر فيها على المُصلِّي ، رَوىٰ محمد بن نصر ، عن الحسن البصري مُرسلاً : أنَّ النبي ﷺ قال : « لِلْمُصَلِّي ثَلاثُ خصالٍ : يتَنَاثَرُ البِرُّ مِنْ عَنانِ السَّماءِ إِلىٰ مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، وتَحُفُّ به الملائكةُ مِنْ لَدُنْ قَدَمَيْهِ إلى عنانِ السَّماءِ ، وُينادِيهِ مُنادٍ : لو يَعْلَمُ المُصلّي مَنْ يُناجي مَا انفَتَلَ » .

ومن ذلك : أنَّ الملائكة تُصلِّي على المصلِّي مَا دام في مُصلاّه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنَّ أحدَكُمْ في صلاةٍ ما دامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُه ، والملائكةُ تقولُ : اللّهُمَّ اغْفِرْ لهُ اللهُمَّ ارْحَمْه . ما لم يَقُمْ مِنْ مُصَلاّهُ أَوْ يُحْدِثْ »[١] .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة نُورٌ للمؤمن في الدنيا والآخرة ، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ ، وسبحانَ اللهِ والحمدُ لله تَمْلآنِ ـ أو تَمْلأُ ـ ما بينَ السماءِ والأَرْضِ ، والصَّلاةُ نورٌ » . الحديث[٢] ، فهي نورٌ للمصلي في قلبه وبصيرته وعقله ووجهه .

قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه مَرفوعاً : « إذا حافَظَ العبدُ على صلاتِهِ فأقامَ وضوءَها ورُكوعَها وسجودَها والقِراءةَ فيها ، قالت : حَفِظَكَ اللهُ كما حَفِظْتَني ، وصُعِدَ بها إلى السماءِ ولها نورٌ » الحديث[٣] .

وهي نورٌ للمؤمن في حشره وعلى الصراط وجميع بَرازخ الآخرة ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ ذكر الصلاة فقال : « مَنْ حافَظَ

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري .

عليها كانَتْ له نوراً وبرهاناً ونجاةً يومَ القيامةِ » الحديث[1] .

ومن خصائص الصلاة في عالم القبر : أنها تَحوطُ المصلي وتحفظه كما حَفظها ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « إنَّ الميِّتَ إذا وُضِعَ في قبرِه وإنه يسمع خَفْقَ نِعالِهم حين يُوَلُّون مُدْبِرينَ ، فإن كانَ مُؤْمِناً كانت الصلاةُ عندَ رأسِه وكانَ الصِّيامُ عن يمينِه وكانتِ الزَّكاةُ عن شِمالِهِ وكان فِعْلُ الخيراتِ من الصدَقة والصِّلاتِ والمعروفِ والإحسانِ إلى الناسِ عندَ رِجْليه ، فيُؤْتىٰ من قِبلِ رأسِه فتقولُ الصلاةُ : مَا قِبَلي مَدخَلٌ ، ثُم يُؤْتىٰ عنْ يمينِه فيقولُ الصيامُ : ما قِبَلي مدخَلٌ ، ثم يُؤْتىٰ عن يسارِهِ فتقولُ الزكاةُ : ما قبلي مَدْخلٌ ، ثم يُؤْتىٰ مِنْ قِبَلِ رجلَيْه فيقولُ فعلُ الخيرات من الصدَقةِ والمعروفِ والإِحسانِ إلى الناس : ما قِبَلي مدخَلٌ ، فيقالُ له : اجلِسْ ، فَيَجْلِسُ قد مُثِّلَتْ له الشمسُ وقد دَنَتْ للغروبِ فيقال له : أَرَأَيْتَكَ هذا الذي كان قِبَلكم ما تقول فيه وما تشهد عليه؟ فيقول : دَعوني حتَّى أُصَلِّيَ ، فيقولُون : إنكَ ستَفْعلُ . أَخْبِرْنا عما نَسْأَلُكَ عنه : أرأيتك هٰذا الرَّجُلَ الذي كانَ قِبَلكُمْ ماذا تَقُولُ فيه وماذا تَشهَدُ عليه؟ فيقولُ : محمدٌ أَشْهَدُ أنه رسول الله ﷺ ، وأنه جَاءَ بالحقِّ مِنْ عِنْدِ الله » فيقالُ له : علىٰ ذلك حَيِيْتَ وعلى ذلك مُتَّ وعلى ذلكِ تُبْعَثُ إن شاءَ الله ، ثم يُفْتَحُ له بابٌ مِنْ أبوابِ الجنَّةِ ، فيقالُ له : هذا مقعَدُكَ منها وما أَعَدَّ اللهُ لكَ فيها ، فَيَزْدادُ غِبْطَةً وسُروراً » الحديث[2] .

ومن خصائص الصلاة : أنَّ من حَافظ على صلواته في الدنيا متعشِّقاً بها ، فإنه لا يزالُ يُصلي في قبره مُتنعِّماً بصلاته ، وهذا مَقامٌ أعطاهُ الله

---

(١) رواه أحمد في المسند وهو في صحيح ابن حبان .

(٢) قال المنذري : رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له .

تعالى لجميع أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ، وقد يُكرم به من شاء من عباده الصالحين .

والدَّليلُ على أنَّ الأنبياء كُلَّهم يُصَلّون في قُبورهم : ما رواهُ أبو يعلى والبيهقي في جزء « حياة الأنبياء » عن أنس رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال : « الأنبياءُ أحياءٌ فِي قبورِهم يُصَلُّون » .

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « أَتَيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي عَلى مُوسىٰ يُصَلِّي في قبرِه عند الكَثِيبِ الأحمرِ »(١) .

وأمّا الدَّليلُ على صَلاةِ الصالحين في قُبورهم : فقد جاء في الحديث : أنَّ المؤمِنَ يقولُ للملائكةِ : « دَعونِي حتّى أُصَلِّيَ ، فيقولون : إنَّكَ ستَفْعَلُ » ، الحديث وقد تقدم .

وأسند أبو نُعيم في « الحلية » عن يسار بن جيش ، عن أبيه قال : أنا والذي لا إله إلاَّ هو أدْخلْتُ ثابتاً البُنانِي في لَحده ومعي حُميدٌ وَرجلٌ غيره ، فلما سَوَّينا عليه اللّبِن ، سقطتْ لَبِنةٌ فإذا به يُصلّي في قبره ، فقلت للذي معي : ألا تراهُ؟ قال : أُسكت ، فلما سَوّينا عليه وفرغنا ، أتينا ابنة ثابت فقلنا لها : ما كان عمل ثابت؟ قالت : وما رأيتم؟ فأخبرناها ، فقالت : كان يَقُوم الليل خمسين سنة ، فإذا كان السحَر قال في دعائه : اللهم إن كُنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره ، فأعطنيها . فما كان الله ليردَّ ذلك الدعاء . اهـ .

وَنَظيرُ ذلك : أنَّ الله تعالى قد أكرم بعض عِباده بتلاوة القرآن في قَبره ، كما روىٰ الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضَرب بعض أصحاب النبي ﷺ خِباءً على قَبرٍ وهو لا يحسبُ أنه قبر ، فإذا

---

(١) أخرجه مسلم والنسائي .

فيه إنسانٌ يقرأُ سُورة ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك : ١] حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال النبي ﷺ : « هِيَ المانِعَةُ هي المُنْجِيَةُ ، تُنْجيهِ مِنْ عذابِ الْقَبْرِ » .

ورَوى ابن منده بإسناده عن طلحة بن عبيد الله قال : أَرَدْتُ مَالي بالغَابَةِ فَأَدْرَكَنِي الليل ، فأويتُ إلى قبر عبد الله بن حزام ، فسمعتُ قراءةً من القبر ما سمعتُ أحْسَنَ منها ، فجئت إلى النبي ﷺ فذكرتُ ذلك له فقال : « ذلك عبدُ الله ، ألم تَعْلَمْ أنَّ اللهَ قَبَضَ أرْواحَهم فَجعَلَها في قَنادِيلَ من زَبَرْجَدٍ وياقوتٍ وعلَّقَها وسَطَ الجَنَّةِ ، فإذا كانَ الليلُ رُدَّتْ إليهِمْ أَرْواحُهُم إلى مكانِها التي كانَتْ » . كما ذكره ابن رجب الحنبلي .

ومن ذلك : أنَّ الصَلاة تحفظُ على المصلي أعضاء السُجود من النار ، جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه في حَديثٍ طَويلٍ عن النبي ﷺ قال : « ويُضْرَبُ الصِّراطُ بينَ ظَهْرَانَيْ جهنَّمَ ، فأكونُ أوَّلَ مَنْ يَجوزُ مِن الرُّسُلِ بأُمَّتِه ، ولا يتكلَّمُ يومئذٍ أحَدٌ إلاَّ الرُّسُلُ ، وكَلامُ الرُّسل : اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وفي جهنَّم كَلاليبُ مثلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هل رأَيْتُم شوكَ السَّعْدانِ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنَّها مثلُ شَوكِ السَّعْدانِ غيرَ أنَّه لا يَعْلَمُ قدرَ عِظَمِها إلاَّ اللهُ تعالى ، تَخطِفُ الناسَ بأعمالِهِم ، فمنهم من يُوبَقُ ـ أي يهلك ـ بعِمله ومنهم من يُخَرْدَلُ ، ثم ينجو ، حتى إذا أراد اللهُ رَحْمَةَ مَنْ أرادَ من أهلِ النارِ ، أَمَرَ الملائكةَ أن يُخرِجُوا من النارِ مَنْ كانَ يعبُدُ اللهَ ، فيعرفُونهم بآثارِ السُّجودِ وحرَّمَ الله تعالى على النارِ أن تأْكُلَ موضعَ السجودِ ، فَيخْرُجون وقد امْتَحَشُوا ـ أي احترقوا ـ فيَصَبُّ عليهم ماءُ الحياةِ ، فَينْبُتُون نباتَ الحبَّة في حَمِيلِ السَّيلِ » . الحديث[1] .

---

(١) رواه الشيخان .

ومن ذلك : أنَّ الصلاة تُهيّء المصلي وَتُعدُّهُ للسجود يوم تُدعى الخلائق للسجود لربِّ العالمين ، قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾ [القلم : ٤٢ـ٤٣] .

فقد أخبر سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة عن موقف امتحان المُكلَّفين بالسجود يوم القيامة ، وذلك أنه سبحانه يكشف عن نُورٍ عظيمٍ يتجلَّى به على أهل الموقف ، ويدعوهم إلى السجود له تعالى ، كما جاء عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « يَكْشِفُ ربُّنا عن ساقٍ فيَسْجُد له كُلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ ، ويَبْقى من كانَ يسجُدُ في الدنيا رياءً وسُمْعَةً ، فيذهَبُ ليسجُدَ فيَعودُ ظهرهُ طَبقاً واحِداً »[١] .

وفي روايةٍ قال ﷺ : فَيُكْشَفُ عن سَاقٍ فلا يَبْقىٰ من كان يسجُدُ لله مِنْ تِلقاءِ نَفْسهِ إلاّ أَذِنَ اللهُ له بالسجودِ ، ولا يَبْقىٰ من كانَ يسْجُدُ اتِّقاءً ورياءً ـ أي خوفاً من الناس ونفاقاً ـ إلاّ جعلَ اللهُ ظهْرَه طَبَقَةً واحدةً ، كُلَّما أَرادَ أن يَسْجُدَ خَرَّ على قَفاه »[٢] .

والكَشفُ عن الساق الوارد في الآية والحديث ، يفسِّرهُ ما جاء عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قال : عَن نُورٍ عظيمٍ فيخِرُّون له سُجَّداً[٣] .

وجاء من طريق إبراهيم النخعي في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي يُكشف عن أمرٍ عَظيم ، ثم قال :

---

(١) رواه البخاري .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وغيرهم .

يُقَال : قامت الحرب على ساق ، يعني إذا اْشتدّت وعظمت . اهـ[1] .

ومن فضائل الصلاة في الآخرة : أنَّ لها باباً خاصاً من أبواب الجنة يدخل منه المصلي .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَن أَنْفَقَ زوجَيْن في سبيلِ اللهِ ، نُودِيَ مِنْ أبوابِ الجنَّةِ : يا عَبْدَ الله ، هذا خَيرٌ ، فمن كان مِنْ أهلِ الصَّلاةِ دُعِيَ من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجِهادِ دُعِيَ مِنْ بابِ الجهادِ ، ومن كانَ من أهلِ الصيامِ دُعي من بابِ الرَّيَّانِ ، ومن كان من أهلِ الصَّدَقةِ دُعِيَ من بابِ الصَّدَقةِ ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي أنت وأمي يا رسولَ اللهِ ، ما عَلىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تلكَ الأَبْوابِ من ضَرورةٍ ، فهلْ يُدْعىٰ أحدٌ من تلكَ الأَبوابِ كلِّها ؟ فقال ﷺ : نعم ، وأرجو أَنْ تكونَ منهم »[2] .

* * *

---

(١) رواه سعيد بن منصور وابن منده والبيهقي في « كتاب الأسماء والصفات » .

(٢) رواه البخاري .

مُرافَقةُ النبي ﷺ في الجَنة

ومن خصائص الصلاة أيضاً أنها : تُهيّء المصلي وتعدُّه لمرافقة النبي ﷺ في الجنة .

عن ربيعة بن كعب الأَسلمي رضي الله عنه قال : « كُنتُ أخدُمُ النبي ﷺ نهاري ، فإذا كان الليلُ آويتُ إلى باب رسول الله ﷺ فبِتُّ عندَه ، فلا أزال أَسْمَعُهُ ﷺ يقول : سبحانَ الله ، سبحانَ الله ، سبحانَ ربِّي ، حتى أَمَلَّ أو تَغْلِبَني عَيْنِي فأنامُ ، فقال يوماً : يا ربيعةُ ، سَلْني فأعْطِيَكَ ، فقلت : أَنْظِرْني حتّى أَنْظُرَ ، وتَذَكّرتُ أن الدُّنيا فانِيَةٌ مُنقَطِعَةٌ . فقلتُ : يا رسولَ الله ، أَسْأَلُكَ أنْ تَدْعُوَ اللهَ أَنْ يُنْجِيَني مِنَ النَّارِ ويُدْخِلَني الجَنَّةَ ، فسَكَتَ رسول الله ﷺ . ثم قال : مَنْ أَمَرَكَ بهذا؟ قلت : ما أَمَرَني به أحدٌ ، ولكني عَلِمْتُ أَنَّ الدُّنيا منقَطِعَةٌ فانيةٌ وأنتَ من الله بالمكانِ الذي أَنْتَ منه ، فأَحْبَبْتُ أن تَدْعُوَ الله لي . فقال ﷺ : إني فاعلٌ ، فَأَعِنِّي على نفسِك بكثرةِ السُّجودِ »[1] .

عن ربيعة بن كعب أنه قال : كنتُ أَبِيتُ مع رسول الله ﷺ فأتيته بوَضوئه وحاجته ، فقال لي ﷺ : « سَلْني ، فقلت : أسأَلُكَ مُرافَقَتَكَ في الجنةِ . قال : أوَ غَيْرَ ذلك؟ قلت : هُو ذاكَ ، قال ﷺ : فَأَعِنِّي على نفسِك بكثرة السجودِ »[2] .

وجاء عن أبي فاطمةَ رضي الله عنه قال : قال لي نَبيُّ الله ﷺ : « إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَانِي ، فَأَكْثِرِ السُّجُودَ »[3] .

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الإمام أحمد .

رُؤيَةُ رَبِّ العِزّة

ومن فضائل الصلاة في المصلي : أَنها تُقوِّي استعداده لرؤية ربِّ العِزّة جل وعلا .

جاء عن جرير رضي الله عنه قال : كُنّا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة ـ وفي رواية : ليلةَ البدر ـ فقال : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القمرَ لا تُضَامُوْنَ في رُؤْيتِهِ ، فإِنِ ٱستَطعْتُمْ أن لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قبل طُلوعِ الشَّمسِ وقبلَ غروبها ـ زاد مسلم : يعني العصر والفجر ـ فٱفْعَلُوا ، ثم قَرَأَ : ﴿وسَبِّحْ بحَمْدِ ربِّك قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾[1] .

وقوله : « لا تضامون » يُروىٰ مُخففاً من الضَّيْم ، أي : لا ينال أحدكم ضَيمٌ ولا حِرمانٌ ، بل كُلُّكم ترون ربكم ، وَيُروىٰ مُشدّداً ، فهو ينفي الازدحام .

قال العلامة الخطابي : هذا يَدلّ على أنَّ الرؤية قد يُرجىٰ نَيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين ، أي صلاة العصر والفجر اهـ .

قال الحافظ ابن حجر : وقد يُسْتَشهَدُ لذلك بما أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أَدْنى أَهْلِ الجنَّةِ منزلةً ، لَمَنْ يَنْظُرُ إلى جِنانِه وأَزْواجِه ونَعيمِه وخَدَمِه وسُرُرِه مسِيرةَ ألفِ سَنَةٍ ، وأَكْرَمُهُمْ علىٰ الله تعالى مَنْ يَنْظُرُ إلى وجْهِه تعالى غُدْوَةً وعَشِيَّةً ، ثم قرأ ﷺ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٢ـ٢٣] » .

أقول : هذا الحديث رَواهُ أيضاً الإمام أحمد وٱبن أبي الدنيا

---

(١) رواه الشيخان .

مختصراً ، إلاَّ أنه قال في روايته : قال ﷺ : « إنّ أفْضَلَ أهل الجنَّةِ منزلةً ، مَنْ ينْظُرُ إلى وجه الله تعالى كُلَّ يومٍ مرَّتين » .

* * *

تَحِيّةُ رَبِّ العَالمين

والصَّلاةُ فيها تحيةُ ربِّ العالمين ، وَتحيةُ إمام الأنبياء والمرسلين ، وَتحيةُ جَميع عباد الله الصالحين ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنّا إذا كُنّا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فُلان وفلان ، وفي روايةٍ : السلامُ على جبريلَ وميكائيلَ .

فقال النبي ﷺ : « لا تقولوا السلامُ على الله ، فإن الله هو السَّلامُ ، ولكن قولوا : التَّحِيّاتُ للهِ والصَّلَواتُ والطَّيِّباتُ ، السلامُ عَلَيكَ أيُّها النَّبِيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، السلامُ علينا وعلىٰ عبادِ اللهِ الصَّالحين » ، فإنَّكم إذا قُلْتُم ذلك ، أصابَ كُلَّ عَبْدٍ في السماء والأرْضِ - وفي رواية - فإنكم إذا قلتموها أَصابَتْ كلَّ عبدٍ للهِ صالحٍ في السَّماءِ والأرْضِ ، أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأشهَدُ أن محمداً عبدُه ورسوله »[1] .

* * *

اشتمالُ الصلاةِ على الصلاةِ على النبي ﷺ

والصلاة لله تعالى فيها الصلاة على النبي ﷺ ، وهي من أعظم القُربات التي شرعها الله تعالى .

---

(١) رواه البخاري .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحنُ في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أَمَرنا الله عز وجل أَن نُصَلِّيَ عليك يا رسولَ الله ، فكيف نُصَلِّي عليك؟ فسكت رسول الله ﷺ حتى تَمَنَّينا أنه لم يسْأَلْه ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قُولوا اللّهُمّ صَلِّ علىٰ محمدٍ وعلى آل محمد كما صلَّيْتَ على آلِ إبراهيمَ ، وباركْ علىٰ محمدٍ وعلى آل محمد كما باركْتَ على آل إبراهيم إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ ، والسلامُ كما قَد عَلِمْتُمْ » ، أي : في التشهد[1] .

ومن **خصائص الصلاة** : أنَّ من تركها لقي الله تعالى وهو عليه غَضبان .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قام بَصري - أي ذهب بَصَرهُ - قيل : نُدَاويك وتدع - أي تترك - الصلاة أياماً ، قال : لا ، - أي لا أترك الصلاة أبداً - إن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ تَرَكَ الصلاةَ ، لَقِيَ الله وهو عليه غَضْبَان »[2] .

ومن **خصائص الصلاة** : أنَّ من تَركها فقد بَرِئت منه ذِمّةُ الله تعالى .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي ﷺ : « أنْ لا تُشرِكْ بالله شيئاً وإن قُطِّعتَ وإن حُرِّقْتَ ، ولا تتركْ صلاةً مكتوبةً مُتَعَمِّداً ، فمن تركَها مُتعَمِّداً فقد بَرِئَتْ منه الذِّمّةُ ، ولا تشرَبِ الخَمْرَ ، فإنه مفتاحُ كلِّ شرٍّ »[3] .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البزار والطبراني وإسناده حسن كما في « الترغيب » .

(٣) رواه ابن ماجه والبيهقي .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « أتى رسولَ الله ﷺ رجلٌ فقال : يا رسول الله ؛ علِّمْني عَملاً إذا أنا عمِلْتُه دخلتُ الجنةَ ، قال : لا تشرِكْ باللهِ شيئاً وإن عُذِّبْتَ وحُرِّقْتَ ، أطِعْ والِدَيك وإن أخرَجاكَ من مَالِك ومن كُلِّ شَيْءٍ هُوَ لَك ، لا تَتْرُكِ الصلاةَ مُتَعَمِّداً ، فإنَّ مَنْ تركَ الصلاةَ متعمِّداً ، فقد بَرِئَتْ منه ذِمَّةُ اللهِ تعالى »[1] .

وأنَّ من تركها ذهب نُوره وانقطع بُرهَانه وفقد النَّجاة في الآخرة ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « مَنْ حافَظَ عليها كانَتْ له نوراً وبُرْهاناً ونجاةً يومَ القيامةِ ، ومن لمْ يُحافِظْ عليها لم يكنْ له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ ، وكان يومَ القيامةِ مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبَيِّ بن خَلَفٍ »[2] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بَينَ الرَّجُلِ وبينَ الكُفْرِ ، تَرْكُ الصلاةِ »[3] .

* * *

(١) قال المنذري : رواه الطبراني ولا بأس بإسناده في المتابعات اهـ . وقد ورد مثل هذا الحديث في « المسند » وغيره .

(٢) قال المنذري : رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » وابن حبان في « صحيحه » .

(٣) قال المنذري : رواه أحمد ومسلم وقال : « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » ورواه أبو داود والنسائي ولفظه : « ليس بين العبد وبين الكفر إلاَّ ترك الصلاة » . ورواه الترمذي ولفظه : « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » ورواه ابن ماجه ولفظه : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » .

شَرفُ صَلاةِ الجَماعة

ومن شرف الأُمّة المحمدية : ما جعله الله تعالى لها من الخصائص والفضائل لصَلاةِ الجماعة .

فمنها : أنَّ صَلاة الجماعة تزيد على صَلاة الرجل منفرداً بخمس وعشرين ضِعْفاً ، كما صحّ ذلك في الحديث عن النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، وفي روايةٍ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « صلاةُ الجماعةِ أفْضَلُ من صلاةِ الفَذِّ بسَبْعٍ وعِشرين درجةً » ، وفي روايةٍ : « بخمس وعشرين درجة »[١] .

وقد أجابَ النووي عن هذا الخلاف بين الروايتين : بأنَّ ذلك يختلفُ بٱختلاف أحوال المصلِّين والصلاة ، فيكون لبعضهم خمس وعشرون ، ولبعض سبع وعشرون بحسب كَمالِ الصلاة ، ومحافظته على هيآتها وخشوعها وكثرة جماعتها ، وفضلها وشرف البقعة .

ومنها : مغفرةُ الذنوب ، عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ توضَّأَ فأَسْبَغَ الوُضوءَ ثم مشىٰ إلى صَلاةٍ مكتوبةٍ فَصلاّهَا معَ الإِمامِ ، غُفِرَ له ذَنْبُه »[٢] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني الليلة آتٍ منْ ربّي فقال لي : يا محمدُ ، قلتُ : لبّيْكَ ربِّ وسَعْدَيْكَ ، قال : هل تَدْري فيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأعلىٰ؟ قلتُ : لا أعلم ، فوضَعَ يدَه بين كَتِفَيَّ حتى وَجَدْتُ بَرْدَها بين ثَدْيَيَّ ، أو قال : في نَحْري ، فعلِمْتُ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ ، أو قال : ما بين المشرِقِ والمغرِب . قال : يا محمد ، أتدْري فيم يختصِم الملأُ الأعلىٰ؟ قلتُ : نعم ، في الـدَّرجـاتِ ، والكفّـارات ، ونَقْـلِ الأَقـدامِ إلـى الجمـاعـاتِ »[1] . . . الحديث .

ومنها : أنَّ من حافظ على الجماعة ، نال جَائزتين :

أولاً : العتق من النار والنجاة منها .

ثانياً : السَّلامةُ من النفاق ، والتذبذُب في آداب الدِّين ، وطهارة القلب لله ، والإقبال على طاعة الله بإخلاص ، ونورٌ يودَعُ في الصدر يستضيء به المؤمن فيتخلى عن الرذائل ويترك صغائر الذنوب وكبائرها .

فقد جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صلّى للهِ أربعين يوماً في جماعةٍ يُدْرِكُ التكْبيرةَ الأُولىٰ ، كُتِبَ له براءَتَانِ : بَراءةٌ من النارِ ، وبراءةٌ من النِّفاقِ »[2] .

وجاء أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « مَنْ صلّىٰ في مسجدٍ جماعةً أربعينَ ليلةً لا تَفُوتُه الرَّكْعةُ الأُولى من صلاةِ العشاءِ ، كَتَبَ الله له بها عِتْقاً مِن النارِ »[3] .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .
(٢) رواه الترمذي وقال : لا أعلم أحداً رفعه إلاّ ما روى مسلم بن قتيبة عن طعمة بن عمرو .
(٣) رواه ابن ماجه والترمذي .

ومن فضائل الجماعة : أنَّ ثوابها يحصُل لمن عزم على حضورها ، ولو لم يدركها بنيته تَفضُّلاً من الله سبحانه وتعالى ، فالله تعالى يُسوّي ثوابه بثوابهم ، وحسناته بحسناتهم تكرُّماً منه ، وخزائنه لا تنفد ورحمته تترىٰ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فأَحْسَنَ وُضوءَه ثم رَاح فوَجَدَ الناسَ قَدْ صَلَّوا ، أعطاه الله مِثْلَ أَجْرِ مَنْ صلاّها وحَضَرها لا يَنْقُصُ ذلك من أُجورِهم شيئاً »(١) .

وفي روايةِ سعيد بن المسيب عن رجل من الأنصار قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : فذكر الحديث ، وفيه : « فإنْ أَتَىٰ المسجدَ فصلَّىٰ في جماعةٍ غُفِرَ له ، فإن أتىٰ المسجِدَ وقد صَلَّوا بعضاً وبَقِيَ بعضٌ ، صَلَّى ما أَدْرَكَ وأَتمَّ ما بَقِيَ كانَ كذلِكَ ، فإن أَتَىٰ المسْجِدَ وقد صَلَّوا ، فأَتَمَّ الصلاةَ كان كذلك » .

ومن فضائل الجماعة : أنها مَحبوبةٌ إلى الله تعالى ، وكلما كانت كثيرةً كانت أحبَّ إليه ، فصلاةُ الثلاثة أفضل من الاثنين ، والأربعة أفضل من الثلاثة ، وهكذا كلما كثُر الناسُ كان أدعى إلى القبول وأقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

عن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه قال : صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ يوماً الصُّبْحَ فقال : « أشاهِدٌ(٢) فلان؟ قالوا : لا . قال : إنَّ هاتَيْنِ الصَّلاتينِ أَثْقَلُ(٣) الصَّلَواتِ على المُنافِقين ، ولو تَعْلَمُونَ ما فيهِما لأَتَيْتُموهُما ولو

---

(١) رواه أبو داود والنسائي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .
(٢) قوله : « أشاهد » أي أحاضر .
(٣) قوله « أثقل الصلوات » أي إن إدراكهن صعبٌ على من نقص إيمانه واشتهر بين =

حَبوا[١] على الرُّكَبِ وإنَّ الصَّفَّ الأَوّلَ على مثلِ صَفِّ الملائكةِ ولو عَلِمْتُمْ ما فضيلَتَه لابتَدَرْتُموهُ ، وإنَّ صلاة الرَّجُلِ مع الرَّجُلِ أَزْكىٰ[٢] منْ صلاتِه وحدَه ، وصلاتُه مع الرَّجُلين أَزْكى من صلاتِه معَ الرَّجُلِ ، وكلُّ ما كَثُرَ أَحَبُّ إلى اللهِ عز وجلّ »[٣] .

وعن قُباث بن أَشِيم الليثي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاةُ الرَّجلين يَؤُمُّ أحدُهما صاحبَه ، أَزْكى عند الله من صلاةِ أربعةٍ تَتْرىٰ ، وصلاة أربعةٍ أزْكى عند الله من صلاةِ ثمانيةٍ تَتْرى ، وصلاةُ ثمانيةٍ يؤُمُّ أحدُهم أزكىٰ عند الله من صلاةِ مائةٍ تَتْرىٰ »[٤] .

ومن فضائل الجماعة : أنَّ المُصلي يَنالُ بركة التأمين والتسميع والتحميد ، فقد روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قالَ الإمامُ : سمعَ الله لمن حمِدَه ، فقولوا : اللهم ربَّنا لك الحمدُ ، فإنَّه مَنْ وافقَ قولُه قولَ الملائكةِ ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه » .

وفي رِوايَةٍ : « إذا أَمَّنَ الإمامُ فأمِّنُوا ، فإنَّه من وَافَقَ تأمينُه تأمينَ الملائكةِ ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه » ، وفي روايةٍ « إذا قال أحدُكم : آمين والملائكةُ في السَّماءِ آمينَ ، فوافَقَتْ إحداهُما الأُخرىٰ ، غُفِرَ له ما تَقدَّمَ من ذنبِه » ، وفي رواية : « إذا قال القارىءُ : غير المَغْضُوبِ عَليهِمْ

= المسلمين بتزحزُح العقيدة وتباعده عن اتباع الكتاب والسنة وتقصيره عن درك الثواب الجزيل .

(١) « حبواً » أي زاحفين ، أي تحرصون على الحضور ولو أعياكم المشي فتزحفون .

(٢) « أزكى » أنقى وأطهر .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحيهما » والحاكم وقد جزم يحيى بن معين والذهلي بصحة هذا الحديث .

(٤) رواه البزار والطبراني بإسناد لا بأس به .

ولا الضّالِّينَ ، فقال مَنْ خَلْفَه : آمين ، فوافَقَ قولُه قولَ أهلِ السَّماءِ ، غُفِرَ له ما تقَدَّم من ذَنْبِه »[1] .

وقوله ﷺ : « من وافَقَ قولُه قولَ الملائكةِ ، ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة » معناه : وافقهم في وقت التأمين فأمّنَ مع تأمينهم ، فهذا هو الصحيح والصواب ، وحكى القاضي عياض قولاً : إنَّ معناه وافقهم في الصفة والخشوع والإخلاص ، واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل : هم الحَفَظة ، وقيل غيرهم ، لقوله ﷺ : « فوافق قوله قول أهل السماء » ، وأجاب الأولون عنه : بأنه إذا قالها الحاضرون من الحفظة ، قالها من فوقهم حتى ينتهي إلى أهل السماء .

ومن **فضائل الجماعة** : أنَّ في الصف الأول فضلاً عظيماً لو علمه الناس لاقتتلوا عليه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إنَّ رسول الله ﷺ قال : « لو يَعْلَمُ الناسُ ما في النداءِ والصَّفِّ الأَوَّلِ ثم لمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عليه لاسْتَهَمُوا ، ولو يَعْلَمُونَ ما في التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إليهِ ، ولو يَعْلَمُون ما في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأَتَوهُمَا ولو حَبْواً »[2] .

ومعناه : لو يعلمونَ ما في الصفِّ الأول من الفضيلة نحو ما سبق وجاؤوا إليه دفعةً واحدةً وضَاق عنهم ، ثم لم يَسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه .

وقوله : « لو يعلمون ما في التهجير » ، التهجيرُ : التبكيرُ إلى الصلاة ، أيَّ صلاة كانت .

قوله : « لو يعلمون ما في العتمة والصبح » ، العَتمة : العشاء .

---

(١) روى جميع ذلك مسلم في « صحيحه » .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لو تَعْلَمونَ أو يعلَمُونَ ما في الصَّفِّ المُقَدَّمِ لكانَتْ قُرْعَةٌ » ، وقال ابن حرب : الصَّفُّ الأَوَّلِ ما كانتْ إلاّ قرعةً(١) .

والصف الأول هو خير الصُّفوف ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ صُفوفِ الرِّجال أَوَّلُها وشَرُّهَا آخِرُها ، وخيرُ صُفوفِ النِّسَاءِ آخِرُها وشَرُّها أَوَّلُها »(٢) .

والمراد بشرِّ الصفوف في الرجال والنساء : أقلها ثواباً وفضلاً وأَبعدها من مطلوب الشرع ، وخيرها بعكسه ، وإنما فُضِّل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لِبُعدهنَّ عن مُخالطةِ الرجال ورؤيتهم وتعلُّق القلب بهم عند رؤية حَركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك ، وذُمَّ أول صُفوفهنَّ ، لعكس ذلك . والله أعلم .

واعلم أنّ الصف الأول الممدوح الذي قد وردت الأحاديث بفضله والحث عليه ، هو الصف الذي يلي الإمام ، سواءٌ جاء صَاحبه متقدِّماً أو متأخِّراً ، وسواءٌ تخلَّله مقصورةٌ ونحوها أم لا ، هذا هو الصحيح الذي يقتضيه ظواهر الأحاديث ، وصرّح به المحقِّقون .

ومن فضائل الجماعة : أنَّ من صَلّىٰ العشاءَ في جماعةٍ ، فكأنَّما قامَ نِصْفَ الليلِ ، ومن صلّىٰ الصُّبْحَ في جماعةٍ فكأَنَّما صَلّىٰ الليلَ كُلَّه . كما في الحديث(٣) .

ومن خصائص الجماعة : أنَّ من سمع نِدَاءها ولم يُجِب بالحضور

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مالك ومسلم وأبو داود . ولفظه : « من صلى العشاء والفجر في جماعة » ، الحديث .

والمشاركة مع خُلوِّه من الأعذار ، فإن صلاته ناقصة .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ سَمِعَ النِّداءَ فلم يَمْنَعْه من اتِّبَاعِه عُذْرٌ . قالوا : وما العذرُ؟ قال : خَوفٌ أو مَرضٌ ، لم تُقْبَلْ منه الصَّلاةُ التي صلّى[1] .

ومن خصائص الجماعة : أنها تَدفعُ الوسواس ، وَتحفظُ من الشيطان ، وأنَّ القَوم الذين لا تُقام فيهم الجماعة يستحوذُ عليهم الشيطان .

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَا مِنْ ثلاثةٍ في قَرْيةٍ ولا بَدْوٍ لا تُقامُ فيهم الصَّلاةُ إلا قَدِ ٱستَحوَذَ عليهِم الشَّيْطانُ ، فَعَليكم بالجَماعة فإنما يأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ »[2] .

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « ولو أنّكم صَلّيْتُم في بُيوتِكم كما يُصَلّي هذا المُتَخَلِّفُ في بيتِه لتَرَكْتُم سُنَّةَ نَبِيِّكم ، ولو تركْتُم سنَّةَ نبيِّكم لضَلَلْتُمْ »[3] . الحديث .

ومن خصائص المحافظة على الجماعة : أنها عَلامةُ الإيمان والمواصلةُ مع الله سبحانه وتعالى ، وفي تركها والإعراض عنها صورة من صور الجفاء والكفر والنفاق .

فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الجَفَاءُ كلُّ الجفاءِ والكفرُ والنفاقُ : مَنْ سمع منادِيَ الله يُنادي إلى الصَّلاةِ ، فلا يُجِيبُه »[4] .

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وابن ماجه ، بنحوه .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم . وزاد رزين في « جامعه » « وإنّ ذئب الإنسان الشيطان إذا خلا به أكله » .

(٣) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما .

(٤) رواه أحمد والطبراني من رواية زبان بن فائد .

وفي تركها أيضاً عَلامةُ الشقَاء والخيبة . فقد قال ﷺ : « بِحَسْبِ الْمُؤْمِنِ من الشَّقَاءِ والخَيْبَةِ أَنْ يسْمَعَ المؤَذِّنَ يثَوِّبُ بالصلاةِ فلا يُجِيْبُه » .

وَالمرادُ بالتثويب هنا إقامة الصلاة .

ومن خصائص الجماعة : أنَّ النبي ﷺ توعّد تاركها بأن يحرقه بالنار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ فِتْيَتي فَيَجْمَعُوا لي حُزَماً من حَطَبٍ ، ثم آتِيَ قوماً يُصَلُّون في بيوتِهِم ليست بهم علَّةٌ فأُحَرِّقَها عليهم » ، فقيل ليزيد ـ هو ابن الأصم ـ : الجمعةَ عَنَى أو غيرها ، قال : صُمَّتْ أُذنايَ إن لم أكن سمعتُ أبا هريرة يأثِرهُ عن رسول الله ﷺ ولم يذكر جُمعةً ولا غيرها[١] .

ويكفي أن ابن أم مكتومٍ وهو أعمى يقول : قُلت : يا رسول الله ، أنا ضَريرٌ شَاسِع الدار[٢] ، وَلي قائد لا يُلايِمُني[٣] ، فهل تَجِدُ لي رُخصةً أن أصلِّيَ في بيتي . قال : أتسمَعُ النداءَ؟ قال : نعم . قال : ما أجِدُ لك رُخصَةً[٤] .

* * *

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي مختصراً .

(٢) قوله : شاسع الدار : بعيد الدار .

(٣) قوله : ولي قائد لا يلايمني أي مرشد لا يرفق بي ، ولا يقودني بسهولة .

(٤) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » والحاكم .

فَضلُ الصَّفِّ الأوَّل ومَا يتعلَّقُ بالصُّفُوف

ومن فضائل هذه الأُمَّة : ما جاء في فَضل الصَّفّ الأول .

فمن ذلك : أنَّ فيه ثواباً مُدّخراً عند الله تعالى أَخفاهُ عنّا ، ولو كُشف عنه لتسابق الناس إليه حتى يضطروا إلى ضَرب القُرْعة لفصل المُنازعة في شأنه ، وهو معنى قوله ﷺ : « لَوْ يَعْلَمُ الناسُ ما في النِّداءِ والصَّفِّ الأَوَّلِ ، ثم لم يَجِدُوا إلاّ أن يَسْتَهِموا عليه ، لاسْتَهَمُوا »[١] .

وفي روايةٍ لمسلم : « لو تَعْلَمُونَ ما في الصَّفِّ المُقَدَّمِ ، لكانتْ قُرْعَةٌ » . والصَفّ الأول هو خيرُ صفوف الرجال ، قال ﷺ : « خيرُ صُفوفِ الرِّجالِ أوَّلُها ، وشَرُّها آخرُها . وخيرُ صُفوفِ النِّساءِ آخِرُها ، وشَرُّها أَوَّلُها » .

وكـان ﷺ يستغفـر لأهـل الصَّـفّ الأول ويصلـي عليهـم ، فعـن العِرْباض بن سارية رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يَستغفرُ للصَّفِّ المقدَّمِ ثلاثاً ، وللثاني مرة[٢] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه ابن ماجه والنسائي وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما ولم يخرِّجا للعرباض ، وابن حبان في صحيحه ولفظه : كان يصلِّي على الصف المقدم ثلاثاً . وعلى الثاني واحدة ولفظ النسائي كابن حبان إلا أنه قال : كان يصلِّي على الصف الأول مرتين .

بل الله تعالى وملائكته الكرام يَدعُون لأهل الصفِّ الأول بالغفران والرضوان مرتين .

فعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّونَ على الصَّفِّ الأولِ ، قالوا : يا رسول الله ، وعلى الثاني ، قال : إنَّ الله وملائكته يُصَلُّونَ على الصَّفِّ الأول . قالوا : يا رسول الله ، وعلى الثاني؟ قال : وعلىٰ الثاني » .

وقال رسول الله ﷺ : « سَوُّوا صُفُوفَكم وحَاذُوا بينَ مَناكِبِكم ، ولِيْنُوا في أيْدي إخْوَانِكُمْ ، وسُدُّوا الخَلَلَ فإنّ الشيطانَ يَدْخُلُ فيما بينكم بمنزلةِ الحَذَف » ، يعني أولاد الضأن الصِّغار[1] .

وَتسويةُ الصفوف من تَمام الصلاة ، وقد أمرنا ﷺ بذلك، فقال : « سوُّوا صفوفَكم ، فإن تَسْوِيَةَ الصَّفِّ من تَمامِ الصلاة »[2] .

وفي روايةٍ للبخاري : « فإن تسويةَ الصُّفوفِ من إقامةِ الصَّلاةِ » .

ورواه أبو داود ولفظه : إنّ رسول الله ﷺ قال : « رُصُّوا صُفوفَكم[3] وقاربوا بينَها وحاذُوا بالأَعْناقِ ، فوالذي نفسي بيدِه إني لأرىٰ الشَّيْطَانَ

---

(١) رواه أحمد بإسناد لا بأس به والطبراني وغيره .

قوله : « إن الله وملائكته يصلون..الخ » أي يدعون بالغفران والرضوان لمن سبق فأدرك أول صف في المسجد .

وقوله : « ولينوا في أيدي إخوانكم » أي : اتبعوا إشارة إخوانكم ورأيَ أصحابكم ويكون المؤمن هيناً ليناً سهلاً متواضعاً قابلاً للإرشاد .

وقوله : « وسدّوا الخلل » أي : املأوا الفرجة وسدّوا الثغرة في صفوفكم .

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم .

(٣) وقوله : « رصّوا صفوفكم » أي ضمّوها إلى بعض وتقاربوا وتحاذوا لجنب .

والخلل : بفتح الخاء المعجمة واللام أيضاً : هو ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراصّ .

يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ ، كأنَّها الحَذَفُ » .

ورواه النسائي وابن خُزيمة وابن حِبّان في « صحيحيهما » نحو رواية أبي داود .

وفي وصل الصفوف ، والانقياد لِسَدِّ الفُرَج ثَوابٌ عَظيم .

قال رسول الله ﷺ : « أَقِيمُوا الصفوف ، وحَاذُوا بين المناكِبِ ، وسُدُّوا الخَلَلَ ، وَلِيْنُوا بأيدي إخوانِكم ، ولا تَذَرُوا فُرُجَاتِ الشَّيطانِ ، ومَنْ وَصَلَ صفّاً وصله الله ، ومن قَطَعَ صفّاً قطعه الله »[١] .

وقال ﷺ : « أَلا تُصَفُّون كما تُصَفُّ الملائِكَةُ عندَ ربِّها؟ فقال الصحابي الراوي : يا رسول الله ، وكيفَ تُصَفُّ الملائكةُ عند ربِّها؟ قال : يُتِمُّونَ الصُّفوفَ الأُولَ ويَتَرَاصُّونَ في الصَّفِّ »[٢] .

والحريصُ على وصل الصَّفِّ هو من خِيَار الأُمّة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « خِيَارُكم ، أَلْيَنُكُم مناكِبَ في الصلاةِ »[٣] .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وعند النسائي وابن خزيمة آخره .

الفرجات : جمع فرجة ؛ وهي المكان الخالي بين الاثنين .

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٣) رواه أبو داود .

قوله : « أَلينكم مناكب في الصلاة » أي ألزمكم للسكينة والوقار والخشوع ويحتمل أن يكون معناه أي : لا يمتنع لضيق المكان على مَن يريد الدخول بين الصفوف لسد الخلل ، بل يمكّنه من ذلك ولا يدفعه بمنكبه أو أنه يطاوع من جره ليصطف معه إذا لم يجد فرجة اهـ . « فيض القدير » ٣/٤٦٦ .

فتجد الحديث يشمل ثلاثة :

أولاً ـ التؤدة وترك العبث والخشوع لله .

ثانياً ـ إذا كانت هناك فرجة ضيقة لا تسع شخصاً ، فجاء شخص ضمّ نفسه ، =

والحَريصُ على وصل الصُّفوف وَسدِّ الفُرَج ، هو ممّن يُصلِّي عليه الله وملائكته .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله وملائكَتَه يُصَلُّون على الَّذِين يَصِلُون الصُّفوفَ »[1] .

والخطوة التي يَخطُوها المسلم لوَصْل الصفِّ ، هي أعظم الخطوات أجراً ، وهي أحبها إلى الله ، ومَن سَدّ فُرجةً رفعه الله بها درجة ، وبنىٰ له بيتاً في الجنة وغفر له وذرَّت عليه الملائكة من البر ، وهذا كله أخبرنا عنه ﷺ بقوله : « ومَا مِنْ خَطْوَةٍ أَعْظَمَ أَجْراً من خَطْوَةٍ مَشَاهَا رَجُلٌ إلى فُرْجَةٍ في الصَّفِّ فَسَدَّهَا »[2] .

* * *

= ولين منكبه حتى وسعه ، وهذا معنى جميل يدعو المسلمين إلى اتساع الصدر والترحيب بالطائع والمشاركة في الخير والتحمُّل والصبر ، وأن تحِبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك .

ثالثاً ـ إذا جره شخص ليصطف معه لين منكبه وطاوعه . تلك خلال المؤمنين [هيِّنون ليِّنون أيسار ذوو كرم] .

(١) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم زاد ابن ماجه : « ومن سدَّ فُرْجة رفعه الله بها درجة » .

(٢) رواه البزار بإسناد حسن . وقوله : « مَن سدَّ فرجة رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتاً في الجنة » رواه الطبراني في « الأوسط » وقوله : « مَن سدَّ فُرجة في الصفِّ غُفر له » رواه البزار بإسناد حسن . وقوله : « ولا يصِل عبد صفاً إلا رفعه الله به درجة وذرت عليه الملائكة من البر » رواه الطبراني في « الأوسط » .

فَضلُ الإمَامة

من فضائل الإمام : أنه كَفيلٌ بحسن الصلاة وأدائها ، فهو يحفظُ على القوم صلاتهم ، ولذلك فإن النبي ﷺ جعله ضَامناً .

ومن فضائله : أنه إن أحسنَ في صلاته ، كان له من الأجر مثل أجر من صَلىٰ خلفه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أَمَّ قوماً فَلْيَتَّقِ الله وَلْيَعْلَمْ أنَّه ضَامِنٌ مسؤُولٌ لِما ضَمِنَ ، وإن أَحْسَنَ كانَ له من الأَجْرِ مثلُ أجْرِ مَنْ صلّىٰ خلْفَه من غيرِ أنْ يَنْقُصَ من أُجورِهم شَيْئاً ، وما كانَ من نقْصٍ فهو عليه »(١) .

ومن فضائله : أنه يوم القيامة على كثيبٍ من مسك ، لا يهولُه الفَزعُ الأكبر ولا ينالُه الحساب ، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « ثَلاثةٌ على كُثْبانِ الْمِسْكِ ، أراه قال : ـ يومَ القيامة : عبدٌ أدّىٰ حقَّ الله وحقَّ مواليهِ ، ورَجُلٌ أَمَّ قوماً وهُمْ به رَاضُون ، ورجُلٌ ينادي بالصلواتِ الخَمْسِ في كلِّ يومٍ وليلةٍ »(٢) .

* * *

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » من رواية معارك بن عباد .

(٢) رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن . ورواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط » بإسناد لا بأس به ولفظه : « قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا يهولهم الفزع الأكبر ولا ينالهم الحساب وهم على كثيب من مسك حتى يفرغ من حساب =

فَضلُ التأمين

ومما خَصّ الله به هذه الأُمّة : التأمين ، وَمعناهُ : اللهم استجب ، أو كذلك فأفعل ، أو كذلك فليكن ، وهو من خصائص هذه الأُمّة التي تُحسد عليها .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « ما حَسَدَتْكُم اليهودُ على شيء ، ما حَسَدَتْكم على السلامِ والتأمينِ »[1] .

وفي روايةٍ : أنَّ رسول الله ﷺ ذُكرت عنده اليهود فقال : « إنهم لم يَحْسُدُونا على شيءٍ كما حَسَدُونا على الجُمُعَةِ التي هَدانا اللهُ لها وضَلُّوا عنها ، وعلى القِبْلَةِ التي هَدانا اللهُ بِها وضَلُّوا عنها ، وعلى قولِنا خلفَ الإمامِ : آمينَ »[2] .

وفي روايةٍ : « إنَّ اليهودَ قد سَئِموا دينَهم ، وهم قَومٌ حُسَّدٌ ولم يحسدوا المسلمين على أفضلَ من ثلاث : رَدِّ السلامِ ، وإقامةِ الصُّفوفِ ، وقولِهم خَلْفَ إمامِهم في المكتوبةِ آمين »[3] .

= الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوماً وهم به راضون » الحديث .

(١) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح ، وابن خزيمة في صحيحه .

(٢) رواه أحمد في المسند .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن .

وقد كان ﷺ يَفْتَخِرُ بهذه العَطية ويقول : « إن الله قد أعْطاني خِصَالاً ثلاثة : أعطاني صلاةً في الصُّفوفِ ، وأعطاني التَّحِيَّةَ إنها لتحيةُ أَهْلِ الجنَّةِ ، وأعطاني التَّأْمِيْنَ ، ولم يُعْطِه أَحَداً مِنَ النَّبِيِّينَ قَبْلي ، إلاَّ أَنْ يكونَ اللهُ قَدْ أعطاهُ هارونَ يَدعو موسى وَيُؤَمِّنُ هارون »[1] .

والتأمين بَابٌ من أبواب المغفرة ، كان النبي ﷺ يقول : « إذا قالَ الإمامُ : غير المغْضُوبِ عليهِمْ ولا الضَّالِّيْنَ ، فقولوا : آمين ، فإِنَّهُ مَنْ وافَقَ قولُه قولَ الملائكةِ ، غفر له ما تَقَدَّمَ من ذنبِه »[2] .

مَعناهُ : وافقهم في وقت التأمين فَأَمَّنَ مع تأمينهم ، فهذا هو الصحيح والصواب ، وحكى القاضي عياض قولاً : إنَّ معناه : وافقهم في الصِّفَة والخُشوع والإخلاص .

واختلفوا في هؤلاء الملائكة ، فقيل : هُم الحفظة ، وقيل غيرهم لقوله ﷺ : « فوافق قوله أهل السماء » . وأجاب الأولون : بأنه إذا قالها الحَاضرون من الحفظة ، قالها مَن فوقهم حتى ينتهي إلى أهل السماء . اهـ .

بل إنَّ هذه المغفرة تشمل حتى أهل المسجد ، فقد جاء في روايةِ النسائي : « فإنَّه من وَافَقَ كلامُهُ كلامَ الملائكةِ ، غُفِرَ لِمَنْ في المسجِدِ » .

وهذه المغفرةُ شَاملةٌ لما تَقدم من الذُّنوب ، كما أخبر عنه ﷺ بقوله : « إذا قال الإمام ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال الذين خلفه : آمين . التقت من أهل السماء وأهل الأرض آمين غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه » . وهذا يعني الصغار .

---

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه من رواية زربى مولى آل المهلب ، وتردد في ثبوته .
(٢) رواه مالك والبخاري ، واللفظ له ، ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

وقد وَعد ﷺ من قال : آمين ، بالإِجابة بقوله : « فقولوا : آمين ، يُجِبْكم » .

وقد كان الصحابَة رضي الله عنهم يحرصون على خَتم دعائهم بلفظ : آمين ، ويقول لهم الصحابي الجليل أبو زُهير النميري : إنَّ آمين مثل الطابع على الصحيفة ، فكان إذا دعا أحدهم في المجلس يقول له : اختمه بآمين . ويقول لهم : خرجنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة نمشي ، فأتينا على رجل قد ألحّ في المسألة ، فوقف النبي ﷺ يستمِع منه ، فقال النبي ﷺ : « أَوْجَبَ إن خَتَم ، فقال رجل من القوم : بأي شيء يَخْتِمُ ، فقال : بآمين ، فإنه إن خَتَمَ بآمينَ ، فقد أَوْجَبَ » ، فانصرف الرجلُ الذي سأل النبي ﷺ فأتى الرجل فقال : اخْتِمْ يا فلانُ بآمينَ وأَبْشِرْ[1] .

والمُؤمِّنُ على دُعاء أخيه ، شَريكٌ له في تَوجُّهه وإقباله وإجابته .

قال ﷺ : « لا يجتمعُ مَلأٌ فيدعُو بعضُهم ويؤمِّنُ بعضُهم إلاّ أجَابَهم اللهُ »[2] .

ومن هنا كان التاركُ لهذا اللفظ الجليل محروماً ، يقول ﷺ : « ومَثَلُ الذي لا يقولُ : آمين ، كَمثَلِ رَجُلٍ غَزا مع قومٍ فاقْتَرَعُوا فَخَرجَ سِهَامُهُمْ ، ولم يخرجْ سَهْمُه فقالَ : ما لِسَهْمي لَمْ يَخْرُجْ؟ قال : إنَّكَ لَم تقل آمين »[3] .

---

(١) رواه أبو داود .

قوله : ألحّ أي أقبلَ على الطلب مواظباً ، وأكثرَ من الرجاء في إتمام مسألته يقال : ألحّ السحاب دام مطره ، وألحّ الرجل على شيء ألحف وقوله : « أوجب » أي صارت إجابته محقَّقة ، وقضاء وطره مأمولاً .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم .

وفي هذا الحديث يُشَبِّهُ ﷺ الذي غَفل عن ذكر آمين مع الإمام وسها واشتغل بغير مُراقبة الإِمام ، بجنودٍ حَاربُوا فَفَازوا ، وغزوا فانتصروا ، ثم اجتمعوا بعد الفتح المبين لتقسيم الغنائم ، وتوزيع الجوائز ، إلاَّ جنديٌّ واحدٌ لم يخرج سَهمُه في القُرعة ، وخسر ولم يأخذ شيئاً من الغنائم ، فسأل قَائدهُ : لماذا لم يخرج سهمي؟ فقال : لأنك لم تَطلب ولم تتضرَّع إليه مع المأمومين ، فلم تقل : « آمين » . إنّ هذا مَثلٌ مَحسوسٌ لمن قال ففاز ، ومن لم يقل فلم يَفُز .

ومن هنا كان ﷺ يأمرنا بإكثار التأمين فيقول : « أَكْثِرُوا مِنْ قولِ آمينَ »[1] .

* * *

(١) رواه ابن ماجه .

فَضَائِلُ صَلاةِ الجُمعَة

ومن الشَّرف الذي جعله الله لهذه الأُمّة : أنه اختصها بيوم الجمعة وجعله عيداً عظيماً ، وجعل من الخصائص والفضائل له ولصلاته ما يرتفع به قَدرهُ وَيعْظُم أمره .

فمنها : تكفيرها للذنوب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثم أَتىٰ الجُمُعَةَ فٱسْتَمَعَ وأَنْصَتَ ، غُفِرَ له ما بينَه وبينَ الجُمُعَةِ الأُخرىٰ وزيادَةُ ثلاثةِ أيَّامٍ ، ومن مَسَّ الحَصا فقَدْ لَغا »[1] .

قال النووي : وفي هذا الحديث النهي عن مَسّ الحَصا وغيره من أنواع العبث في حالة الخُطبة ؛ وفيه إشارةٌ إلى إقبال القلب والجوارح على سماع الخُطبة ، والمراد باللغو هنا ، الباطل المذموم المردود .

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنِ ٱغتَسَلَ يومَ الجُمعةِ ومَسَّ مِنْ طِيْبٍ إِنْ كانَ عِندَه ولَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيابِه ثم خَرَجَ حتى يأتي المسجد فيركع ما بدا له ولم يؤذ أحداً ثم أنصت حتَّىٰ يُصَلِّيَ ، كان كَفَّارةً لما بينَها وبين الجُمُعَةِ الأُخْرىٰ »[2] .

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم وغيره .
(٢) رواه الإمام أحمد والطبراني وابن خزيمة في « صحيحه » .

يقول : « مَنْ غسلَ يومَ الجمُعةِ واغْتَسلَ وبَكَّرَ وابْتكَرَ ومَشى ولم يَرْكَبْ وَدَنا مِنَ الإِمَامِ فاسْتَمَعَ ولم يَلْغُ ، كانَ له بِكُلِّ خَطْوَةٍ عملُ سَنَةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها » .

وعنه رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « الصَّلوَاتُ الخمسُ ، والجمُعةُ إلى الجمعةِ ، ورَمضانُ إلى رمضانَ ، مُكَفِّراتٌ ما بينَهُنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكبائرُ »[(١)] .

ومنها : أنَّ صلاةَ الجُمعة تُضيءُ الطَرِيق لأهلها يوم القيامة .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تُحْشَرُ الأيَّامُ علىٰ هَيْئَتِها وتُحْشَر الجُمعةُ زَهْراءَ مُنِيْرَةً ، أهلُها يَحُفُّونَ بِها كالعَرُوسِ تُهْدَى إلى خِدْرها تُضِيءُ لَهُمْ يَمشُون في ضَوْءِها ، أَلْوانُهُمْ كالثَّلْجِ بَيَاضاً وَرِيْحُهُم كالمِسْكِ يَخُوضُون في جِبَالِ الكَافُورِ يَنْظُرُ إليهم الثَّقلانِ لا يَطْرُقُونَ تَعجُّباً - أي من حُسن منظر أهل الجمعة - حَتَّىٰ يدْخُلوا الجَنَّةَ لا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إلاّ المؤَذِّنُونَ المُحْتَسِبُونَ »[(٢)] .

ومنها : أنَّ درجات الثَّواب تتفاوتُ بحسب التبكير إلى حضور صلاة الجمعة ، فكُلما بَكّر بالحضور ، نَال أجراً أكبر وأعظم .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من اغْتَسَلَ يومَ الجُمعةِ غُسْلَ الجنابَةِ ثم راحَ في السَّاعَةِ الأُولىٰ ، فكأَنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً ، ومن راحَ في الساعةِ الثَّانيةِ ، فكأَنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً ، ومن راحَ في السَّاعةِ الثَّالِثَةِ ، فكأَنَّما قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرَنَ ، ومَنْ رَاحَ في السَّاعةِ الرابعةِ ، فكأنما قَرَّبَ دَجَاجَةً ، ومَنْ راحَ في السَّاعةِ الخَامِسَةِ ، فكأَنَّما قَرَّبَ بَيْضَةً ، فإذا خَرَجَ الإمامُ حَضرَتِ المَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ »[(٣)] .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الطبراني وابن خزيمة في «صحيحه» .
(٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن .

وفي رواية لهما : « إذا كانَ يومُ الجمعةِ ، وَقَفَتِ الملائكةُ على بَابِ المسجدِ يَكتبُون الأَوّلَ فالأَوّلَ ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ ـ أي المُبَكِّر ـ كمثَلِ الذي يُهْدي بَدَنَةً ، ثم كالذي يُهْدي بَقَرةً ، ثم كَبْشاً ثم دَجَاجةً ، ثم بَيْضَةً ، فإذا خرَجَ الإمامُ طَوَوا صُحُفَهُم يَستمعونَ الذِّكْرَ » .

وجاء في روايةِ أحمد : قيل لأبي أُمامة رضي الله عنه : يا أُبا أُمامة ، ليس لِمَنْ جاءَ بعدَ خروجِ الإمام جُمُعَةٌ؟ فقال : بلى ، ولكن ليس مِمَّنْ يُكْتَبُ في الصُّحُفِ .

يعني أن الكتابة في الصُّحف على مَراتب مُختلفة ، كما هي أيضاً مُختلفةٌ في رفعها ومنزلتها عند الله تعالى ، فالصحيفةُ التي يُكتَب فيها المبادرون إلى الصلاة قبل الخطبة لها شأنٌ وَرفعٌ خاصّان .

ومنها : أنَّ في يوم الجمعة سَاعة هي أَفضلُ سَاعاتها ، وفيها الإجابة .

فعن أبي بُردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال لي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أسمعتَ أباكَ يحدِّث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟ قال : قُلت : نعم ، سمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هي ما بينَ أنْ يَجْلِسَ الإمامُ ـ يعني على المنبر ـ إلى أن تُقضى الصلاةُ »[١] .

قال المنذري : وإلى هذا القول ذهب طَوائفُ من أهل العلم اهـ . يعني أنّ تعيين ساعة الإجابة قد اختلف فيه العلماء وَلكُلٍّ دليله ، وقد بسط الحافظ ابن حجر تلك الأقوال مُفَصّلةً .

ومن أقواها : أنها حين تُقام صَلاةُ الجمعة إلى الانصراف منها كما

---

(١) رواه مسلم وغيره .

تقدم ، وقد روى الترمذي وابن ماجه عن عمرو بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنَّ في الجمعةِ ساعةً لا يسألُ الله العبدُ فيها شيئاً ، إلا آتاهُ اللهُ إياه ، قالوا : يا رسول الله ، أيّ ساعةٍ هي؟ قال : هي حين تُقامُ الصلاةُ إلى الانصرافِ » .

ومنها : أنها بعد صلاة العصر ، لما ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الْتَمِسُوا الساعةَ التي تُرْجى في يومِ الجمعةِ بعدَ العصرِ إلىٰ غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ »[1] .

ومنها : أنها تَبدأُ من حين تَدلّي الشمس للغروب إلى أن يتكامل غُروبها ، قال المنذري في « الترغيب » : قال الحافظ أبو بكر بن المنذر : اختلفوا ـ أي : الصحابة والتابعون فمَن بعدهم ـ في وقت الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء من يوم الجمعة ، فروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : هي من بعد طُلوعِ الفجْرِ إلى طلوعِ الشمسِ ، ومن بعد صلاة العصر إلى غُروبِ الشمس .

وقال الحسن البصري وأبو العالية : هي عند زوال الشمس ، وفيه قَولٌ ثَالثٌ وهو : أنه إذا أَذّن المؤذِّن لصلاة الجمعة ، رُويَ ذلك عن عائشة رضي الله عنها .

ومن فضائل يوم الجمعة : أنَّ الصلاة والسلام على النبي ﷺ فيه يَزدادُ فضلهما وَيعظُم أجرهما .

فعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ مِنْ أفضل أيامكم يومَ الجُمعةِ ، فيهِ خَلَقَ اللهُ آدَمَ ، وفيه قُبِضَ ، وفيه النَّفْخَةُ ، وفيه الصَّعْقَةُ ، فأكثِرُوا مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ فيه ، فإن صلاتكُم يومَ الجمعةِ

---

(١) رواه الترمذي وقال : حسن غريب .

معروضَةٌ عَليَّ قالوا : وكيف تُعْرَضُ صلاتُنا عليكَ وقد أَرِمْتَ؟ ـ أي بَليت بعد الموت ـ فقال ﷺ : إنَّ الله عزَّ وجلَّ حرَّمَ على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ »[1] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثِرُوا من الصلاة عَليَّ كُلَّ يومِ الجُمعةِ ، فإنَّه مشهودٌ تَشهدهُ المَلائِكَةُ ، وإنَّ أحَداً لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إلاَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ صلاتُه حتى يَفْرُغَ منها ، قَال قُلت : وبعد الموت؟ ـ أي هل تُعْرَض صَلاتُنا عليكَ يا رسول الله بعد الموت ـ فقال : إنَّ الله حـرَّمَ علـى الأرضِ أن تَـأكُـلَ أجسـادَ الأَنبيـاءِ عليهـم الصـلاة والسلام »[2] .

وروى البيهقي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : أكثِرُوا الصلاةَ عَليَّ في الليلةِ الغرَّاءِ واليومِ الأَزْهَرِ ، ليلةِ الجمُعَةِ ويومِ الجمعةِ »[3] ، قال بعض العارفين رضي الله عنهم : أقلُّ حَدّ الإكثار ثلاثمائة أو أربعمائة .

ومن فضائل يوم الجمعة : ما جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال : « من قَرأَ سورةَ الكهفِ في يومِ الجمعةِ ، أَضاءَ له من النورِ ما بين الجُمُعتَين » .

ورواه الدارمي في « مسنده » موقوفاً على أبي سعيد ولفظه : قال : « من قَرأَ سورةَ الكهفِ ليلةَ الجمعةِ ، أضاءَ له من النُّورِ ما بينَه وبين البيتِ العتيقِ » .

وقال ﷺ : « من قرأَ سورةَ الكهفِ يومَ الجمعةِ ، سَطَعَ له نورٌ مِنْ

---

(١) قال المنذري : رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وأحمد .
(٢) رواه ابن ماجه بإسناد جيد .
(٣) رواه النسائي والبيهقي مرفوعاً .

تحتَ قَدَمَيْهِ إلى عَنانِ السماءِ يُضِيءُ لَهُ يومَ القيامةِ ، وغُفِرَ له ما بينَ الجمعتين »[1] .

ومنها : أنَّ يوم الجمعة سيِّد الأَيام وخيرها . قال رسول الله ﷺ : « إنَّ يومَ الجمعةِ سيِّد الأيامِ وأعظمُها عند الله ، وهو أعظم عند الله من يومِ الأَضحىٰ ويومِ الفِطْرِ ، وفيه خمسُ خِلال : خلَقَ اللهُ فيه آدَمَ ، وأَهْبَطَ اللهُ فيه آدَمَ إلىٰ الأَرْضِ ، وفيه تَوفّى الله آدَمَ ، وفيه سَاعةٌ لا يسأَلُ اللهَ فيها العبدُ شيئاً ، إلاَّ أعْطاه إيَّاه ما لَمْ يَسْأَلْ حرَاماً ، وفيه تَقومُ الساعةُ ، ما مِنْ مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا رياحٍ ولا جِبالٍ ولا بحرٍ ، إلاَّ وهُنَّ يُشْفِقْنَ من يومِ الجمعةِ »[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ يومٍ طَلعَتْ عليه الشمسُ يومُ الجُمعةِ »[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تطلُعُ الشمسُ ولا تَغْرُبُ على أفضلَ مِنْ يومِ الجمعةِ ، وما من دَابَّةٍ إلاَّ وهي تَفْزَعُ يومَ الجمعةِ ، إلاَّ هذين الثَّقَلينِ الجنَّ والإنسَ »[4] .

ويوم الجمعة هو يَومُ المزيد الذي يَتجلّى فيه ربّ العزة بالتجلّي العام على أهل الجنة بالرؤية فينظرون إليه ، قال الله تعالى : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق : ٣٥] .

رَوىٰ البزار وغيره بالسند عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى :

---

(١) قال المنذري : رواه ابن مردويه بإسناد لا بأس به .
(٢) رواه أحمد وابن ماجه .
(٣) رواه مسلم وأصحاب السنن .
(٤) رواه ابن خزيمة وابن حبان في « صحيحيهما » وأبو داود .

﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ قال : يَظْهَرُ لهم ـ أي يتجلّىٰ عليهم ـ الربُّ عز وجل في كلِّ يومِ جمعة .

ومنها : أنَّ صُبحها أَفضلُ الصَّلوات عند الله .

ومنها : أنها تَعدِلُ حجّة ، أخرج حُميد بن زنجويه في « فضائل الأعمال » والحارث بن أبي أسامة في « مسنده » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « الجمعَةُ حَجُّ المَساكينِ » ، وأخرج ابن زنجويه عن سعيد بن المسيَّب قال : « الجمعة أَحَبُّ إليَّ من حجَّةِ تطَوُّعٍ »(١) .

ومنها : استحبابُ الغُسل لها لما روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وأخرج الحاكم عن أبي قتادة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنِ ٱغْتَسَلَ يومَ الجمُعةِ ، كَانَ في طَهارةٍ إلى الجمُعةِ الأُخرىٰ »(٢) .

وأخرج بسندٍ رجَالهُ ثِقات عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (أنه) قال : « إنَّ الغُسل يوم الجمعة ليَسُلّ(٣) الخطَايا من أُصولِ الشَّعْرِ اسْتِلالاً »(٤) .

---

(١) قال العراقي : وسنده ضعيف .

(٢) أورده الهيثمي في المجمع ولفظه : عن عبد الله بن قتادة قال : دخل عليَّ أبي وأنا أغتسل يوم الجمعة فقال غسلك هذا من جنابة أو للجمعة؟ قلت : من جنابة . قال : أعِدْ غسلاً آخرَ . إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اغتسل يوم الجمعة كان في طهارة إلى يوم الجمعة الأخرى » رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه هارون بن مسلم قال أبو حاتم فيه لين وثّقه الحاكم وابن حبان وبقية رجاله ثقات ج٢ ص١٧٤ .

(٣) أي يخرج الذنوب من غصون الشعر إخراجاً . يقال : سل الشيء انتزعه وفي حديث عائشة رضي الله عنها : فانسللت من بين يديه أي مضيت وخرجت بتأنٍّ وتدريج . من نهاية ابن الأثير ج٢ ص١٩١ .

(٤) قال المنذري في الترغيب : رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات ج١ ص٤٩٦ .

ومنها : استحبابُ الطِّيب والدُّهنِ والسِّوَاك وإزالة الشعر والظُّفُر .

أخرج البخاري عن سلمان رضي الله عنه . قال : قال النبي ﷺ : « لا يغتَسِلُ رجُلٌ يومَ الجمعةِ ويَتَطَهَّرُ ما[1] استَطَاعَ من طُهْرٍ ويدَّهِنُ من دُهْنٍ ويَمَسُّ مِنْ طِيْبِ بيتِه ، ثم يخرج فلا يُفرِّقُ بينَ ٱثنين ثُمَّ يُصَلِّي ما كُتِبَ له ، ثم يُنْصِتُ إذا تَكَلَّمَ الإمامُ ، إلاَّ غُفِرَ له ما بينَه وبينَ الجمُعة الأُخرىٰ »[2] .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قَلَّمَ أَظافِرَه يومَ الجُمعةِ ، وُقِيَ مِن السُّوءِ إلى مثلِها »[3] .

ومنها : ٱستحبابُ لُبسِ أَحسنِ الثياب ، أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنِ ٱغتَسلَ يومَ الجمعةِ وٱسْتَاكَ ومَسَّ من طِيْبٍ إن كان عندَه ولَبِسَ مِنْ أحسنِ ثيابِهِ ، ثم قال : كان كفَّارةً لما بينَها وبين الجمعة الأُخرىٰ »[4] .

ومنها : تضعيفُ أَجرِ الذَّاهبِ إليها بكُلِّ خطوةٍ أَجْرُ سنةٍ ، أخرج أحمد

---

(١) يريد تطهير ثيابه .

(٢) رواه البخاري ورواه مسلم بإيجاز ـ هدية الباري ج٢ ص٢١٦ .

(٣) قال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط وفيه أحمد بن ثابت ويلقَّب [فرجونة] وهو ضعيف ـ ج٢ ص١٧١ .

(٤) أورده الحاكم في المستدرك وزاد : وعن أبي سلمة ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه، وأقرّه الذهبي في التلخيص ج١ ـ ص٢٨٣ . وأورد في الفتح الكبير وقال : رواه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد وأبي هريرة . ج٣ ص١٣٦ ، وأخرج أحمد نحوه عن أبي أيوب الأنصاري وأبي الدرداء .

والأربعة والحاكم عن أوس بن أبي أوس الثقفي ، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَن غَسلَ وٱغْتَسَل ثم بكَّر وٱبْتكَرَ ، ومَشى ولم يَرْكَبْ ودَنا من الإِمامِ وٱستَمَعَ ولم يَلْغُ ، كان له بكُلِّ خطوةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها » .

وللطبراني في « الأوسط » من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حديثٍ : « وإذا أخذ في المشي إلى الجمعة ، كان له بكلِّ خَطْوَةٍ عملُ عشرين سنةً »(١) . وسندُه ضعيف .

ومنها : الأَمانُ من عَذاب القبر لمن مات يومها أو ليلتها . أخرج أبو يعلىٰ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ ماتَ يومَ الجمعةِ وُقِيَ عذابَ القبْرِ »(٢) .

وأخرج البيهقي في كتاب « عذاب القبر » عن عكرمة بن خالد المخزومي قال : « من ماتَ يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ ، خُتِم بخَاتَم الإيمانِ ، ووُقِيَ عذابَ القبرِ » .

ومنها : أنَّ للجِمَاع فيه أجرين . أخرج البيهقي في « الشُّعب » بسندٍ ضَعيفٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيَعْجِزُ

---

(١) ورد الحديث بلفظ [مَنِ ٱغتسَل يومَ الجمعة غُفِرَت له ذنوبُه وخطاياه وإذا أخذ في المشي إلى الجمعة كان له بكلِّ خطوة عملُ عشرين سنة . فإذا فرغ من صلاة الجمعة أُجيز بعمل مائتي سنة] رواه الطبراني في « الأوسط » عن أبي بكر رضي الله عنه وفيه عباد بن عبد الصمد . أبو معمر : ضَعّفهُ البخاري وابن حبان . « مَجمع الزوائد » ج٢ ص١٧٤ طبع القدسي .

(٢) أورده المتَّقي في « منتخب كنز العمال » ولفظه [من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة أُجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء] وقال : رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر ـ ج٣ ـ ص٢٨٦ ـ وانظر « المقاصد الحسنة » للسخاوي ففيه روايات مختلفة : ص٤٢ .

أحدُكم أن يجامِعَ أهلَه في كلّ جمعةٍ ، فإن له أجرين اثنين ؛ أجرَ غُسْلِه وأجرَ غُسْلِ ٱمْرأتِه »[1] .

وأخرج سعيد بن منصور في « سننه » عن مكحول أنه سُئل عن الرجل يَغتسِلُ من الجنابة يوم الجمعة ، قال من فعل ذلك كان له أجران .

ومنها : الأَمانُ من فتنة القبر لمن مات يَومها أو ليلتها ، فلا يُسأل في قبره ، أخرج الترمذي وحسّنه والبيهقي وابن أبي الدنيا وغيرهم عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ ، إلاَّ وَقاه اللهُ فِتْنَةَ القبرِ »[2] ، وفي لفظٍ : « إلاّ برىءَ من فتنةِ القبر » ، وفي لفظٍ : « إلاَّ وُقِيَ الفَتَّانَ » .

قال الحكيم الترمذي : وحكمته أنه قد انكشف له الغطاء عَمّا لهُ عند الله ، لأنَّ جهنم لا تسجرُ في هذا اليوم ، وَتُغلق فيه أبوابها ولا يعملُ فيه سلطانها ما يَعمل في سائر الأيام ، فإذا قبض الله فيه عبداً ، كان دليلاً لسعادته وحسن مآبه ، فإنه لم يُقبض في هذا اليوم العظيم إلاَّ من كَتب له السعادة عنده ، فلذلك يَقيه فتنة القبر ، لأنَّ سببها إنّما هو تَمييزُ المنافق من المؤمن .

ومنها : أنه مَذكورٌ في القرآن ذِكْرَ تشريفٍ دون سائر أيام الأسبوع ، قال تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾ [الجمعة : ٩] .

---

(١) قال في « الراموز » : رواه البيهقي في « الشعب » وضعّفه ، والديلمي عن أبي هريرة ص١٧٢ وقال في « شرح الراموز » : له شواهد ج٢ ـ ص٢٤٦ .

(٢) قال المناوي في « الفيض » : رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث ربيعة بن يوسف ، عن أبي عمرو اهـ . ولكن وصله الطبراني فرواه من حديث ربيعة عن عياض بن عقبة عن ابن عمر فذكره ، وهكذا أخرجه أبو يعلى والحكيم الترمذي متَّصِلاً ، وخرّجه أبو نُعيم من حديث جابر (ج٥ ـ ص٤٩٩) .

ومنها : أنه الشَّاهدُ والمشهود في الآية : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج : ٣] ، وقد أقسم الله به .

ومنها : أنه اليوم المُدخَر لهذه الأُمّة ، روىٰ الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « نحنُ الآخِرونَ السابِقون يومَ القيامةِ ، بَيْدَ أنَّهُمْ أُوْتُوا الكِتابَ مِنْ قَبْلِنا وأُوتِيْناهُ مِنْ بعدهم ، ثمّ هذا يومُهم(١) الذي فَرَضَه الله عليهم فاختلفُوا فيه ، فَهَداناَ اللهُ لهُ ، فالناسُ لنا فيه تبعٌ ، اليهودُ غداً والنصارىٰ بعد غدٍ »(٢) .

وَلمسلمٍ عن أبي هريرة وحُذيفة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : « أَضَلَّ اللهُ عنِ الجمعةِ مَنْ كانَ قَبْلنَا ، فكان لليهودِ يومُ السبتِ ، وكان للنصارى يومُ الأَحَدِ ، فجاء الله بنا فَهداناَ اللهُ ليومِ الجمعةِ » .

* * *

(١) وردت عدة روايات في « السنن » للبيهقي وفي بعضها [هذا يومهم الذي أفترِضَ عليهم] (ج٤ ص١٧١ .

(٢) أورده النبهاني في « الفتح الكبير » وقال : رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والنَّسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه (ج٤ ص٢٦١) .

شَرفُ القَائِمينَ باللَّيلِ وَفَضلُهم

ومن الشَّرف الذي أعدّه الله لهذه الأُمّة : ذلك الثوابُ الكبير الذي أعدّهُ للقائمين المتهجدين بالليل ، وما خصّ به هذه العبادة الكريمة من مَزايا ومناقب عظيمة نُجْمِلُها فيما يأتي :

صَلاةُ الليل هي أفضل الصَّلاة بعد الفريضة ، روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أَفضَلُ الصِّيامِ بعدَ رمضانَ ، شهرُ الله المحرَّمُ ، وأَفضلُ الصَّلاةِ بعدَ الفَريضةِ صلاةُ الليلِ » .

وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « فَضْلُ صلاةِ الليلِ علىٰ صلاةِ النهارِ ، كفضلِ صَدَقَةِ السِّرِّ علىٰ صَدَقَةِ العَلانِية » .

وروى الطبراني عن سَمُرة رضي الله عنه قال : أمرَنا رسول الله ﷺ أن نُصَلِّيَ من الليلِ ما قَلَّ أو كَثُرَ ، ونجعلَ آخر ذلك وتراً .

وفي « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها قالت : « إنَّ رسول الله ﷺ كان يقُوم من الليل حتى تَتَفطَّرَ قدَمَاه ـ أي تتشقَّقَ وتَتورَّم ـ فقلتُ له : لِمَ تصنَعُ هٰذا وقد غُفِرَ لك ما تقدَّم مِن ذنبِك وما تأَخَّر؟ قال : أفلاَ أُحِبّ أن أكون عبداً شكُوراً » .

ومَن واظب على قيام الليل ، يَدخُلُ الجنة بغير حساب ، روىٰ البيهقي عن النبي ﷺ أنه قال : « يُحشَرُ الناسُ في صَعيدٍ واحدٍ يومَ القيامة ، فيُنادي مُنادٍ فيقول : أين الذين كانُوا تتجافَىٰ جُنوبُهم عن المضَاجِعِ؟

فيقومون وهم قَليلٌ فيَدْخُلون الجنة بغير حسابٍ ، ثم يُؤمَر بسائرِ الناس إلى الحساب » .

وقيام الليل قُربةٌ إلى الله تعالى ومَكْفَرةٌ للسيّئات ، روى الترمذي عن أبي أُمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بقيامِ الليل ، فإنّه دَأبُ الصالحِين قبْلَكُم ، وقُربةٌ إلى ربِّكم ومَكْفَرةٌ للسيِّئات ، ومَنْهاةٌ عن الإثم » .

وَقيامُ الليل صِحةٌ للجسد ، روى الطبراني عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، عنه ﷺ أنه قال : « عليكُم بقيامِ اللّيلِ فإنّه دَأبُ الصالحين قبلكم ، ومَقرَبةٌ لكم إلى رَبّكم ، ومَكْفَرةٌ للسيِّئاتِ ، ومَنهاةٌ عن الإِثمِ ، ومَطْرَدَةٌ للداءِ عن الجسَد » .

ومن وَاظب على قِيام الليل ؛ دَخل غُرف الجنة بسلام ، روىٰ الترمذي عن عبد الله بن سَلام رضي الله عنه قال : أوّلُ ما قَدِم رسول الله ﷺ المدينةَ ، انجفَلَ الناسُ إليه ـ أي أسرَعُوا إليه ـ فكُنتُ فيمن جَاءَهُ ، فلمّا تأمّلْتُ وجْهَهُ واستَبَنْتُه ، عَرفتُ أن وجهَه ليس بوَجهِ كذّابٍ ، قال : فكانَ أوّلَ ما سمعتُ من كلامِه ﷺ أن قالَ : « أيُّها الناسُ ، أَفْشُوا السَّلامَ وأَطْعِموا الطعام وصِلُوا الأرحامَ وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نِيَامٌ ، تدخلوا الجنة بسلام » .

وروى الطبراني بإسنادٍ حَسنٍ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنّةِ غُرْفَةً يُرىٰ ظاهِرُها من باطِنها ، وبَاطِنُها من ظاهرهَا . فقال أبو مالكٍ الأشعري : لِمَنْ هي يا رسولَ الله؟ قال : لمن أطابَ الكلامَ ، وأطعَم الطّعامَ ، وباتَ قائماً والناس نِيَامٌ » .

وروى ابن حِبّان وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قُلت يا رسولَ الله ، إنّي إذا رَأيْتُكَ طابَتْ نفسي وقرّتْ عيني ، أَنْبِئْني عن كُلّ

شيءٍ ، فقال : كلُّ شيءٍ خُلِق من الماءِ ، فقلتُ : أخبِرْني بشيءٍ إذا عَملتُه دخَلتُ الجنة ، فقال ﷺ : أطعِمِ الطَّعامَ ، وأَفشِ السَّلام ، وصِلِ الأرحامَ ، وصَلِّ بالليل والناسُ نِيامٌ تدخُلِ الْجَنَّةَ بسلامٍ » .

وَقِيامُ الليل فيه شَرفُ المؤمن في الدنيا والآخرة ، روى الطبراني بإسنادٍ حَسنٍ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : « جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ فقال : يا محمّدُ ، عِشْ ما شئتَ فإنك ميّتٌ ، وٱعْمَلْ ما شئتَ فإنك مَجزيٌّ به ، وأَحْبِبْ من شئتَ فإنك مُفَارِقُه ، وٱعلمْ أنَّ شرفَ المؤمن قيامُه بالليل ، وعِزَّه استِغناؤُه عن الناس » .

روى البيهقي أنَّ النبي ﷺ قال : « أشرافُ أمتي حَملةُ القرآن وأصحابُ اللَّيلِ » . أي : قُوّامُ الليل .

ومن قَام فَصلىٰ في الليل لا يَخيب ، روى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما خَيَّبَ اللهُ ٱمرءاً قامَ في جَوفِ الليلِ فٱفتتحَ سُورةَ البقرة وآل عمران » .

ومن قام يُصلي في الليل ، فقد تَعرَّض لنفحات القُرب الرباني ، روى الترمذي عن عمرو بن عَبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « أقربُ ما يكونُ الرَبُّ من العبدِ في جَوفِ الليل الآخِر ، فإن استطعتَ أن تكونَ ممن يَذكرُ اللهَ تعالى في تلك الساعةِ ، فكُنْ » .

وفي « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يَنزِلُ رَبُّنا كُلَّ ليلةٍ إلى السماءِ الدنيا حين يَبْقَى ثُلثُ الليل الآخِرُ ، فيقولُ : مَن يَدعُوني فأَسْتَجِيبَ له؟ مَنْ يَسألُني فَأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستغفِرُني فأغفِرَ له؟ » .

وَقائم الليل يُكتَبُ في الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، روىٰ أبو داود عن أبي هريرة وأُبيّ بن كعب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : إذا أيقظ

الرجلُ أهلَه من الليل فصَلَّيا أو صلَّى ركعتَيْن جميعاً كُتِبا من الذاكِرين والذاكِراتِ .

ومن قَام الليل وأيقظَ أهلَه للصلاة في الليل ، وَجبت لهما الرحمةُ وثَبتت لهما المغفرة ، روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رَحم الله رجُلاً قام من الليلِ فَصلَّى وأيقظَ امرأتَه ، فإنْ أبَتْ نَضَح - أي رشَّ - في وجهِها الماءَ ، ورحم الله امرأةً قامتْ من اللَّيلِ فصلَّتْ وأيقظَتْ زوجَها ، فإن أبىٰ نَضحَتْ في وَجهِه الماءَ » .

وروىٰ الطبراني عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما مِنْ رَجلٍ يَستيقظُ من الليل فيُوقِظُ امْرأتَه ، فإنْ غلبَها النَّوْمُ نضَح في وَجهها الماءَ ، فيقُومان في بيتِهما فيذكران الله عز وجل ساعةً من الليل ، إلاَّ غُفِرَ لهما » .

وروى الحاكم وصححه عن أبي عُبيدة رضي الله عنه قال : قال عبد الله بن سَلام : مَكتوبٌ في التوراةِ : لقد أعدَّ اللهُ للذين تَتجافَىٰ جُنوبُهم عن المضَاجعِ ما لم تَر عَينٌ ، ولم تَسمعْ أذنٌ ، ولم يَخطُرْ على قلبِ بشرٍ ، ولا يَعلمه ملَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبيٌّ مُرْسَلٌ . قال عبد الله : ونَحنُ نقرؤُها : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧٠] الآية .

ومن فَضائل صَلاةِ الليل : أنَّ المشتغل بقرَاءةِ القرآن فيها موفَّقٌ توفيقاً عظيماً يَغْبِطهُ عليه كُلّ من عَرف فَضلهُ وشَرفهُ ، وأنه يَدخلُ في هذا الفَضلِ العَظيم كُلّ من شَارك في هذا الخير ولو بقراءة عشر آيات ، إذ يُمحىٰ عنه بها اسم الغَفلة ، فلا يُكتب في ديوان الغَافلين ، فإن أكثر من القراءة وأطالها ، ارتفع إلى مقام القَانتين ، فإذا زاد ارتفع إلى ديوان المُقَنطَرين ، والقنطار كجبل أُحُد .

رَوىٰ مسلمٌ في « صحيحه » عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال

رسول الله ﷺ : « لا حسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتاه الله القرآنَ ، فهو يَقومُ به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ ، ورجُلٌ آتاهُ اللهُ مالاً ، فهو يُنفِقه آناءَ الليل وآناءَ النهارِ » .

وَروىٰ أبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن قامَ بعشر آياتٍ لم يُكتَبْ من الغافِلين ، ومن قام بمائةِ آيةٍ كُتِب من القانِتين ، ومن قام بألفِ آيةٍ كُتِب من المُقَنطِرين » .

وروى الطبراني عن النبي ﷺ قال : « من قرأ عشرَ آيات في ليلةٍ كُتب له قِنطارٌ ، والقِنطارُ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يومُ القيامة يقول ربُّك عز وجل : اقرأْ وَارْقَ بكلِّ آيةٍ درجةً حتى يَنتهيَ إلى آخرِ آيةٍ معه ، يقول الله عز وجل للعبدِ : اقبِضْ ، فيقولُ العبدُ بيدِه : يا ربِّ أنتَ أَعْلَمُ ، يقولُ بهٰذِه الخُلدَ وبهٰذه النَّعِيمَ » .

وروى الطبراني عن النبي ﷺ قال : « من قرأ عشرَ آياتٍ في لَيلةٍ لم يُكْتَبْ من الغافِلين ، ومن قرأَ مائةَ آيةٍ كُتِب له قُنوتُ ليلةٍ ، ومَن قرأ مِائَتَيْ آيةٍ كُتِب من القانِتين ، ومَن قرأ أربعَمِائةِ آيةٍ كُتِب من العابِدين ، ومن قرأ خَمْسمائةِ آيةٍ كُتِبَ من الحافِظين ، ومن قرأَ سِتَّمائةِ آيةٍ كُتِب من الخاشِعين ، ومن قرأَ ثمانَمائة آية كُتِب من المُخْبِتين ، ومن قرأ أَلفَ آية أصْبحَ له قِنطارٌ ، والقنطارُ أَلفٌ ومائتا أوقيّةٍ ، والأوقيّةُ خيرٌ مما بينَ السماءِ والأرض - أو قال : خيرٌ مما طَلعتْ عليه الشَّمْسُ - ومن قرأ أَلفَيْ آيةٍ كان من المُوجِبين » .

ومن فضائل هذه الأُمّة : ما جعله الله تعالى من الثَّواب لمن نَام طاهراً ناوياً القيام .

فمن ذلك : أنه يَبيتُ يُجَاورهُ مَلكُ الرحمة يدعو له بالمغفرة والحفظ ، قال ﷺ : « من بات طَاهراً باتَ في شِعَاره مَلَكٌ ، فلا يستيقظُ

إلاَّ قال الملك : اللهم اغْفِرْ لعبدِك فلانٍ ، فإنَّه باتَ طَاهِراً »[١]

وفي روايةٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « طَهِّرُوا هٰذه الأَجْسادَ طَهَّرَكُم اللهُ ، فإنّه ليس من عَبدٍ يَبيتُ طَاهِراً إلاَّ باتَ معه في شِعاره مَلَكٌ ، لا يَنقلِب ساعةً من الليلِ إلاَّ قال : اللهم اغفِرْ لعبدِك ، فإنَّه باتَ طاهِراً »[٢] .

ومن ذلك : أنه تُستجَابُ دعوتُه إذا قام من ليلته تلك . فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما مِنْ مسلمٍ يَبيتُ طاهِراً فيتَعارُّ من الليلِ فيسألُ الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة ، إلاَّ أعطاه الله إيّاهُ »[٣] .

وفي روايةٍ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من أوىٰ إلى فِراشِه طاهراً يذكرُ الله حتى يُدرِكَه النُّعاسُ ، لم يَنقلبْ ساعةً من الليلِ يَسْأَلُ الله خيراً من خيرِ الدنيا والآخرةِ ، إلاَّ أعْطاهُ الله إيّاه »[٤] .

ومن ذلك : أن له ثَوابَ قيامِ تلك الليلة ولو غَلبت عيناه ولم يقم ، يقول ﷺ : « ما مِن آمْرىءٍ تكونُ له صَلاةٌ بلَيلٍ فيغلِبهُ عليها نومٌ ، إلاَّ كتَبَ اللهُ لهُ أجرَ صلاتِه ، وكان نومُه علَيه صدَقةً »[٥] .

وفي روايةٍ : « وكان نَومُه صَدقةً عليه من ربّه »[٦] .

---

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » .
الشِّعار بكسر الشين المعجمة : هو ما يلي بدن الإنسان من ثوب وغيره .
(٢) رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد .
(٣) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه .
(٤) رواه الترمذي عن شَهرِ بن حَوشَب عن أبي أمامة وقال : حديث حسن .
(٥) رواه مالك وأبو داود والنسائي .
(٦) رواه النسائي بإسناد جيد وابن خزيمة .

وفي روايةٍ : يقول ﷺ : « ما من عَبدٍ يُحَدِّثُ نفسَه بقيامِ سَاعةٍ من الليلِ فينامُ عنها ، إلاَّ كانَ نومُه صدَقَةً تصدَّق اللهُ بها عَليه ، وكَتَب له أَجْرَ ما نَوىٰ »[1] .

* * *

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » مرفوعاً ، ورواه ابن خزيمة في « صحيحه » موقوفاً لم يرفعه .

فَضلُ المُحافَظةِ على ثِنتي عَشرة رَكعةً
من السُّنَن والروَاتب

ومن شَرف الأُمّة المُحمدية : ما جَعلهُ الله تعالى لها من الفَضل والثَواب على فعل النوافل .

وَالحكمةُ في شَرعيَّة النوافل : تكميل الفَرائض بها إن عَرض فيها نَقصٌ ، كما ثبت في الحديث في « سنن أبي داود » وغيره ، وَلترتاض نَفسهُ بتقديم النافلة وَيتنشّطَ بها ، ويتفرّغ قلبه أكمل فَراغٍ للفريضة ، ولهذا يُستحَبُّ أن يفتح صَلاة الليل بركعتين خفيفتين .

وقد جاء في فضلها مزايا كَثيرةٌ وَمناقِبُ عَظيمةٌ :

فمنها : أنَّ من حافَظ على ثِنتَي عشرةَ ركعةً في اليومِ والليلةِ ، بنىٰ اللهُ له بيتاً في الجنَّةِ . وفي روايةٍ : دخلَ الجنَّةَ .

عن أُمِّ حبيبةَ رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما مِن عَبدٍ مسلمٍ يُصَلّي لله تعالى في كلِّ يومٍ ثِنتَيْ عشرةَ ركعةً تطوُّعاً غيرَ فريضةٍ ، إلاَّ بَنىٰ اللهُ تعالى لهُ بيتاً في الجنَّةِ ، أو إلاَّ بُنِيَ له بَيتٌ في الجنَّةِ »[1] وزاد ابن حبان : « أربعاً قبلَ الظهرِ ،

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي .

وركعتين بعدَها ، وركعتين بعدَ المغربِ ، وركعتين بعدَ العشاءِ،وركعتين قبلَ صلاةِ الْغَداةِ »[١] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من ثابَرَ علىٰ ثِنْتَيْ عشرةَ ركعةً في اليومِ والليلةِ دخلَ الجنَّةَ : أَربعاً قبلَ الظهرِ ، وركعتين بعدَها ، وركعتين بعدَ المغربِ ، وركعتَيْنِ بعدَ العشاءِ ، وركعتينِ قبلَ الفجْرِ[٢] .

ومن ذلك : أنَّ ركعتي الفجر خَيرٌ من الدُّنيا وما فيها .

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « ركعتا الفجرِ خَيرٌ من الدُّنيا وما فيها »[٣] . وفي روايةٍ لمسلم : « لَهُمَا أَحَبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً » .

قوله : « خير من الدنيا » ؛ أي : من مَتاعها وزهرتها ، لأنَّ ثوابها بَاقٍ ، والاضطجَاعُ سُنّةٌ بعد الفجر ، لقوله ﷺ : « إذا صلَّى أحدُكم ركْعتَي الفجرِ ، فليضْطَجِعْ على يمينِه » .

وركعتا الفجر فيهما فَضيلةٌ عَظيمةٌ وَثوابٌ جَليلٌ . رُويَ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ ، دُلَّني علىٰ عملٍ يَنْفَعُني الله به . قال : عليك بركعتَي الْفجرِ ، فإنَّ فيهما فضيلةً »[٤] .

وفي روايةٍ له أيضاً قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « لا تَدَعوا

---

(١) ورواه بالزيادة ابن خزيمة وابن حبان في « صحيحيهما » ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، إلا أنهم زادوا : « وركعتين قبل الظهر ، وركعتين أظنه قبل العصر » ، ووافق الترمذي على الباقي .
(٢) رواه النسائي وهذا لفظه والترمذي وابن ماجه .
(٣) رواه مسلم والترمذي .
(٤) رواه الطبراني في « الكبير » .

الرَّكعتَيْنِ قبلَ صلاةِ الفجْرِ ، فإنَّ فيهما الرَّغائبَ » . وروى أحمد منه : « وركعتَي الفَجْرِ حافِظوا عليهما ، فإنَّ فيهما الرَّغائبَ » .

قوله : « فإن فيهما الرغائب » : أي ما يُرغَب فيه من الثَّواب العظيم ، وبه سُمّيت صَلاة الرغائب ، واحِدَتُها : رَغِيبةٌ .

وركعتا الفجر فيهما الغَنيمةُ كلّ الغنيمة ، وهما رأس المال . عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « قُلْ هو الله أحدٌ ، تَعْدِلُ ثلثَ القرآنِ . وقُلْ يا أيها الكافرون ، تعدِلُ رُبعَ القرآن ، وكان يقرؤُهما في ركعتيِ الفَجْرِ وقال : هاتان الركعتان فيهما رُغَبُ الدُّرِّ »[(١)] .

والمعنى ـ والله أعلم ـ : أنَّ هَاتين الركعتين يَرغب الإِنسان فيهما كما يرغبُ في جَمْع الدُّرِّ ويودُّ منه شيئاً كثيراً ، ويطمعُ في وفرته ويميل إلى كثرته وأنَّ ركعتي الفجر أولى من الحرص عليه ، لأنَّ ثوابهما أبقى وأجل فائدة ، فَالدُّرُ فَانٍ وَمتاعُ الدّنيا قَليلٌ ومَتاعُ الآخرة نَعيمٌ مُقيمٌ .

ولذلك جاء أنَّ النبي ﷺ كان يُحافظ عَليهما مُحافظةً شَديدةً ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : لم يكُنِ النَّبيُّ ﷺ على شَيْءٍ من النوافل أشدَّ تعاهداً منه على ركعتَيِ الفجْرِ[(٢)] .

وفي روايةٍ لابن خزيمة قالت : « ما رأيتُ رسول الله ﷺ إلى شيءٍ من الخير أَسْرَعَ منه إلى الركعتين قبل الفجر ، ولا إلى غنيمةٍ » .

وكان يُوصي بهما ، يقول أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه : « أوصاني خليلي بثلاثٍ : بصومِ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِّ شهرٍ والوِتْرِ قبلَ النومِ ، وركعتي الفجرِ »[(٣)] .

---

(١) رواه أبو يعلى بإسناد حسن والطبراني في « الكبير » واللفظ له .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن خزيمة في « صحيحه » .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد جيد وهو عند أبي داود وغيره خلا قوله =

وكان يَنهى عن تركهما ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَدَعُوا ركعتَي الفجْرِ ، ولو طَرَدَتْكُمُ الخيلُ »[1] .

ومن ذلكَ : فَضلُ الصَّلاةِ قبل الظُّهر وبعدها ، وأنَّ من وَاظب عليها ، حَرم الله جَسدهُ على النار .

قال ﷺ : « من يُحافِظُ على أربعِ ركعاتٍ قبلَ الظهرِ وأربعٍ بعدَها ، حرَّمَ الله جسَدَه على النار »[2] .

وفي روايةٍ : « أَرْبَعٌ قبل الظُّهرِ ليسَ فِيهنَّ تسليمٌ ، تُفَتَّحُ لَهُنَّ أبوابُ السماءِ »[3] .

وفي روايةٍ : « أنها تُفتح لها أبوابُ السماءِ ، فلا يُغْلَقُ منها بَابٌ »[4] .

وهذه الصَلاةُ كان يُحافظ عليها سيدنا رسول الله ﷺ ، وَيُطيل فيها القِيام . ويقول : « أُحِبُّ أن يَصْعَد لي في هذه الساعةِ عَملٌ صالحٌ »[5] .

ومن فضائل هذه الأربع الركعات : أنه كان يُحافظ عَليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . رُويَ عن ثوبانَ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يَسْتَحِبُّ أن يُصلِّيَ بعد نصفِ النهار ، فقالت عائشة رضي الله عنها : « يا رسول الله ، إني أراكَ تَسْتَحِبُّ الصلاةَ هذه السَّاعَةَ »؟ قال : « تُفْتَحُ فيها أبوابُ السماءِ ، ويَنْظُر اللهُ تبارك وتعالى بالرحمةِ إلى خلْقِه ، وهي

= « وركعتي الفجر » . وذكر مكانهما : « ركعتي الضحى » .

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي .

(٣) رواه أبو داود واللفظ له وابن ماجه .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » .

(٥) رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن غريب .

صَلاةٌ كان يُحافِظ عليها آدمُ ونوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسىٰ صلوات الله عليهم »[1] .

ومن فضائل هذه الصلاة : أنَّ المُحافظ عليها يَنالُ ثَواب تَهجُّد ليلته تلك ، رُوِيَ عن البَراء بن عَازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ صَلَّى قبلَ الظهرِ أربعَ ركَعاتٍ ، كأنما تهَجَّد بِهنَّ من ليلته ، ومن صَلاّهُنَّ بعدَ العشاءِ ، كمِثْلِهنَّ من ليلةِ القدْرِ »[2] .

وفي روايةٍ عن عبد الرحمن بن حُميد رضي الله عنه ، عن أبيه ، عن جده رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « صَلاةُ الهَجيرِ مثلُ صلاةِ الليلِ » .

قال الراوي : فَسألتُ عبد الرحمن بن حُميد عن الهَجير؟ فقال : إذا زَالت الشمس[3] .

وفي روايةٍ عن عمر[4] رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أربعٌ قبل الظهرِ وبعدَ الزوالِ ، تُحْسَبُ بمثلِهن في السَّحَرِ ، وما من شَيءٍ إلاَّ وهو يُسبِّحُ الله في تلك الساعة ، ثم قرأ : ﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل : ٤٨] » .

ومن فَضائل هذه الصَّلاة : أنَّ من صَلاّها كان كَمن أعتق رَقبةً من بني إسماعيل . عن بشير بن سلمان ، عن عمرو بن الأنصاري رضي الله

---

(١) رواه البزار وسنده ضعيف .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » وسنده ضعيف .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » . وفي سنده لين ، وجَدُّ عبد الرحمن هذا هو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

(٤) رواه الترمذي في « التفسير » من « جامعه » وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن عاصم .

عنه ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : مَنْ صَلَّىٰ قبلَ الظُّهرِ أربعاً ، كان كَعَدْلِ رقبةٍ من بني إسماعيل »[(١)] .

وهذه الصَّلاةُ هي أفضلُ صَلاةِ النهار . عن الأسود وَمُرّةَ ومسروق رضي الله عنهم قالوا : قال عبد الله : ليسِ شَيءٌ يعدِلُ صَلاةَ الليل من صلاة النهارِ ، إلاَّ أربعاً قبلَ الظهرِ ، وفَضْلُهُنَّ على صلاةِ النهار كفضْلِ صَلاةِ الجماعةِ على صلاة الوحدة »[(٢)] .

ومن ذلك : ما جاء في فَضلِ الصلاة قبل العصر ، فقد دعا له ﷺ بالرحمة فقال : « رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّىٰ قبلَ العصْرِ أَربعاً »[(٣)] .

وجاء أنَّ من حافَظَ عليها ، بَنىٰ الله له بيتاً في الجنَّةِ[(٤)] .

وجاء أنَّ من حافَظَ عليها ، حرَّمَ اللهُ بدَنَه على النارِ[(٥)] .

وفي روايةٍ : « لم تَمسَّه النَّارُ »[(٦)] .

وجاء أنَّ من حافَظَ عليها ، فهو من الْمَغْفُورِ لَهُم[(٧)] .

ومن ذلك : ما جاء في فَضل الصلاةِ بين المغرب والعشاء :

١ـ أنها تُساوي ثَواب ثِنتي عشرة سنة . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَلَّىٰ بعدَ المغربِ سِتَّ ركَعاتٍ لم يَتَكَلَّمْ

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » ورواته إلى بشير ثقات .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » وهو موقوف لا بأس به .

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسَّنه ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحيهما » .

(٤) رواه أبو يعلى .

(٥) رواه الطبراني في « الكبير » .

(٦) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٧) رواه الطبراني في « الأوسط » وهو غريب .

فيما بينهُنَّ بسوءٍ ، عُدِلْنَ بعبادةِ ثِنْتَيْ عشرةَ سنةً »[1] .

٢ـ أنَّ من حَافظ عليها بنىٰ الله له بيتاً في الجنة . رُوِيَ عن السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « من صَلَّى بعد المغربِ عشرين ركْعةً ، بنىٰ اللهُ له بيتاً في الجنَّةِ »[2] .

٣ـ أنها سَببُ مَغْفرةِ الذنوب . عن محمد بن عمّار بن ياسر رضي الله عنهم قال : رأيتُ عمار بن ياسر يُصلي بعد المغرب سِتَ ركعات وقال : رأيتُ حبيبي رسول الله ﷺ يُصلي بعد المغرب سِتَّ ركعاتٍ وقال : « مَنْ صَلَّى بعدَ المغربِ سِتَّ ركَعاتٍ ، غُفِرَتْ له ذنوبُه وإن كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ »[3] .

٤ـ أنَّ هذه الصلاة تُرفعُ في علِّيِّين . عن مكحول رضي الله عنه يَبلغ به النبي ﷺ قال : « مَن صَلَّى بعد المغرِب قبل أن يتكَلَّمَ رَكعتَيْنِ ـ وفي رواية : أربعَ ركَعاتٍ ـ ، رُفِعَتْ صلاتُه في علِّيِّينَ »[4] .

ومن ذلك : ما جاء في فَضل الصلاة بعد العشاء ، فقد جاء أنها تُساوي ثَواب من صَلاّها ليلة القدر .

رُوي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعٌ قبلَ الظهرِ كأربعٍ بعدَ العشاءِ . وأربعٌ بعد العشاءِ ، كَعَدْلِهِنَّ من ليلةِ القدْرِ »[5] .

---

(١) رواه ابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » والترمذي كلهم من حديث عمر بن خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عنه وقال الترمذي حديث غريب .
(٢) وهذا الحديث الذي أشار إليه الترمذي رواه ابن ماجه من رواية يعقوب بن الوليد المدائني عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . ويعقوب كذَّبه أحمد وغيره .
(٣) حديث غريب رواه الطبراني في الثلاثة وقال : تفرّد به صالح بن قطن البخاري .
(٤) ذكره رزين ولم أره في الأصول .
(٥) رواه الطبراني في « الأوسط » .

وقوله : « كعَدْلِهن » : أي كمثل ثَوابهن ومقدارهن .

وقوله : « من ليلة القدر » : يُريد النبي ﷺ أن يُبيِّن أنَّ صلاة أربع ركعات بعْد صلاة العشاء تساوي ثواب صلاة أربع ركعات ليلة القدر . والركعة فيها تساوي ثواب ألف ركعة في غيرها : ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر : ٣] أي العمل فيها يُضاعف الله ثَوابه ألف ضعف من ذكرٍ وتسبيحٍ وتَحميدٍ . وهكذا من أعمال البر يَزداد أجرها ، وَيَعْظُم خَيرها ، وتفْتح لَها أبواب القَبول .

وفي روايةٍ في « الكبير » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مَنْ صَلَّىٰ العشاءَ الآخِرةَ في جماعةٍ ، وصَلَّىٰ أربعَ ركَعاتٍ قبل أن يخرُجَ من المسجدِ ، كان كعدْلِ ليلةِ القدْرِ » .

ومن ذلك : ما جاء في المُحافظة على صَلاةِ الوتر وأنه يَنالُ أجرَ من مات في سبيل الله .

فقد رُويَ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « من صَلَّىٰ الضُّحى ، وصام ثلاثةَ أيامٍ من الشهرِ ، ولم يَترُكِ الوترَ في سفرٍ ولا حضرٍ ، كُتِبَ له أجرُ شهيدٍ »[١] .

ومن فضائل الوتر : أنَّ الله سبحانه وتعالى يُحِبُّهُ . فمن أتى به فقد أتى بما يُحبُّه الله .

فعن علي رضي الله عنه قال : الوتر ليس بحَتْمٍ كصلاةِ المكتوبة ولكن سَنَّه رسول الله ﷺ . قال : « إن اللهَ وِترٌ يحِبُّ الوترَ فأَوْتِرُوا يا أهل القرآنِ »[٢] .

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » وفيه نكَارة .

(٢) رواه أبو داود والترمذي واللفظ له . والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » وقال الترمذي : حديث حسن .

وصلاةُ الوترِ قد أمَدَّنا الله تعالى بها وهي خَيْرٌ لنا من حُمرِ النَّعَمِ[1] .

ولذلك حَذّر ﷺ مِن تَركه وتبرَّأ من تاركه بقوله : « الوترُ حقٌّ ، فمَنْ لم يوتِرْ فليسَ مِنّا . الوترُ حَقٌّ ، فمن لم يوتر فليس مِنّا . الوتر حَقٌّ ، فمن لم يُوتر فليس مِنّا » . ثلاثاً[2] .

وقد بلغتِ العِنايةُ من سيدنا رسول الله ﷺ بالوتر ؛ أنه أمر من خَاف أن لا يقُوم في آخر الليل ، أن يقدِّمه في أول الليل . كما جاء عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن خاف أن لا يَقُومَ من آخرِ اللَّيلِ فلْيوتِرْ أوَّلَه ، ومن طمِعَ أنْ يَقُومَ آخرَهُ فليوتِرْ آخرَ الليلِ ، فإنَّ صَلاةَ آخرِ الليلِ مشهودَةٌ محضورة ، وذلك أفضلُ »[3] .

* * *

---

(١) كذا يقول ﷺ فيما رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي .
(٢) رواه أحمد وأبو داود واللفظ له . وفي إسناده عبيد الله بن عبد الله أبو المنيب العتكي . ورواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .
(٣) رواه مسلم وابن ماجه والترمذي وغيرهم .

فَضائِلُ صَلاةِ النافلةِ في البيت

ومن فضائل الأُمّة المحمدية : أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لها الثوابَ الكبير على صَلاةِ النوافل في البيوت .

فمن ذلك : أنَّ الصلاة في البيت نُورٌ . قال رسول الله ﷺ : « أمَّا صلاةُ الرجلِ في بيتِهِ فَنورٌ ، فنوِّروا بيوتَكمُ »[١] .

ومعناه : أنها ضِياءُ القلوب لتخشع لله في خَلوتها ، وجلاءٌ عن الغَفلةِ ، وانشراحٌ بين العبد وربّه ، يُناجيه خالياً من المظاهر ، فيشعر بجلال الله وعظمته ، ويقف ذليلاً أمام المعطي سبحانه فينشرح صدره بالإيمان والمناجاة . وقد أمر ﷺ المسلمين أن يُصلّوا النافلة في البيت لترفرِفَ على المصلي رحمة الله ، ولتعُمَّه أَنوارهُ الوضَّاءةُ ، وليشعر كُلُّ من في البيت بخوف الله تعالى ، وأنه جَديرٌ بالثناءِ عليه والشكر له على ما أسبغَ عليهم بنعمه .

قال ﷺ : « إذا قَضىٰ أحدُكم الصلاةَ في مسجدِه ، فليَجْعَلْ لبيتِه نصيباً من صلاتِه ، فإنَّ اللهَ جَاعِلٌ في بيتِه من صلاتِه خيراً »[٢] .

وقد شَبَّه ﷺ البيت الذي فيه طَاعةُ الله وذكرهُ وَعِبادتهُ وَتسبيحُهُ وقراءةُ القرآن فيه أنه ملجأُ الصالحين ، وأنه حيٌّ مملوءٌ عمراناً ، ومحاطٌ بالسعادة

---

(١) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » .

(٢) رواه مسلم وغيره ورواه ابن خزيمة في « صحيحه » من حديث أبي سعيد .

والسَّعة والرضَا . أمَّا البيت الذي خَلا من ذكر الله فمُقْفِرٌ وخاوٍ وخَرِبٌ ، وإن عَمرهُ أهله فلا فائدة في وجودهم وعليه شَارةُ الغَضب ، ويحوطهُ السَّخطُ والعِصيانُ ، ويسرحُ وَيمرحُ فيه الشيطان ويبيت فيه .

قال النبي ﷺ : « مَثلُ البيتِ الذي يُذكَرُ اللهُ فيه والبيتُ الذي لا يُذْكَرُ اللهُ فيهِ ، مَثَلُ الحيِّ والميتِ »[1] .

يقول ابن مسعود رضي الله عنه : سألتُ رسول الله ﷺ أيُّما أفضل : الصلاةُ في بيتي أو الصلاةُ في المسجد؟ قال : « ألا ترى إلى بيتي ما أَقْرَبَه من المسجدِ ، فَلأَنْ أُصَلِّيَ في بيتي أَحَبُّ إليَّ مِنْ أن أصَلِّيَ في المسجدِ ، إلاَّ أن تكونَ صلاةً مكتوبةً »[2] .

وقد أمر ﷺ بإكرام البيوت فقال : « أكْرِموا بيوتَكم ببعضِ صلاتِكم »[3] .

وفضلُ صلاةِ الرجلِ في بيتِه على صلاتِه حيث يَراهُ الناسُ ، كفَضْلِ الفَريضةِ على التطوُّعِ[4] .

ومعناه : أنَّ صلاة النافلة أمام الناس مَظنَّةُ الرياء ومَدْحِ الناس إيّاه أنه عَابدٌ نَاسكٌ . ولكن في البيت أدعىٰ إلى رَحمات الله وأبعدُ عن ظُنون النفاق وأعين الرائين المداحين ، إلاَّ المفروضة ، فتؤدّىٰ في المسجد جماعةً كما أَراد ﷺ . وَيُصلي الإنسان في بيته ما شاء من النوافل بتُؤَدة وطمأنينة ، والفَريضةُ أكثر ثواباً من النافلة ، وحسناتها مُضَاعفةٌ ، وأجرها جَزيل .

* * *

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه .

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

(٤) رواه البيهقي بإسناد جيد .

فَضلُ الجُلوسِ في المُصلّىٰ
بَعد صَلاةِ الصبح والعَصر

ومن شرف الأُمّة المحمدية : ما جعل الله سبحانه وتعالى من الثواب لمن جَلس في المُصلى بعد صَلاة الصُّبح .

فمن ذلك : أنَّ من صَلّىٰ الصبحَ في جماعةٍ ، ثم قَعَد يذكُرُ اللهَ حتى تطلُعَ الشمسُ ثم صَلّىٰ ركعتين كانت له كأجْرِ حجّةٍ وعمرةٍ تامّةٍ تامةٍ تامة »[1] . هكذا كرَّرها ﷺ ثلاث مرات .

وفي روايةٍ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا صَلىٰ الفجر ، لم يَقُمْ من مجلسه حتى تُمْكِنَهُ الصلاةُ ، وقال : « من صَلّىٰ الصبحَ ثم جلَس في مجلسِه حتى تُمْكِنَه الصلاةُ ، كان بمنزلة عمرةٍ وحَجَّةٍ مُتقبَّلَتين »[2] .

وفي روايةٍ عن عبد الله بن غَابر أنَّ أُمامة وعُتبة بن عبدٍ رضي الله عنهما حَدّثاهُ عن رسول الله ﷺ قال : « من صَلّىٰ صلاةَ الصبحِ في جماعةٍ ثم ثَبتَ حتى يُسَبِّحَ للهِ سُبْحَةَ الضُّحى ، كان له كأجرِ حَاجٍّ ومُعْتَمِرٍ تامّاً له حَجُّةُ وَعُمْرَتُهُ »[3] .

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن غريب .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » ورواته ثقات إلا الفضل بن الموفق ففيه كلام .

(٣) رواه الطبراني وبعض رواته مختلف فيه وللحديث شواهد كثيرة .

ومن ذلك : أنَّ من جَلس من بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ، يَنالُ من الثواب ما لا يَخطُر ببَاله ، فهو كأنه أعتق أربع رقاب ، وكأنه أنفق في سبيل الله اثني عشر ألفاً .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأَنْ أقعُدَ مع قومٍ يذكرون الله تعالى من بعد صلاةِ الغداةِ حتى تطلُعَ الشمسُ ، أَحَبُّ إليَّ مِنْ أن أُعْتِقَ أربعةً من ولدِ إسماعيلَ ، ولأَنْ أقعُدَ مع قومٍ يذكُرونَ الله من بعد صلاة العصْرِ إلى أن تَغرُبَ الشمسُ ، أحبُّ إليَّ مِنْ أن أُعتِق أربعةً »[1] . قال في الموضعين : « أحبُّ إليَّ من أن أُعْتِقَ أربعةً من ولدِ إسماعيلَ دِيَةُ كلِّ واحدٍ منهم اثنا عشر أَلْفاً »[2] .

وفي روايةٍ عن أبي أُمامة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لأَنْ أقعُدَ أذْكُرُ الله تعالى وأُكبِّرهُ وأحمدُه وأسبِّحهُ وأُهَلِّله حتى تطلُعَ الشمسُ ، أحبُّ إليَّ مِنْ أن أعتِقَ رقَبتين من وَلد إسماعيل ، وَمِنْ بعدِ العصرِ حتى تغرُبَ الشمسُ ، أحبُّ إليَّ من أن أعتِقَ أربعَ رقَباتٍ من ولدِ إسماعيلَ »[3] .

ومن ذلك : أنه تُغفَر خَطاياهُ وإن كانت مثل زَبَدِ البحر .

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قعَد في مُصلاَّه حين ينصرفُ من صَلاة الصبح حتى يُسَبِّحَ ركعتي الضُّحى لا يقولُ إلاَّ خيراً ، غُفِرَت له خطاياه وإن كانتْ أكثرَ من زَبَدِ الْبَحْرِ »[4] .

---

(١) رواه أبو داود وأبو يعلى .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا بالشطر الأول إلا أنه قال : أحب إلي مما طلعت عليه الشمس .

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن .

(٤) رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى ومعنى يسبح ركعتي الضحى : أي يصلي . وزبد البحر : رغواته وفقاقيعه .

ومن ذلك : أنه يستحق دخول الجنة لما جاء في الحديث : « من صَلَّى صلاة الفَجر ثم قَعَدَ يذكُر الله حتى تطلُعَ الشمسُ ، وجبَتْ له الجنَّةُ »[1] .

ومن ذلك : أنه لا تَمسُّ جلدَه النار ، لما رُويَ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما يرفعه قال : « من صَلّىٰ الفجْرَ ثم ذكَرَ اللهَ حتى تطلُعَ الشمسُ ثم صَلّىٰ ركعتين أو أربعَ ركعاتٍ ، لم تَمسَّ جلدَه النارُ وأخذ الحَسنُ بجلده فَمدَّهُ»[2] .

ومن ذلك : أنه لا يَقُوم من مُصَلاّهُ إلاَّ وصحائِفُهُ نقيَّةٌ قد غَفر الله له .

رُويَ عن عَمرة رضي الله عنها قالت : سمعتُ أُمّ المؤمنين ـ تعني عائشة رضي الله عنها ـ تقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ صلَّى الفجرَ ـ أو قال : الغَداةَ ـ فقعدَ في مقْعَدِه فلم يَلْغُ بشيءٍ من أمر الدنيا ويذكُرُ الله حتى يصلِّيَ الضحى أربعَ ركَعاتٍ ، خرجَ من ذنوبِه كَيَوْمَ ولَدتْه أمُّه لا ذنْبَ له »[3] .

ومن ذلك : أنه يَنالُ من الثواب أكثر وأعظم مما يَنالُه من الأعداء وفاز بالظَّفَر ، وانتصر وكسب المغانم .

رُويَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ بَعث بعْثاً قِبَلَ نَجْدٍ فَغَنِمُوا غنائِمَ كثيرةً وأسْرَعُوا الرَّجْعة ، فقال رَجلٌ مِنّا لم يخرج : ما رأينا بعْثاً أسْرَعَ رجعةً ولا أفْضلَ غَنيمةً من هذا البعْثِ ، فقال النبي ﷺ : « ألا أَدُلُّكُمْ على قومٍ أفضلَ غنيمةً وأسرع رجعةً ؛ قومٌ شهدوا

---

(1) رواه أبو يعلى .
(2) رواه البيهقي .
(3) رواه أبو يعلى واللفظ له والطبراني .

صَلاةَ الصبْح ثم جلَسوا يذكُرُون الله حتى طلعتِ الشَّمسُ ، أولئك أسرَعُ رجْعةً وأفضلُ غنيمةً »[١] .

ومن ذلك : أنَّ مَنْ قال في دُبرِ صلاةِ الفجرِ وهو ثَانٍ رِجْلَيْهِ قبل أن يتكلَّمَ : « لا إله إلاّ الله وحدَهُ لا شريك له ، له الملك وله الحمد يُحْيي ويُمِيتُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ ، عشر مَرات ، كَتب اللهُ له عشرَ حَسناتٍ ، ومحا عنه عَشْرَ سيئاتٍ ورَفع له عشرَ درَجاتٍ ، وكان يومَه ذلك كلَّه في حِرْزٍ من كُلِّ مَكروهٍ وحُرِسَ من الشيطانِ ، ولم يَنْبَغِ لذنبٍ أن يُدْرِكَه في ذلك اليومِ إلاّ الشركُ بالله تعالى »[٢] .

وفي روايةٍ : أنَّ من قال هذا الذِّكْرَ عشرَ مرّاتٍ بعد المغربِ ، بعَثَ اللهُ له مَسْلَحَةً يحفظونَه من الشيطانِ حتى يُصْبِحَ ، وكتَب اللهُ له بها عشرَ حسناتٍ موجباتٍ ، ومحا عنه عشرَ سيئاتٍ مُوبقاتٍ ، وكانت له بِعَدْلِ عشر رقباتٍ مؤمناتٍ[٣] .

وفي روايةٍ : بزيادة : « بيدِه الخيرُ » ، بعد قوله : « ولهُ الحمدُ » .

وفي روايةٍ : « وكان له بِكُلِّ مَرَّةٍ عِتق رقبةٍ من ولد إسماعيل ، ثَمنُ كُلِّ رقبةٍ اثنا عشر ألفاً » .

---

(١) رواه الترمذي في « الدعوات » من « جامعه » ورواه البزار وأبو يعلى وابن حبان في « صحيحه » من حديث أبي هريرة بنحوه . وذكر البزار فيه أن القائل ما رأينا : هو أبو بكر رضي الله عنه وقال في آخره : فقال النبي ﷺ: «يا أبا بكر ألا أدلُّك على ما هو أسرع إياباً وأفضل مَغْنماً؛ مَن صلى الغداة في جماعة ثم ذكر الله حتى تطلع الشمس».

(٢) رواه الترمذي واللفظ له وقال : حديث حسن غريب صحيح ، والنسائي وزاد فيه : بيده الخير ، وزاد فيه أيضاً : «وكان له بكل واحدة قالها عتق رقبة مؤمنة» . ورواه النسائي أيضاً من حديث معاذ وزاد فيه : «من قالهن حين ينصرف من صلاة العصر أُعطيَ مثل ذلك في ليلته» .

(٣) رواه النسائي والترمذي .

وفي روايةٍ : أنَّ من قال ذلك مائة مرةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَثْنِيَ رِجْلَيْه ، كان يومَئذ مِنْ أفْضَلِ أهلِ الأرض عملاً ، إلاّ من قال مثلَ ما قال ، أو زَاد على ما قال[1] .

وهذه الأحاديث تُفيد أنّ بركة هذا الذكر يَنالُها المسلم بشرط أن يأتي به بعد صلاة الصبح والمغرب مُباشرةً ، وقبل أن يتكلم وهو جَالسٌ جلوس الصلاة ، فإذا أتى بهذه الشروط فإن الله تعالى تَكفَّل له أَن يُعطيه سَبع فوائد :

أولاً : كتابةُ حَسناتٍ ، **ثانياً** : مَحو سيئاتٍ ، **ثالثاً** : زِيادَةُ دَرجاتٍ ، **رابعاً** : ثَوابُ العتق ، **خامساً** : الحِفظُ من الشيطان ، **سادساً** : السَّلامةُ من المصائب ، **سابعاً** : التنقيةُ من العُيوب والنجاةُ من العَذاب .

فالذي يُحافظ على قِراءة هذا الوِرد كُلَّ يوم ، يَتكرَّمُ الله عليه بزيادة حَسناتٍ مُضاعفة ، وإزالةِ سَيئاتٍ مَاحقة ، وتحصُّنٍ من المصائب ، وَوُقي شرَّ الحوادث ، وَبُعِّدَ عن المكاره والوسواس الخناس ، فَلا يجدُ الشيطان له فُرصةً يُغْويه وَيُضله ، هذا إلى سَلامته من كُلِّ الذنوب مُدّة يومه ، إلاَّ إذا أَلحد وأشرك بربه أحداً وهذا عَملٌ يَسيرٌ به يَنالُ فَضل الله الكبير .

ومن ذلك : أن من قال بعد الفجر ثلاث مرات ، وبعد العصر ثلاث مرات : أستغفِرُ الله الذي لا إله إلاَّ هو الحيَّ القيومَ وأتوبُ إليه ، كُفِّرَتْ عنه ذنوبُه وإن كانتْ مثلَ زَبَد البحرِ[2] .

* * *

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » بإسناد جيد . وهو عند أحمد بنحوه ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه ابن السني في كتابه .

صَلواتٌ مَخصُوصَةٌ

ومن الشَرف الذي جعله الله لهذه الأُمَّة : ما أعدَّهُ من الثواب الجزيل ووعد به من الخير الجليل على صَلاةِ الضُّحى ، والاستخارة ، وصَلاةِ الحَاجة ، وركعتي الوُضوء ، وصَلاةِ التَّسبيح .

١ ـ صَلاةُ الضُّحىٰ :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوصَاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثةِ أيّام من كُلِّ شهرٍ ، وركعتَي الضُّحى ، وأن أُوْتِرَ قبلَ أنْ أرْقُدَ[1] .

وَفضائلُ صَلاةِ الضُّحىٰ كَثيرةٌ نَذكُر جملةً منها :

١ـ بها يَغفِرُ الله تعالى الذنوب ، روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالَ رسول الله ﷺ : « مَن حافَظَ على شُفْعَةِ الضُّحى ـ أي ركعتي الضُّحى ـ غُفِرَتْ له ذنوبُه وإن كانتْ مثلَ زَبَدِ البحرِ » .

وروى أبو يعلى أنَّ النبي ﷺ قال : « من قامَ إذا استَقْبَلَتْهُ الشمسُ ـ أي بعد طلوعها وارتفاعها ـ فتوضَّأ فأحسَنَ وُضوءَه ثم قام فَصَلَّىٰ ركعتين ، غُفِرَتْ له خَطاياه وكان كما ولَدَتْه أمُّه » .

٢ـ بها يكون من الأَوابين ، رَوىٰ الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) رواه الشيخان .

قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُحافِظُ على صلاةِ الضحى ، إلاَّ أَوّابٌ » . قال : « وهي صَلاةُ الأَوَّابِيْنَ » . ورواه الحاكم وقال : على شرط مسلم .

٣ـ بها يَنالُ أجر المعتمر . رَوىٰ أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من خرَج من بيتِه مُتَطَهِّراً إلى صلاةٍ مكتوبةٍ ـ أي مَفروضةٍ يُصليها في المسجد ـ فأجْرُهُ كأجرِ الحَاجِّ المحْرِمِ ، ومن خرَج إلى تسبيح الضُّحى لا يَنْصِبُهُ إلاَّ إيَّاه ـ أي صلاة الضحى ـ فَأجرُه كأجر المعتمر ، وصلاةٌ على إِثْرِ صلاةٍ لا لَغْوَ بينهما ، كتابٌ في علِّيِّيْنَ » .

٤ـ بها يُكتب من العابدين ومن القانتين . رَوىٰ الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صَلَّىٰ الضُّحىٰ ركعتَينِ لم يُكْتَبْ مِنَ الغافِلين ، ومن صَلَّىٰ أربعاً كُتبَ من العابِدِين ، ومن صلى سِتّاً كُفِيَ ذلك اليومَ ، ومن صلى ثمانياً كتبهُ الله من القانتين ، ومن صَلَّىٰ ثِنْتَيْ عشرةَ ركعةً بنىٰ اللهُ له بيتاً في الجنة ، وما مِنْ يوم ٍ ولا ليلةٍ إلاَّ للهِ مَنٌّ يمُنُّ بهِ علىٰ عبادِه وصدقةٌ ، وما مَنَّ اللهُ على أحدٍ من عبادِه ، أفضلَ مِن أنْ يُلْهِمَه ذِكْرَه » .

٥ـ بها يَدخُلُ الجنة من باب الضحىٰ . رَوىٰ الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال : « إنّ في الجنَّة باباً يُقالُ له : الضحى ، فإذا كان يومُ القيامَةِ نادى مُنادٍ : أَيْنَ الذين كانوا يُدِيْمونَ صلاةَ الضحى؟ هذا بابكُم فادْخُلوه برحمةِ اللهِ تعالى » .

٦ـ بها يَكفي الله تعالى العبد ماأَهمهُ في ذلك اليوم ويدخل في ضَمان الله تعالى . رَوىٰ الترمذي عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ ، عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا ابْنَ

آدمَ ، لا تُعْجِزْني من أَربعِ ركَعاتٍ من أوَّلِ النهارِ أكْفِكَ آخرَه » .

وَروى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : قال الله عز وجل : « يا ابن آدم ، صَلِّ لي أربعَ ركَعاتٍ من أولِ النَّهارِ أَكْفِكَ آخِرَه » .

٧ـ بها يُؤدي العبد حُقوق الصدقات عن أعضائه ، فإن العبد متى أصبح وَجب أن يتصدّق عن أعضائه كلها ، وإن صَلاة الضحى تَفي بذلك كله . رَوىٰ مسلم عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يُصْبحُ علىٰ كلِّ سُلامَىٰ ـ أي عضو ـ من أحدِكم صدقةٌ ، فكلُّ تسبيحةٍ صَدقةٌ ، وكل تحميدةٍ صدقةٌ ، وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ ، وكُلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ ، وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ ، ونَهْيٌ عن المُنْكرِ صدقةٌ ، وَيُجْزِىءُ من ذلِكَ ركْعتان يَرْكَعُهُما مِن الضُّحى » .

وَروى الإمام أحمد أنَّ النبي ﷺ قال : « في الإنسان ستُّونَ وثلثمائة مَفْصِل ، فعليه أن يتصدَّقَ عن كُلِّ مَفْصِلٍ منها صدقةً . قالوا : فَمنْ يُطِيْقُ ذلك يا رسولَ اللهِ؟ قال : النُّخاعةُ في المسجِدِ تَدْفِنُها ، والشيءُ تُنحِّيهِ عن الطريقِ ، فإن لم تقدِرْ فركعتا الضُّحى تُجْزِىءُ عنك » .

وصَلاةُ الضحى أَقلُّها ركعتان إلى ثَمانِ ركعاتٍ ، ووقتها إذا حَلَّت الصلاةُ النافلة بعد شروق الشمس إلى الزوال .

٢ـ صَلاةُ الاستخَارةِ وَدُعاؤُها :

في الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من سعادةِ ابنِ آدَمَ كثرةُ اسْتِخَارَةِ اللهِ ، ورضاهُ بما قضىٰ اللهُ له . ومن شَقَاوَةِ ابن آدَمَ تَرْكُهُ استخارةَ اللهِ ، وسُخْطُه بما قَضى له » .

وعن جابر رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يُعَلِّمنا الاستخارة في الأُمور كلها ، كما يُعَلِّمنا السورة من القرآن يقول : « إذا هَمَّ أحدكُم بالأمرِ

فليَرْكعْ رَكعتَين من غيرِ الفريضةِ ، ثم ليقُلْ : اللهم إنِّي أسْتَخِيْرُكَ بِعِلْمِك وأستَقْدِرُك بقُدْرتِك وأسألُك من فضْلِك العظيمِ فإنَّك تقدِرُ ولا أقدِرُ ، وتعلَمُ ولا أَعلَمُ وَأَنْتَ علاَّمُ الغُيوبِ ، اللهم إن كُنتَ تعلَمُ أنَّ هٰذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمْري ـ أو قال : عَاجلِ أمري وآجِلِه ـ فاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْه لي ثم بارِكْ لي فيه ، وإن كُنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمْرَ شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال : عاجل أمري وآجِلِه ـ فاصْرِفه عنِّي واصْرِفْني عنهُ واقدُرْ لي الخيرَ حيثُ كان ثُمّ رضِّني به « ويسمي حاجته » .

وفي « سنن الترمذي » أنه ﷺ كان إذا أراد الأمر قال : « اللهم خِرْ لي واخْتَرْ لي » .

وهذا لا يُنافي الدُّعاء السابقِ ، بل يَدعُو به أيضاً .

وَيستحبُ افتتاحُ دعاءِ الاستخارة وختمه بالحمد لله والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ مُستقبل القبلة كما هو سُنّة الدُّعاء ، وأن يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وسورة « الكافرون » وفي الثانية فاتحة الكتاب وسورة « الإخلاص » واستحبَّ جَمعٌ من المحدثين والصُّوفية رضي الله عنهم أن يقرأ في الركعة الأولى قبل سورة الكافرون آية القصص قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٦٨ـ٧٠] ويقرأ في الركعة الثانية قبل سورة الإخلاص آية الأحزاب : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

قال الإمام الشيخ ابن عربي رضي الله عنه : يَفعل ذلك ـ أي الاستخارة

على الوجه السابق ـ في كُلّ حاجةٍ مُهمَّةٍ يُريد فِعلها وقضاءها ، ثُمّ يَشرعُ في حَاجته ، فإن كان له فيها خِيرةٌ عند الله تعالى ، يَسَّر له أسبابها إلى أن تحصل فتكون عَاقبتها محمودةً ، وإن تعذَّر شَيءٌ من أسبابها عليه ولم يتفق تحصيلها بِيُسرٍ ، فلا يُضَادَّ القدر ويعلم أنه لو كان فيها خِيرةٌ عند الله تعالى ما تعذّرت أسبابها ، فيعلم أنَّ الله تعالى قد اختار له تركها ، فَلا يَتألم لذلك وَسيحمدُ عَاقبة تركها .

قال الإمام النووي رضي الله عنه : وإذا استخار مضى بعدها لما ينشرحُ له صدره ، والله أعلم .

وإذا لم يتضح له شَيءٌ يكرِّرها ، فقد روى الديلمي وابن السني عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أنس ، إذا هَمَمْتَ بأمرٍ فاستَخِرْ ربَّك فيه سبعَ مرات ، ثم انظُرْ إلى الذي سبقَ إلى قلبِك فإنّ الخيرَ فيه » .

ثم إنَّ الاستخارةَ هي طَلبُ الخِيرة في الأمر ، فقد يَكشِفُ الله تعالى لكَ الخير كشفاً قلبياً ، فَينشرح صَدركَ لذلك الأمر ، وقد لا يَتجِهُ قلبك لوجهٍ من الوُجوه بسبب شُغله في أمورٍ أُخرى ، أو بسبب ضيقٍ في الوقت ، أو عدم وُجودِ المناسبات الكَاشفةِ لقلبك عن الأمر الذي استخرتَ الله تعالى فيه ، فحينئذ قَد يُجليه الله تعالى وَيكشفَهُ لك في عالم المنام ، ولذلك قال صاحب « شرعة الإسلام » في فصل فَضيلة النوافل : ثُمّ إنَّ المسموعَ من المشايخ : أنه ينبغي أن يَنام على الطَّهارة مُستقبل القِبلة بعد قِراءة الدُّعاء المذكور ، فإن رأى في مَنامه بياضاً أو خُضرةً ، فذلك الأمر خَير ، وإن رأى فيه سواداً أو حُمرةً ، فهو شَرٌّ ينبغي أن يَجتَنِبَهُ . اهـ .

قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه : وينبغي لأهل الله تعالى أن يُصَلّوا صَلاة الاستخارة في وقتٍ مُعينٍ يُعيِّنونه من لَيلٍ أو نَهارٍ في كُلِّ يوم ، فإذا

قالوا الدعاء الوَارد في الحديث كما تقدم ، يقولون في الموضع الذي أمر أن يُسمي حَاجته ـ أي حينما يَصلُ في الدعاء إلى قوله : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي ـ يقول : اللهم إن كُنت تعلم أنّ جميع ما أتحرك فيه في حقي وفي حق غيري ، وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني خَيرٌ لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله من ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر ، فَيسرهُ لي واقدرهُ لي ورضِّني به ، وإن كُنت تَعلمُ أن جَميع ما أتحرك فيه في حقي وفي حق غيري ، وجميع ما يتحرك فيه غيري في حقي وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني من ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر شرٌ لي في ديني ودنياي وعاجل أمري وآجله ، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثُمّ رضّني به .

قال الشيخ رضي الله عنه : فإذا فعل ذلك ، فما يَتحرَّكُ بحركةٍ ولا يُتحرَّك في حَقِّه بحركةٍ إلاّ كان فيها خيرٌ مُحقَّقٌ فعلاً أو تركاً ، جَرّبتُ هذا . اهـ .

فعليك يا أخي أن تُعيِّن وقتاً خاصّاً أول النهار ، أو بعد صلاة الظهر ، أو بعد صلاة المغرب ، أو بعد صلاة العشاء وتصلي ركعتي الاستخارة ثم تدعو بما تقدم ، وواظب على ذلك كُلّ يومٍ ، فإن فيه خيراً كثيراً . اهـ .

٣ـ صَلاةُ الحَاجةِ وَدُعاؤُها :

رَوىٰ الترمذي وغيره عن عثمان بن حُنيف رضي الله عنه أنَّ رجلاً ضَرِيراً أتى النبي ﷺ فقال : ادعُ الله تعالى أن يُعافِيَني ، قال : « إن شئتَ دعوتُ وإن شئت صبرْتَ فهو خيرٌ لك » . قال : فادْعُه . ـ أي ادع الله ـ فأمره أن يتوضَّأ فيحسن وُضوءه ، ويدعوَ بهذا الدعاء : « اللهم إنّي

أسألُك وأتَوَجّهُ إليك بنبيِّكَ محمدٍ ﷺ نبيِّ الرحمةِ ، يا محمدُ إني توَجَّهْتُ بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقْضى لي ، اللهم فشَفِّعْه فِيَّ » .

وفي رواية النسائي : فتوضأ ثم صلى ركعتين - أي ثم دعا - .

وفي الترمذي وغيره عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال : خرجَ علينا رسول الله ﷺ يوماً فقعَد وقال : « من كانتْ له حاجةٌ إلى الله تعالى أو إلى أحدٍ من بني آدم ، فليتوضَّأ وليُحْسِنِ الوُضوءَ ، ثم لِيصلِّ ركعتين ، ثم لِيُثْنِ على الله عزّ وجل وليُصَلِّ على النبي ﷺ ثم ليقُلْ : لا إله إلا الله الحليمُ الكريمُ سبحانَ الله ربِّ العرْشِ العظيمِ الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجِباتِ رحمتِك وعزائِمَ مغْفِرَتِك والغنيمةَ من كلِّ بِرٍّ والسلامةَ من كل إثمٍ ، لا تدَعْ لي ذَنْباً إلاّ غَفَرْتَه ولا هَمّاً إلاّ فرَّجْتَه ولا حاجَةً هي لك رِضا إلاّ قضيتها يا أرحمَ الراحمين » .

وفي « سنن أبي داود » عن حُذيفة رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه - أي نزل به هَمٌّ أو غَمٌّ - صلى - أي لأن الصلاة تدفعُ النوائب وترفع المصائب - . « وحزبه » بالباء أو بالنون كما في « فيض القدير » .

٤- صَلاةُ ركعتي الوضوء :

عن عقبة رضي الله عنه قال : كانتْ علينا رعايةُ الإبلِ ، فجاءت نَوْبَتي ، فَرَوَّحْتُها بعشِيٍّ فأدرَكْتُ رسول الله ﷺ قائماً يحدِّثُ الناس وأدركت من قوله : « ما مِنْ مُسْلِمٍ يتَوضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضوءَه ثم يقومُ فيصلِّي ركعتين مُقْبِلٌ عليهما بقلبه ووجْهِه ، إلاَّ وجَبَتْ له الجنَّةُ » . فقلتُ : ما أجوَدَ هٰذه! فإذا قائلٌ يقول بين يَدَيَّ : التي قَبْلَها أَجْوَدُ ، فنظرتُ فإذا عمر بن الخطاب فقال : إني قد رأيتُكَ جِئْتَ آنِفاً - أي الآن وما سمعتَ

ما قاله قَبْلَه ـ قال ﷺ : « ما منكم من أحدٍ يتوضَّأُ فيُبْلِغُ أو فيُسْبِغُ الوضوءَ ثم يقولُ : أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهد أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه ، إلاَّ فُتِحَتْ له أبوابُ الجنةِ الثَّمانيةُ يدْخُلُ من أيِّها شاءَ »[1] .

وعند الترمذي بعد قوله : « ورسوله » ، « اللهم اجعَلْني من التَّوَّابِيْنَ واجعَلْني من المُتَطَهِّرِيْنَ » . فَيندبُ صلاةُ ركعتين عَقب الوضوء وكذا الغُسل ، وَيحسنُ أن يقرأ فيهما سورة : (قل يا أيها الكافرون) و(الإخلاص) .

٥ـ صَلاةُ التَسبيح :

ومن شرف هذه الأُمّة المحمدية : أنَّ الله سبحانه وتعالى خَصها بصَلاةِ التَسبيح .

رَوىٰ أبو داود سليمان بن الأشعث ، وابن ماجه محمد بن يزيد في « سننهما » قالا : حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري ، حدثنا موسى بن عبد العزيز ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أنَّ رسول الله ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب : « يا عبّاسُ يا عمَّاه ، ألا أُعْطِيْكَ ألَا أمْنَحُكَ ألا أَحْبُوكَ ألا أفْعَلُ بك عشرَ خصالٍ إذا أنت فعلْتَ ذلك غَفرَ اللهُ لك ذَنْبَك أوَّلَهُ وآخرَه ، قَدِيْمَه وحديثَه ، خَطَأَهُ وعَمْدَهُ ، صغيرَهُ وكبيرَهُ ، سِرَّهُ وعلانِيَتَه ، عشرَ خصالٍ : أن تُصَلِّيَ أربعَ ركعاتٍ تقرأُ في كلِّ ركعةٍ بفاتحةِ الكتابِ وسورةٍ ، فإذا فرغْتَ من القراءةِ في أوَّلِ ركعةٍ فَقُلْ وأنت قائمٌ : سبحانَ اللهِ والحمدُ لله ولا إله إلا الله واللهُ أكبر ، خَمسَ عشرةَ مرَّةً ، ثم تَرْكَعُ فتقولُها وأنت رَاكِعٌ عشراً ، ثم ترفَعُ رأسَكَ من الركوعِ فتقولُها عشراً ، ثم تَهوي ساجِداً فتقولُها وأنت ساجدٌ

---

(١) رواه مسلم .

عشراً ، ثم ترفعُ رأسَك من السجودِ فتقولُها عشراً ، ثم تسجد فتقولها عشراً ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً ، فذلك خمس وسبعون في كلِّ ركعةٍ تفعَلُ ذلك في أربعِ ركَعاتٍ ، وإنِ اسْتَطَعْتَ أن تُصلِّيَها في كلِّ يَوْمٍ مَرَّةً ، فافعَلْ ، فَإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفي كُلِّ جُمْعَةٍ مرَّةً ، فَإنْ لم تَفْعَلْ ففي كُلِّ شَهْرٍ مرَّة ، فإن لم تفعلْ ففي كُلِّ سَنَةٍ مرّةً ، فإن لم تفعَلْ ففي عُمرِك مرَّةً »[1] .

وقد رُوِيَ هذا الحديث من طُرُقٍ كَثيرةٍ عن جَماعةٍ من الصحابة منهم : عبد الله بن عباس ، وأبو رَافع الأنصاري مولى رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن عمرو الأَنصاري .

قال المنذري في « الترغيب والترهيب » : أمثَلُها حديث عكرمة هذا ، وقد صَحّحهُ جماعةٌ منهم الحُفاظ : أبو بكر الآجري ، وأبو محمد عبد الرحيم المصري ، وأبو الحسن المقدسي . وقال أبو بكر بن أبي داود : سمعتُ أبي يقول : ليس في صلاة التسبيح حديث صَحيحٌ غير هذا .

وقال مسلم بن الحجاج : لا يُروىٰ في هذا الحديث إسنادٌ أحسن من هذا . اهـ.

والتحقيق أنَّ الحديث لا يَنْحَطُّ عن درجةِ الحَسن ، لطُرُقهِ التي تَشدّهُ وتقوّيه .

وقوله : « غفر الله لك ذنبك أوله وآخره . . . صغيره وكبيره » ، يدلُّ بظاهره على أنَّ الكبائر تُغْفَرُ بمجرّد فعل هذه الصلاة ، وهو محمولٌ على ما إذا اقترنت ببقيَّة شروط التوبة ، من الاستغفار والندم والعزم على عدم العود .

---

(١) وأخرجه الحاكم والبيهقي وغيرهما .

وقوله : « غفر الله لك ذنبك أوله وآخره » ، لا يتناولُ حُقوق العباد ، فلا تَسقطُ عن ذمته مهما قَدم من أعمال الخير ، وإنما تبرأُ ذمتهُ مما هو خَاصٌ بحقوق الله تعالى المحضة .

وقوله : « تقرأ في كُلّ ركعة بفاتحة الكتاب وسورة » ، مطلقٌ في أيّ السور يختارها القارىء ، وقد اختار بعضهم لذلك هذه السور : التكاثر ، العصر ، الكافرون ، الإخلاص .

وقوله : « ثمّ ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشراً » ، أي بعد قول : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ، وكذلك في الركوع وفي كُلّ ما يأتي تُقال التسبيحات بعد أذكار الصلاة الأصلية .

وقوله : « ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشراً » ، فيه إشارةٌ إلى أنه يَجلسُ قليلاً بعد السجدة الثانية من الركعة الأولى ، وكذا الثالثة ليقول عشر تسبيحات ، وهذه جَلسةُ استراحةٍ ، أمّا في الركعة الثانية والرابعة ، فيقولها في الجلوس الأصلي للتشهد .

٦ـ صَلاةُ تَقوِيَة الحِفْظ :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : بينما نَحنُ عند رسول الله ﷺ إذْ جاءهُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : بأبي أنت وأمي ، تَفَلَّتَ هذا القُرآنُ من صدْرِي ، فما أجدُني أقدِرُ عليه .

فقال له رسول الله ﷺ : « يا أبا الحسَنِ ، أفَلا أُعَلِّمكَ كلماتٍ ينفَعُكَ اللهُ بِهنَّ وينفَعُ بِهنَّ مَنْ علَّمْتَه ويُثَبِّتُ ما تعلَّمْتَ في صدْرِك؟ قال : أجَلْ يا رسول الله ، فَعَلِّمني . قال : إذا كان ليلةُ الجمعةِ فإنِ اسْتَطَعْتَ أن تقومَ في ثُلثِ الليلِ الآخِرِ فإنَّها ساعةٌ مشهودَةٌ والدُّعاءُ فيها مستجابٌ . وقد قال أخي يعقوبُ لبنيه : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ﴾ ، يقول : حتَّى

تأْتِيَ ليلةُ الجمعةِ ، فإن لم تستطِعْ فقُمْ في وسَطِها ، فإن لم تَسْتَطع فقم في أَوَّلِها ، فصلِّ أربعَ رَكَعاتٍ تقرأُ في الرَّكعَةِ الأُولىٰ بِفاتحةِ الكتاب وسورة يٰس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحٰم الدُّخانِ ، وفي الركعة الثالثةِ بفاتحةِ الكتاب والٓمٓ تنزيلُ السجْدة ، وفي الركعةِ الرابعةِ بفاتحةِ الكتابِ وتَبارَكَ المُفَصَّلِ . فإذا فَرغْتَ من التشهُّد ، فاحْمَدِ الله وأَحْسِنِ الثَّناءَ على اللهِ وصَلِّ عَليَّ وأحْسِنْ ، وعلىٰ سائر النبيين ، واسْتَغْفِرْ للمؤمنين والمؤمنات ولإِخوانِك الّذين سَبقُوك بالإِيمانِ ، ثم قُلْ في آخرِ ذلكَ : اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حُسن النظر فيما يُرضيك عني اللهُّم بَدِيعَ السمواتِ والأرْضِ ذا الجلالِ وَالإِكْرَامِ والعِزَّةِ التي لا تُرامُ ، أسألكَ يا اللهُ يا رحمْنُ بجلالِك ونورِ وجْهِك أن تُلْزِمَ قلْبي حِفظَ كتابِك كما علَّمْتَني ، وارزُقْني أَنْ أَتْلُوَه على النَّحْوِ الذي يُرْضِيْكَ عَنِّي ، اللهمَّ بديعَ السَّمواتِ والأرض ذا الجلالِ وَالإِكْرامِ والعِزَّةِ الَّتي لا تُرامُ ، أسأَلُك يا الله يا رَحْمٰنُ بجلالِك ونور وجْهِك أَنْ تُنَوِّرَ بكتابك بصري وأن تُطْلِقَ به لساني ، وأن تُفَرِّجَ به عن قلْبي وأن تَشْرَحَ به صدْري وأن تُعْمِلَ به بدني ، فإنه لا يُعِيْنُني على الحقِّ غيرُكَ ولا يؤتينيه إلاّ أنتَ . ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم .

يا أبا الحسن ، تفعَلُ ذلك ثلاثَ جُمَعٍ أو خمْساً أو سبْعاً ، تُجَابُ بإِذْنِ اللهِ . والَّذي بعَثَني بالحقِّ ما أَخطَأَ مؤمِناً قط .

قال ابن عباس : فوَاللهِ ما لبث عليٌّ إلاَّ خمساً أو سبعاً حتى جاء عليٌّ رسولَ الله ﷺ في مثل ذلك المجلس فقال : يا رسول الله إنّي كنْتُ فيما خَلا لا آخُذُ إلاَّ أربعَ آيات ونحوَهُنَّ ، فإذا قرأْتُهُنَّ على نفسي تَفَلَّتْنَ ، وأنا أَتعلَّمُ اليومَ أربعين آيةَ ونحوها فإذا قرأْتُها على نفسي فكأنَّما كتابُ الله بينَ عَيْنَيَّ ، ولقد كنتُ أسمعُ الحديثَ فإذا رددْتُه تَفَلَّتَ ، وأنا اليوم أسمَعُ الأَحاديثَ فإِذا تَحدَّثْتُ بها لم أَخرِمْ منها حَرْفاً ، فقال له رسول الله ﷺ عند

ذلك : مؤمنٌ وربِّ الكعبةِ يا أبا الحسن »[1] .

وقد عَيَّن الحديث السُور الأربع المذكورة ورتَّبها في كُلّ ركعة سورة ، وهذا الترتيبُ مُخالِفٌ لترتيب سور القرآن ، ومراعاةُ ترتيبِ سُوَر القرآن في الصلاة مستحبةٌ ، ومخالفةُ المستَحَبِّ في الأحيان القليلة جَائزة ، وقد ورد عنه ﷺ أنه فعل ذلك أحياناً لبيان عدم الحُرمة .

هذا ، وقد جاءت التجاربُ تؤيد ما ذكرنا ، قال الحافظ أبو الحسن بن عَرَّاق : وأخبرني غير واحدٍ أنهم جَرَّبوا الدُعاء به ، فَوجدُوهُ حقاً .

وذلك أنَّ ضعف الحِفظ إن كان فطرياً ، فالله تعالى الخالق الباري المحيي المميت قَادرٌ على إمداد الداعي بمزيد من القوة الواعية ، وإن كان لعارضٍ من أحوال طارئةٍ يُقوّيه الله تعالى على مقاومتها ، فقد اشتمل الحديث على ما يُزِيل ذلك حيث يدعو المؤمن ربَّه بأن يرحمه بترك المعاصي ، ـ ومعلومٌ بل مُشاهدٌ أنَّ ارتكاب المعاصي من أعظم أسباب البَلبَال الفكري والذهني ـ ، واشتمل على الاستعانة بالله لترك الاهتمام فيما لا يعنيه ولا يدخل فيما يمكنه من الأمور ، لأنه يُوزع فِكرهُ ويمنعه من تركيز الانتباه فيما يعنيه وينفعه ، ويلحق بذلك سائر ما يدخل الهمَّ على الإنسان من الظروف المحيطة به مما لا بدَّ له فيه .

وفي الحديث سؤالُ حُسنِ النظر فيما يُرْضي الله تعالى ، وذلك يَشملُ كَافَّة العلوم والمعارف النافعة ، وكافَّة المصالح المشروعة ، لأنها يُثاب فَاعلها ما دام يبتغي بها رضا الله . وَحُسن النظر يُقَوِّي ارتسام الأمور والمعاني في الذهن . . . إلى آخر ما اشتمل عليه الحديث .

* * *

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب، وأخرجه الحاكم وصححه .

فَضلُ أَداءِ الزَّكاة

ومن شرف هذه الأُمّة : ما اختَصَّها الله به من الثَّواب العظيم والفَضلِ الكريم على أداء الزكاة ، وهي رُكنٌ من الأركان التي ينبني عليها الإسلام .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : بُنِيَ الإسْلامُ علىٰ خَمْسٍ : شهادَةِ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ ، وأنَّ مُحمّداً عبدُهُ ورسولُه ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحجِّ البيت ، وصومِ رمضان »[1] .

والزكاةُ من الأعمال التي تُوجب دُخول الجنة ، فتفتح له أبواب الجنة ، وَيُقال له : ادخل بسلام .

قال ﷺ : « ما مِنْ عبْدٍ يُصلِّي الصلواتِ الخَمْسَ ، ويصومُ رمضانَ ، ويُخْرجُ الزكاةَ ، وَيجْتَنِبُ الكبائِرَ السَّبْعَ ، إلاَّ فُتِحَتْ لهُ أبوابُ الجنة ، وقيل له : ادْخُلْ بسلام »[2] .

وفي روايةٍ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خمسٌ مَنْ جاءَ بِهِنَّ مع إيمانٍ دخَلَ الجنَّةَ ؛ من حَافَظَ على الصَّلواتِ الخمْسِ ، على وُضوئِهِنَّ ورُكوعِهِنّ وسُجُودِهِنّ ومواقِيتِهِنَّ ، وصامَ

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(٢) رواه النسائي واللفظ له ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

رمضانَ ، وحَجّ البيتَ إن استَطاعَ إليهِ سبيلاً ، وأَعطىٰ الزّكاةَ طَيّبَةً بِها نَفسهُ »[1] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كُنتُ مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ، ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يُدْخِلُنِي الجنةَ ، ويُبَاعِدُني من النار؟ قال : « لقد سألتَ عن عظيمٍ ، وإنه ليَسِيرٌ على مَنْ يسّرهُ الله عليهِ : تَعْبُدُ الله ولا تُشْرِكُ به شَيْئاً ، وتقيمُ الصلاةَ ، وتُؤْتي الزكاةَ ، وتصومُ رَمَضانَ ، وتحُجُّ البيتَ »[2] . الحديث .

وقد تكفَّل نبينا ﷺ بالجنة ، لمن أدَّاها ، وأتى بها على وجهها الصحيح ، فقال : « اكْفُلُوا لِي بستٍّ أَكْفُلْ لكُم بالجنة ، قُلت : ما هي يا رسول الله؟ قال : الصلاة ، والزكاة ، والأمانَةُ ، والفَرْجُ ، والبَطْنُ ، واللِّسانُ »[3] .

وقد سأل رجلٌ نبيَّنا ﷺ فقال : أخبرني بعَملٍ يُدْخِلُني الجنة؟ قال : « تعبد الله لا تُشْرِكُ به شيئاً ، وتقيمُ الصلاة ، وتُؤْتي الزكاةَ ، وتَصِلُ الرحِمَ »[4] .

وفي روايةٍ أنه قال : دُلَّني علىٰ عَمَلٍ إذا عَمِلتُه دَخلتُ الجنة؟ قال : « تعبد الله لا تُشْرِكُ به شيئاً ، وتُقِيمُ الصلاةَ المكتوبةَ ، وتؤْتي الزكاةَ المفروضَةَ ، وتَصُوْمُ رمضانَ ، قال : والذي نفسي بيده ، لا أَزِيْدُ على

(١) رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد جيد .
(٢) رواه أحمد والترمذي وصححه ، والنسائي وابن ماجه .
(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » بإسناد لا بأس به ، وله شواهد كثيرة .
(٤) رواه البخاري ومسلم .

هذا وَلا أَنْقَصُ منه ، فلمّا وَلَّىٰ قال النبي ﷺ : من سَرَّهُ أن يَنْظُر إلىٰ رَجُلٍ من أَهْلِ الجَنَّةِ ، فَلْيَنْظُرْ إلىٰ هذا »[1] .

وقد جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ يُخْبِرُ أنه ذُو مَالٍ كثير ، وذو أهل ويقول : أخبرني يا رسول الله كيف أَصْنَعُ وكيف أُنْفِقُ؟ فقال رسول الله ﷺ : « تُخْرِجُ الزكاةَ من مَالِكَ ، فإنَّها طُهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ ، وتَصِلُ أَقْرِبَاءَكَ ، وتَعْرِفُ حَقَّ المِسْكِيْنِ ، والجارِ ، والسَّائِلِ »[2] . الحديث .

والزكاةُ قَنطرةُ الإِسلام ، كذا يقول ﷺ ، والمعنى : أنَّ المسلم يمرُّ يوم القيامة على جسر ممدودٍ على متن جهنم ، والمزكّي يَعْبُرها ، وغير المزكّي حينما يصل إليها ، لا يمكنُه العبور فيسقط في نار جهنم .

والزكاةُ أَحدُ أسهم الإِسلام الثمانية ، وقد أخبرنا ﷺ أنَّ الإسلام ثمانية أسهم بقوله :

« الإِسْلامُ ثَمانِيَةُ أَسْهُمٍ : الإسلامُ سَهْمٌ ، والصلاةُ سهمٌ ، والزكاةُ سَهْمٌ ، والصوم سهم ، وحَجُّ البَيْتِ سهم ، والأمرُ بالمعروفِ سَهْمٌ ، والنَّهْيُ عن المنكرِ سهم ، والجهادُ في سبيل الله سهمٌ ، وقد خاب مَنْ لا سهم له »[3] .

ومن فضائل الزكاة : أنَّ من أدَّىٰ زكاة ماله ، فقد ذَهب عنه شَرّه .

يقول ﷺ : « مَنْ أَدَّى زكاةَ مالِهِ ، فَقَدْ ذَهَبَ عنهُ شَرُّه »[4] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه البزار مرفوعاً ، وفيه يزيد بن عطاء اليشكري ، ورواه أبو يعلى من حديث علي مرفوعاً أيضاً . وروي موقوفاً على حذيفة وهو أصح ، قاله الدارقطني وغيره .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » واللفظ له ، وابن خزيمة في « صحيحه » .

وفي روايةٍ عند الحاكم : « إذا أدّيتَ زكاة مَالِكَ ، فقد أذهبتَ عنك شرّهُ » . وقال : صحيح على شرط مسلم .

ومعنى : « ذهب عنه شرُّه » . أي لم يُعذَّب صاحبه به في قبره ، فلا يُمَثَّلُ له شجاعاً أَقرع يَلدغه وَيُعذِّبه ، كما قال ﷺ لغير المزكِّي :

« من آتاه الله مالاً فلو يؤد زكاته مُثِّلَ لهُ يومَ القيامةِ شُجَاعاً أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يومَ القِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ ـ يعني شِدْقَيْهِ ـ ، ثم يقول : أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ، ثم تَلا ﷺ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1] [آل عمران : ١٨٠] » .

ومعنى : « **شجاعاً** » ، أي حيةً ذكراً ، ومعنى : « **زبيبتان** » : أي زَبَدتان في شدقيه ، ومعنى الآية : أي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيراً لهم ، بل البخل شر لهم ، لاستجلاب العقاب عليهم .

وفي الآية يقول تعالى : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ ﴾ وهو معنى قوله ﷺ : « ما مِنْ رجُلٍ لا يُؤَدِّي زكاةَ مالِهِ ، إلاَّ جَعَلَهُ اللهُ شُجاعاً فِي عُنُقِهِ يومَ القيامةِ » .

والزَكاةُ حِصنٌ منيعٌ للأموالِ منَ السَّرقة والضَياع .

يقول ﷺ : « حَصِّنُوا أَموالَكُمْ بالزكاةِ ، ودَاوُوا مَرْضَاكم بالصَّدَقَةِ ، واسْتَقْبِلُوا أمواجَ البَلاء بالدُّعاءِ والتَّضرُّعِ »[2] .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه أبو داود في المراسيل ، ورواه الطبراني والبيهقي وغيرهما عن جماعة من الصحابة مرفوعاً متصلاً ، والمرسل أشبه .

والزَكاةُ هي تَمامُ أمور الدّين ، قال ﷺ : « إنَّ تَمامَ إسلامِكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا زَكاةَ أموالِكُمْ »[1] .

ومن فَضائل الزكاة : أنها تنفي عن المال اسم الكنز ، لأنَّ المال الذي لا يُزَكَّى هو الكنز ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٤-٣٥] .

قال النبي ﷺ : « كُلُّ مَالٍ وإن كان تَحْتَ سَبْعِ أَرَضِيْنَ ، تُؤدّى زَكاتُه ، فَلَيسَ بكنْزٍ ، وكلُّ مالٍ لا تُؤَدَّىٰ زكاته وإن كان ظاهِراً ، فهو كنزٌ »[2] .

والزَكاةُ ثاني درجات الإسلام فقد سُئل ابن مسعود رضي الله عنه : أيُّ درجات الإسلام أفضل؟ قال : الصلاة ، قال : ثم أيٌّ؟ قال : الزكاة[3] .

ومن أداها فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان ، لما جاء في الحديث : قال رسول الله ﷺ : « ثَلاثٌ مَنْ فعلهُنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإِيمانِ : من عبدَ الله وحدَه ، وعَلِمَ أنْ لا إلهَ إلا الله ، وأَعْطى زكاةَ مالِه طَيِّبَةً بِها نَفْسُه رافِدَةً عليه كلَّ عامٍ ، ولم يُعطِ الهَرِمَةَ ، ولا الدَّرِنَةَ ، ولا المرِيضَةَ ، ولا الشَرَطَ اللئِيْمَةَ ، ولكن مِن وسَطِ أموالِكُمْ ، فإن الله لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ ، ولم يَأْمُرْكُم بِشرِّهِ »[4] .

---

(١) رواه البزار .
(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » مرفوعاً ، ورواه غيره موقوفاً على ابن عمر وهو الصحيح .
(٣) رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد لا بأس به .
(٤) رواه أبو داود .

قوله : « رَافدةً عليه » ، من الرِّفْدِ ، وهو الإعانة ، ومعناه : أنه يعطي الزكاة ونفسه تُعينه على أدائها بطيبها وعدم حَديثها له بالمنع .

« والشَرَطُ » : ـ بفتح المعجمة والراء ـ وهي الرَذيلةُ من المال كالمسنَّةِ والعَجفاء ونحوهما . « والدَّرِنَة » : الجرباء .

فَضلُ العَملِ على الصَدقة بالتقوى

العَامِلُ على الصدقة هو الذي يبذل جهدهُ في جَمع الزكاة من المسلمين ليوصلها إلى بيت المال ، فَيتصرَّفُ الإمام في إنفاقها في المصالح العامَّة ، والمساعدة والإعانة والإحسان ، وثَوابُه ثَوابُ المُجاهِد لنصر دين الله ، المضَاعَفِ أَجرُهُ .

يقول ﷺ : « العَامِلُ على الصَّدَقَةِ بالحَقِّ لوَجْهِ الله تعالى ، كالْغَازِيْ في سبيلِ اللهِ عزّ وجل حَتَّى يَرْجِعَ إلىٰ أهْلِه »[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « العامِلُ إذا استُعْمِلَ فأَخَذَ الحَقَّ ، وأَعْطَىٰ الحَقَّ ، لم يَزَلْ كالمجاهِدِ في سبيلِ الله حتى يرجِعَ إلى بَيْتِهِ »[2] .

وَكسبُ العامل هو خَيرُ كسبٍ ، قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُ الكَسْبِ كَسْبُ العامِلِ إذا نَصَحَ »[3] .

وله مثل ثَوابِ المُتصدِّقين لما يقوم به من أَمانةٍ في حفظ الصدقات ، وإيصالها إلى أهلها .

---

(١) رواه أحمد واللفظ له ، وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في « صحيحه » ، وقال الترمذي : حديث حسن .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » عن عبد الرحمن بن عوف .

(٣) رواه أحمد ورواته ثقات .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ الخازِنَ المُسْلِمَ الأمِيْنَ الذي يَنقُلُ مَا أُمِرَ به فيُعْطِيهِ كَامِلاً مُوَفَّراً طَيِّبَةٌ به نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إلىٰ الَّذي أُمِرَ به ، أَحدُ المُتصدِّقين »[1] .

والعَاملُ إذا اتقى الله وراقبه ، فهو من أهل الجنة ، يقول ﷺ : « إنَّهُ سَتُفْتَحُ عليكم مَشَارِقُ الأَرْضِ ومَغَارِبُها ، وإِنَّ عُمّالَهَا في النَّارِ ، إلاَّ مَنْ اتَّقَىٰ الله عزَّ وجلَّ وأَدَّىٰ الأَمَانَةَ »[2] .

* * *

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود .

(٢) رواه أحمد .

شَرفُ الصَدقَةِ وفَضلُ المُتَصدِّقين

ومن الشَرف الذي ادَّخره الله تعالى لهذه الأُمّة : ما أعدهُ الله تعالى من الفضل الجزيل والثواب الجليل على الصدقة ، وما ميَّز الله به المتصدقين من الخصائص الحميدة والمزايا المجيدة ، وقد جَمعتُ جُملةً صالحةً من ذلك أذكرها إن شاء الله فيما يأتي :

الصَدقةُ تزيد في العمر وَيُذهِبُ الله بها أَرذل الأخلاق وأسوأها ، ويحفظ بها العبد من الفقر ، فعن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ صدَقَةَ المُسْلِمِ تَزِيدُ في العُمُرِ وتَمْنَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ ، ويُذْهِبُ اللهُ بِها الكِبْرَ والفَقْرَ والفَخْرَ » .

والمراد بزيادة العمر : البركة فيه ، بأن يُوفَق للأعمال الصالحات ، فيعمل في سَنواتٍ قليلة من الخير ما لا يَعملهُ غيره في سنوات كثيرة .

والصَدقةُ تزيد في المال وتباركه وتدفع عنه المُفسدات . قال ﷺ : « ما نَقَصَتْ صَدَقةٌ مِنْ مالٍ »[1] .

والمعنى : أنَّ النقصَ الحاصل في المال في الصورة مَجبورٌ بالبركة الخفية ، وهذا مُدْرَكٌ بالحسِّ والعادة ، أو أنه وإن نقصت صورته ، لكن ثَوابه المعدُّ له في الآخرة جَابِرٌ لنقصه .

---

(١) رواه مسلم .

الصدقة حجاب من النار ، اتقوا النار ولو بشق تمرة

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « اتَّقوا النّارَ ولَو بشِقِّ تَمْرَةٍ » ، أي اجعلوا بينكم وبينها وقايةً ، أي حجاباً ولو كان الاتِّقاء بالتصدق بشيءٍ قليل جداً ، مثل شقّ تمرة أي جانبها ، أي نصفها فإنه يُفيد . فلا يحتقر المتصدق ذلك ، فلو هُنَا للتقليل .

وقد ذكر التمرة دون غيرها كلقمة طعام ، لأن التّمر غالب قوت أهلِ الحجاز ، والاتِّقاء من النار كناية عن محو الذنوب ، ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود : ١١٤] ، « أتْبِعِ السّيئةَ الحسَنةَ تمْحُها » .

وبالجملة : ففيه حَثٌّ على التصدق ولو بما قَلّ .

وفي الطبراني من حديث فَضالة بن عبيد مرفوعاً : « اْجْعلوا بيْنكم وبينَ النّارِ حجاباً ولو بِشقِّ تمْرةٍ » .

ولأحمد من حديث ابن مسعود مرفوعاً بإسنادٍ صحيح : « ليتَّقِ أحدُكم وجْهَه النّارَ ولو بشِقِّ تمْرةٍ » .

وله من حديث عائشة بإسنادٍ حَسنٍ : « يا عائشةُ اْستَتِري مِنَ النارِ ولو بشِقِّ تمرةٍ ، فإنّها تسُدُّ مِن الجائعِ مَسدَّها مِنَ الشَّبْعانِ » .

ولأبي يعلى من حديث أبي بكر الصديق ، نحوه وأتمّ منه بلفظ : « تَقعُ من الجائع موقِعَها مِنَ الشّبْعانِ » وكأنَّ الجامع بينهما في ذلك حَلاوتها .

وفي روايةٍ : « يا عائشة ، اشْتَري نَفْسَكِ مِن اللهِ ، لا أُغْني عَنْكِ مِن اللهِ شيئاً ولو بشقّ تمرة » .

وفي روايةٍ : عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « تَصدَّقوا فإنّ الصّدقةَ فِكاكُكم مِن النّارِ » .

وفي روايةٍ : أن رسول الله ﷺ قال لعائشةَ : « اْحْتَجِبي مِن النّارِ ولو بشِقِّ تمْرةٍ » .

وفي روايةٍ : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « اجْعلوا بينكم وبينَ النّارِ حجَابةً ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

وهذه الأحاديث تدل على أنَّ اليسير من الصدقة يَستُر المتصدقَ من النار ، وهذا أَحدُ فوائدها .

الصَدقة تُكفِّر الذُنوب مهما عَظُمت

ففي الحديث : « والصَّدقَةُ تُطْفِيءُ الخطيئةَ » . وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تعبَّدَ عابدٌ من بني إسرائيلَ فعبَد الله في صَوْمَعَةٍ ستين عاماً ، فأُمطرتِ الأرضُ فاخضرّت ، فأشرف الراهبُ من صَوْمَعتِه ، فقال : لو نَزَلْتُ فذَكرْتُ الله فازْدَدْتُ خيراً ، فنزلَ ومعه رَغِيْفٌ أو رَغيفانِ ، فبينَما هو في الأرض لقيتْهُ امرأةٌ فلمْ يزَلْ يُكلّمُها وتُكَلّمُه حتّى غشِيَها ، ثم أُغمِيَ علَيه فنزَل الغَديرَ يسْتحِمُّ ، فجاء سائِلٌ فأَوْمَأَ إليه أن يأْخُذَ الرَّغِيْفَيْنِ ، ثُمَّ مات فوُزِنتْ عبادةُ ستِّينَ سنةً بتلكَ الزَّنْية فرَجَحتْ الزَّنْيَةُ بحسناته ، ثُمَّ وُضِع الرَّغيفُ أو الرَّغيفَانِ معَ حسَناتِه فرَجَحتْ حسَناتُهُ فغُفِرَ لَهُ »[1] .

وفي روايةٍ عن ابن مسعود موقوفاً عليه ولفظه : « إنّ راهباً عبَدَ الله في صَومَعَتِه سِتِّينَ سنةً ، فجاءت امرأةٌ فنزلتْ إلى جنْبه ، فنزَل إليها فواقَعها ستَّ ليالٍ ، ثم سُقِط في يدِه فهرَبَ ، فأَتى مسْجِداً فأَوىٰ فيه ثلاثاً لا يطْعَمُ شيئاً ، فأُتيَ برغيفٍ فكسَرَهُ فأعْطى رجُلاً عَنْ يمينِه نصْفَه وأعْطى آخَرَ عَنْ يسارِه نِصْفَه ، فبعَثَ اللهُ إليه مَلَكَ المَوْتِ فقَبضَ رُوحَه ، فوُضِعتْ السِّتُّونَ

---

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » .

في كفَّةٍ ووُضِعَتْ السِّتَّةُ في كفَّةٍ فرجَحتْ ـ يعني السِّتَّة ـ ، ثُمّ وُضِعَ الرّغيفُ فرَجَح »[1] . يعني رجَحَ الرغيفُ السِّتَّةَ .

وعن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لكعب بن عُجرة : « يا كعْبُ بن عُجْرَةَ ، الصّلاةُ قُرْبَانٌ ، والصِّيامُ جُنَّةٌ ، والصَّدقةُ تُطْفِيءُ الْخطيئَةَ كما يُطفِيءُ الماءُ النَّارَ ، يا كعْبُ بن عُجْرَةَ ، النَّاسُ غَادِيانِ ، فَبَائِعٌ نَفْسَه فَمُوْثِقٌ رَقَبَتَهُ ، ومبتاعٌ نفْسَه في عِتْقِ رقَبتِه »[2] .

وعن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا كعبُ بْنَ عُجْرةَ ، إنَّه لا يدْخُلُ الجنَّةَ لحْمٌ ودَمٌ نَبَتا عَلى سُحْتٍ ، النَّارُ أوْلىٰ به ، يا كعبُ بن عجرةَ النَّاس غادِيانِ ، فغادٍ في فَكاكِ نفْسِه فَمُعْتِقُهَا ، وغَادٍ فَمُوْثِقُهَا ، يا كَعْبُ بْنَ عجْرَةَ ، الصَّلاةُ قُرْبَانٌ ، والصَّوْمُ جُنَّةٌ ، والصدَقةُ تُطْفِيء الخَطيئَةَ كَما يذْهَبُ الْجَليدُ عَلى الصَّفَا »[3] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر ، فذكر الحديث إلى أن قال فيه : ثم قال ـ يعني النبي ﷺ ـ : « ألا أَدُلُّكَ على أبوابِ الخير؟ قلتُ : بلى يا رسولَ اللهِ . قال : الصوْمُ جُنَّةٌ ، والصدَقَةُ تُطْفِيءُ الخطيئة كما يطفيء الماءُ النّارَ »[4] .

وَالمتصدقُ مَشمولٌ بدعاءٍ زكي طاهرٍ من أرواحٍ زَكيةٍ طَاهرةٍ ، وهم الملائكة التي تَدعُو كُلَّ يوم للمنفق بالخَلف وعلى المُمسك بالتلف ، وتقول : اللهم أعطِ مُنفِقاً خلَفاً ، وأعط مُمْسِكاً تلَفاً .

---

(١) رواها البيهقي .
(٢) رواه أبو يعلى بإسناد صحيح.
(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » .
(٤) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح وهو عند ابن حبان من حديث جابر .

الصَدقةُ خَيرُ أبوابِ البر

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ أبوابِ البِرِّ الصّدقَةُ » .

والمتصدقُ في ظلِّ صدقته يوم القيامة ، يوم لا ظِلَّ من حرِّ الشمس ، كما جاء في الحديث عن عُقبة بن عامر قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « كُل امْرِىءٍ في ظِلِّ صدقَتِهِ ، حتى يُقْضى بين النّاسِ » .

وفي روايةٍ عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال : « ظِلُّ المؤْمِنِ يومَ القيامةِ صدَقتُه ، قال يزيد : فكان أبو الخير مَرْثَدٌ لا يُخْطِئُه يومٌ ، إلاَّ تصدَّقَ فيه بشيءٍ ، ولو بكَعْكَةٍ أو بَصَلةٍ ، أو كذا »[1] .

الصَدقةُ سدٌّ مَنيعٌ بين المتصدِّق والسُوء ، ودافعة لعظيم البلاء والشرّ . فعن رافع بن خديج قال : قال رسول الله ﷺ : « الصدقةُ تَسُدُّ سبعين بَاباً مِنَ السُّوءِ »[2] ، وليس المقصود بالسبعين التحديد ، بل المرادُ التكثير ، والمعنى : أنها تَسدُّ السُوءَ بأنواعه ، ولذلك قد أمرنا النبي ﷺ بالمبادرةِ إلى فعل الصدقة وتقديمها في أول النهار .

فعن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « بَاكِروا بِالصَّدَقَةِ ، فإنَّ البلاءَ لا يَتخطَّاها »[3] ، ومعنى ذلك : أنَّ الصدقةَ تكونُ مثل السَدّ العظيم أمام البلاء ، فلا يَستطيعُ أن يتَعداها .

---

(١) رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان في «صحيحيهما» والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » وفيه حماد بن شعيب . وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد ٣/ ١٠٩ .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه عيسى بن عبد الله بن محمد وهو ضعيف . كذا في المجمع ٣/ ١١٠ .

وفي رواية : « الصدقةُ تمنعُ سبعين نوعاً مِنْ أنواعِ البلاءِ ، أهْونُها الجُذامُ والبَرَصُ »[1] .

وقد جاء في روايةٍ أُخرى : « الصدَقاتُ بالغَدَواتِ يَذْهَبْنَ بالعاهاتِ » و« الغدوات » : جمع غُدوة الضحوة ، والمراد : الصَّدقةُ أول النهار . « والعاهات » : جمع عَاهة ، وهي الآفة .

والظاهر : أنَّ المرادَ ما يشمل الآفات الدينية والدنيوية ، وهو يَدلُّ على أنَّ من فَوائد الصدقة : السلامة من فتنة المال : ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن : ١٥] لأَنَّ من آمن وتصدّق ، فقد أسلم لله روحه وماله الذي هو عَديل روحه ، فصار عبد الله حقاً .

والصدَقةُ تَمْنَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ ، كما جاء ذلك عن أبي هريرة مرفوعاً « رواه القضاعي » ، والمراد بميتةِ السُّوءِ : الحالةُ التي يكون عليها الإِنسان عند الموت .

قال التُّوربشتي : وأراد بها ما لا تُحْمَدُ عاقبته ، ولا تؤمَنُ غائلته من الحالات ، كالفقر المُدْقِع ، والوصب الموجع ، والألم المقلق ، والعلل المُفضيةِ إلى كُفران النِّعمة ونسيان الذِّكر ، والأهوال الشاغلة عما له وعليه ونحوها .

وقال الطيبي : الأَولى أن يُحمل مَوتُ السُّوءِ على سُوءِ الخاتمة ، ووَخَامةِ العاقبة من العذاب في الآخرة .

قال أبو زُرْعة : ليس مَعْناهُ أنَّ العبد يُقدَّرُ له ميتة السوء فتدفعها الصدقة ، بل الأسبابُ مقدَّرةٌ كما أنَّ المُسببات مقدّرةٌ ، فمن قُدِّرت له

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد ٣/١٠٩ .

ميتةُ السُّوء ، لا تُقدَّر له الصَّدقة ، ومن لم تُقدَّر له مِيتةُ السوء تُقدر له الصدقة .

قال العامري : ميتةُ السوء قد تكون في الصُعوبة بسببِ الموت ، كَهدمٍ ، وذَاتِ جَنبٍ ، وحَرقٍ ونحوها ، وقد تكون سُوءَ حالةٍ في الدِّين كموته على بدعةٍ أو شَكٍّ أو إصرارٍ على كبيرة ، فَحثّ على الصدقة لدفعها لذلك . وعن رافع بن مَكِيث وكان ممَّن شَهد الحديبية : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « حُسْنُ المَلكَةِ نماءٌ ، وسوءُ الخُلُقِ شؤْمٌ ، والبِرُّ زيادةٌ في العمرِ ، والصدقةُ تُطْفىءُ الخطيئة وتَقي مِيْتَةَ السّوءِ » .

فالصدقةُ خيرُ دافعٍ للبلاء ، وأعظمُ مَانعٍ للسُوءِ ، وهذا كُلّه بإذن الله سبحانه وتعالى ، فهو المانعُ والنافعُ في الحقيقة ، وإنّما الصدقة وغيرها أَسبابٌ لذلك ، فإذا كان البَلاءُ والشَرّ والسُّوء بقضاء الله وقدره ، فإن الصدقة تدفعُ ذلك بقضَاءِ الله وقدره أيضاً . هكذا أخبرنا النبي ﷺ وهو لا ينطقُ عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يُوحىٰ ، والذي قضى وقدّر البلاء ، هو الذي أخبرنا بأنه قضى وقدّر أن الصدقة تَدفعُ ذلك .

وَكثرةُ الصدقة تَجلبُ سعَةَ الرِّزق ، وتَقضي الحاجات ، وتكون سببَ الفوز والنجاح والشفاءِ ونيل المأمول .

رُويَ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خطَبَنا رسول الله ﷺ فقال : « يا أيُها النّاسُ ، تُوبوا إلى اللهِ قبْلَ أن تموتوا ، وبادِرُوا بالأعمالِ الصّالحةِ قبل أن تُشْغَلوا ، وصِلوا الذي بينكم وبين رَبِّكُم بكثرةِ ذكْرِكم له ، وكثرةِ الصَّدقةِ في السرِّ والعلانيةِ تُرْزَقُوا وتُنْصَرُوا وتُجْبَروا »[١] .

والمتصَدِّقُ يُرْغِمُ بصدقته أنفَ الشيطان ، بل يُغِيظُ بها سبعين شيطاناً

---

(١) رواه ابن ماجه، ومعنى تجبروا : تجب دعوتكم وتغتنوا .

كلهم يحرصون على عدم أدائها ، وَيُزينونَ له ترك التصدق . فعن بُريدةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يُخرِجُ رجلٌ شيئاً من الصدقةِ ، حتى يَفُكَّ عنها لَحْيَيْ سبعينَ شيطاناً »[١] .

وفي روايةٍ عن أبي ذرٍّ موقوفاً عليه قال : « ما خرَجَت صدَقةٌ ، حتّى يُفَكَّ عنها لَحْيَا سبعِيْنَ شيطاناً ، كلُّهم ينهى عنها »[٢] .

وجاء أنَّ الصَدقة تُكَفّر فتنة الرجلِ في أهله وولده ، ومناولةُ المسكين تقي ميتة السّوء ، ولذلك كان حَارثةُ قد ذهب بصره ، فاتّخذ خيطاً في مُصلاهُ إلى باب حجرته ، ووضع عنده إناءً فيه تمر ، فكان إذا جَاءهُ المسكين فَسلّم ، أخذ من ذلك التمر ثم أخذ بطرفِ الخيط حتى يُناوله ، وكان أهله يَقُولون : نحنُ نكفيك ، فيقول لهم : مُناولةُ المسكين تَقي مِيتةَ السُّوء .

والصدقةُ يُكتب ثَوابها قبل أن تقع في يد المسكين ، ولا تَزالُ تَتضاعَفُ وتزيد إلى ما شاء الله ، وهذا معنى قوله : « إنَّ الرَّجُلَ إذا تَصدَّقَ ، فإنَّها تَقَعُ في يدِ الرَّحْمٰنِ وَيُربِّيها له حتَّى تَصِيْرَ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ » .

الصدَقةُ تطفيءُ عن صاحبها حَرّ القبر

وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الصّدقةَ لتُطْفِيءُ عَنْ أهلِها حَرَّ القبورِ ، وإنما يسْتظِلُّ المؤمِنُ يومَ القيامةِ في ظِلِّ صدقتِه »[٣] .

ومعنى ذلك : أنَّ الله سبحانه وتعالى يَدفعُ بالصدقة حرَّ القبور ،

---

(١) رواه أحمد والبزار وابن خزيمة في « صحيحه » .
(٢) رواه البيهقي .
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» والبيهقي، وفيه ابن لهيعة.

وذلك قَبل يوم القيامة ، وهذا دَليلٌ على أنَّ منفعةَ الصدقةِ تشمل العوالم الثلاثة : عالم الدنيا ، وعالم الآخرة ، وعالم البرزخ .

والمتصدّقُ مَوعودٌ بالخير خيراً زائداً ، وبالفضل فَضلاً عائداً ، كما جاء في الحديث القدسي يقول الحق سبحانه : « يا عبدي أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليكَ » متفق عليه » أي إن تُنفق يُنفق ، أي : يُوسِّع عليك وَيُخلف عِوَضَ ما تُنفقه . فعبَّر عنه بالإنفاق على سَبيل المُشَاكلة .

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : « يا ابْنَ آدمَ ، إنَّكَ أَنْ تَبذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لكَ ، وأن تمسِكَه شرٌّ لك ، ولا تُلامُ على كفافٍ ، وابْدأْ بِمَنْ تعولُ ، واليدُ العُلْيا خيرٌ مِنَ الْيدِ السُّفْلىٰ »[1] .

والمتصدّقُ تَتَابَعُ عليه النِّعَمُ الإلهية ، فعَيشهُ رَغِيدٌ ، وعُمرهُ سَعيد ، وحَالهُ حَميد . كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال : « مثَلُ البخيلِ والمنْفِقِ كمثل رجلينِ عليهِما جُنَّتَانِ مِنْ حديدٍ من ثُدِيِّهما إلى تَراقِيهما . فأمّا المنْفِقُ ، فلا يُنْفِقُ إلاَّ سبَغتْ أو وَفرتْ على جِلْدِه حتّى تُخْفيَ بنَانه وتعفُوَ أثَره ، وأما البخيلُ ، فلا يُريدُ أن ينفِقَ شيئاً إلاّ لزِمتْ كلُّ حلقةٍ مكانَها ، فهُو يوسِّعُها فلا تتَّسِعُ »[2] .

« الجُنَّة » ـ بضم الجيم ـ : ما أَجنَّ المرء وستره ، والمراد به هنا : الدِرْعُ . ومعنى الحديث : أنَّ المُنفق كُلما أَنفق طَالت عليه ، وسبغت حتى تَستر بَنان رجليه ويديه ، والبخيلُ كُلما أَراد أن ينفق ، لزمت كُلّ حَلقةٍ مكانها ، فهو يُوسِّعها ولا تتسع ، شبّه ﷺ نِعَمَ الله تعالى ورزقه بالجُنَّة ، وفي رواية : بالجُبَّةِ ، فالمنفِقُ كلّما أنفقَ اتَّسعتْ عليه النِّعَمُ وسَبَغتْ ، ووَفَرَتْ حتى تستُرَهُ سَتْراً كاملاً شاملاً ، والبخيل كُلما أراد أن

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

ينفق ، منعه الشُح والحِرْصُ وخَوفُ النقص ، فهو بمنعه يطلب أن يزيد ما عنده ، وأن تتسع عليه النعم ولا تستر منه ما يَرُوم سِترهُ .

والمتصدّقُ محسودٌ يتمنى كلّ عاقل أن يبلغ رتبته ، وأن يحوز درجته ، وفي هذا يتنافس المتنافسون ويسارع المجدّون ، وهذا أمر محمودٌ لأنه في الخير . قال ﷺ : « لا حسَدَ إلاّ في اثْنتَينِ : رجلٌ آتاه اللهُ مالاً فسلَّطَه على هلَكَتِهِ في الحقِّ ، ورجلٌ آتاه اللهُ حِكمةً ، فهو يقْضي بها ويعلِّمُها »[1] .

ومعناه : ينبغي أن لا يُغبَطَ أحدٌ إلاً على إحدىٰ هاتين الخصلتين ، ومعنى قوله : « سلطه على هلكته » : أي على إنفاقه .

وفي روايةٍ[2] « لا حسدَ إلاً في اثْنَيْن » .

وفي روايةٍ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « رجلٌ آتاه الله القرآنَ فهو يقومُ به آناءَ اللّيلِ وآناءَ النّهارِ ، ورجلٌ آتاه اللهُ المال فهو يُنْفِقُهُ آناءَ اللّيلِ وآناءَ النّهارِ » .

وفي روايةٍ[3] : « لا حَسدَ إلاً في اثنتَينِ : رجلٌ علَّمه الله القرآنَ فهو يتْلوه آناءَ اللّيلِ وآناءَ النّهارِ ، فسمِعه جارٌ له فقال : لَيْتَني أُوْتِيتُ مثلَ ما أُوتِيَ فلانٌ فعملْتُ مثلَ ما يَعملُ . ورجلٌ آتاه اللهُ مالاً فهو يُهْلِكه في الحقِّ ، فقال رجلٌ : ليتَني أوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ فلانٌ فعَمِلْتُ مثلَ ما يعْملُ » .

ومن **فضائل الصدقة** : أنها إذا كَانت على ذَوي الرَّحم ، فإنَّ أجرها

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواها أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن عمر .
(٣) رواها أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة .

مُضَاعفٌ ، وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الصَّدَقَةُ على المسكينِ صدقةٌ ، وعلى ذَوي الرَّحمِ ثنْتانِ : صدقةٌ وصِلَةٌ»[1] .

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الصَدقَةَ عَلَىٰ ذي قَرابَةٍ ، يُضَعَّفُ أَجْرُهَا مَرَّتَيْنِ »[2] .

* * *

(١) رواه النسائي والترمذي وحسَّنه ، وابنُ خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ولفظ ابنِ خزيمة قال : « الصدقةُ على المسكين صدَقةٌ ، وعلى القريبِ صدقَتانِ ، صدقةٌ ، وصِلَةٌ » .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » من طريق عبيد الله بن زحر .

إطعامُ الطَعامِ خَيرُ خِصَالِ الإِسلام

ومن الصدقة : إطعام الطعام ، وهو خَيرُ خصال الإسلام لما جاء في الحديث أنَّ رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ أيُّ الإِسلام خيرٌ؟ قال : « تُطْعِم الطعامَ ، وتَقْرَأُ السَّلامَ على من عرفتَ ومَنْ لم تعرِف »(١) .

وهو من أرجى الأعمال المُدخِلة إلى الجنة ، يقول أبو هريرة رضي الله عنه : قُلت يا رسول اللهِ ، إنِّي إذا رأيتُك طابتْ نفسي ، وقرَّتْ عيني ، أنبِئْني عن كُلِّ شيءٍ ، قال : « كُلُّ شيءٍ خُلِق من الماءِ ، فقلتُ : أخبِرْني بشيءٍ إذا عمِلْتُهُ دَخلتُ الجنةَ ، قال : أطعِمِ الطَّعامَ ، وأفشِ السّلامَ ، وصِلِ الأرحامَ ، وصلِّ بالليلِ والنَّاسُ نِيامٌ ، تدخُلِ الجنّةَ بسلامٍ »(٢) .

قال رسول الله ﷺ : « اعبُدوا الرحمٰن ، وأطعِموا الطعامَ ، وأفشوا السّلامَ ، تدخُلوا الجنَّةَ بسلامٍ »(٣) .

وقال ﷺ : « إنَّ في الجنة غُرَفاً يُرىٰ ظَاهرُها من باطِنِها ، وبَاطِنُها من ظاهِرِها . فقال أبو مَالكٍ الأشعريُّ : لِمَنْ هي يا رسولَ اللهِ؟ قال : لِمَنْ

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

(٢) رواه أحمد وابن حبان في « صحيحه » واللفظ له . والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٣) رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح .

أطابَ الكلامَ ، وأَطْعَمَ الطعامَ ، وباتَ قائِماً والناسُ نِيَامٌ »[1] .

وإطعام الطعام ؛ من الكَفَّاراتِ[2] ، ومن موجِباتِ الرحمة[3] ، ومن موجباتِ المغفرة[4] .

وإنَّ الله تعالى لَيُدْخِلُ بلُقْمةِ الخبز ، وقَبْصَةِ التَّمْرِ ومثلِه مما ينفَعُ المسكينَ ثلاثةً الجنةَ : الآمِرَ به ، والزَّوجةَ المُصْلِحَةَ له ، والخادمَ الذي يُناوِلُ المسكينَ[5] .

وأيُّما مؤمِنٍ أطْعَمَ مؤمناً على جوعٍ ، أطْعَمَهُ اللهُ يومَ القيامةِ مِنْ ثمارِ الجنّةِ ، وأيُّما مؤمنٍ سَقىٰ مؤمِناً على ظمإٍ ، سقاه الله يومَ القيامةِ مِنَ الرَّحيقِ المخْتُومِ ، وأيُّما مؤمنٍ كسَا مؤمناً على عُرْيٍ ، كَساهُ الله يومَ القيامةِ مِنْ حُلَلِ الجنةِ[6] .

وإنَّ الله تعالى يُباهي ملائكَتَهُ بالذين يُطْعِمون الطعامَ مِن عبيدِه[7] .

والمطعمون لهم باب في الجنة لا يدخل منه سواهم ، فقد رُويَ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من أطْعَم مؤمناً حتى يُشْبِعَه من سَغَبٍ ، أدْخَلَه الله باباً من أبوابِ الجنةِ ، لا يدخلُه إلاَّ مَنْ كانَ مِثْلَه »[8] .

وَالمُطْعِمونَ تَحت ظِلِّ العَرش يوم القيامة ، فقد رُويَ عن جابر بن

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد حسن والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما .

(٢) حديث مرفوع رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٣) حديث مرفوع رواه الحاكم وصححه .

(٤) حديث مرفوع رواه البيهقي متصلاً ومرسلاً .

(٥) حديث مرفوع رواه الطبراني في « الأوسط » والحاكم .

(٦) حديث مرفوع رواه الترمذي وقال : حديث غريب .

(٧) حديث مرفوع رواه أبو الشيخ في الثواب مرسلاً .

(٨) رواه الطبراني في « الكبير » .

عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه أظلَّهُ اللهُ عزَّ وجل تحتَ عرشِه يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظلُّه : الوُضوءُ في الْمَكارِه ، والمشْيُ إلىٰ المساجدِ في الظُّلَم ، وإطعامُ الجائعِ »[1] .

وقد أخبرنا ﷺ عن قصة عَابدٍ من بني إسرائيل اعتزل لعبادة الله ستين سنة ، ثم خرج يوماً من صومعته فلقيتْه امرأةٌ فراودَتْه حتى قضىٰ حاجتَه منها ، ثم نَدِم على ما فعلَ حتى أُغْمِيَ عليه ، وكان معه رغيفان ، فجاء سَائلٌ جَائعٌ فأعطاهُ العابدُ الرغيفَينِ ، ثم مات فَوزِنتْ عبادةُ ستين سنةً بتلك الفَاحشةِ ، فرَجحتْ الفاحشةُ بحسناتِه ، ثم وُضِع الرغيفُ أو الرغيفانِ مع حسناتِه ، فرَجَحَتْ حسناتُه ، فغُفِرَ له[2] .

وَتنالُ المرأة أجر الصَدقةِ إذا أنفقت من بيت زوجها من غير إسراف ، مما لا يخفى على زوجها عادة .

فقد قال ﷺ : « إذا أَنفَقَتِ المرأةُ من طعامِ بيتِها غيرَ مُفْسِدةٍ ، كان لها أجرُها بما أَنفَقَتْ ، ولزوجها أجْرُه بما اكْتَسَب ، وللخادمِ مثلُ ذلك ، لا يَنْقُصُ بعضُهم من أجرِ بعضٍ شيئاً »[3] .

وفي روايةٍ : « إذا تصدَّقتِ المرأةُ من بيتِ زوجِها ، كان لها أجرُها ولزوجِها مثلُ ذلك ، لا ينقُص كلُّ واحد منهما من أجرِ صاحبِهِ شيئاً . له بما كسَب ولها بما أنفقتْ »[4] .

ومن فَضائل الإكرام والتَصدُّقِ بالطعام والشراب : أنَّ الله تعالى يُكرم

---

(١) رواه أبو الشيخ في الثواب وأبو القاسم الأصبهاني .
(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » .
(٣) رواه البخاري ومسلم واللفظ له . وأبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي وابن حبان في « صحيحه » .
(٤) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

المطعم لأجل من أطعمه ، وَيُشفِّعه فيه بعد أن يصير مُستحقاً للنار .

ويحدثنا ﷺ عن هذه المنقبة في هذه القصة التي تمثِّل رجلاً عابداً وآخر مُسرِفاً على نفسه سَلَكا صحراء ، فعطش العَابدُ حتى سقط ، فجعل صَاحبهُ ينظر إليه ، وهو صَريعٌ فقال : والله إن مات هذا العبد الصالح عطَشاً ومعي ماءٌ ، لا أُصيبُ من الله خيراً أبداً ، ولئن سقيْتُه مائي لأموتنَّ ، فتوكَّلَ على الله وعزم ، فَرشَّ عليه من مائِه وسقاهُ فضلَه ، فقام فقَطع المَفَازَةَ ، فيوقف الذي به رهَقٌ للحساب فيؤمر به إلى النار ، فَتسوقه الملائكة فيرى العابدَ ، فيقول يا فلان : أما تعرفُني؟ فيقول : ومَنْ أنتَ؟ فيقول : أنا فلانٌ الذي آثرْتُك على نفسي يومَ المفازَة ، فيقول : بلىٰ أعرِفُك ، فيقول للملائكة : قِفوا ، فيقفون فيجيءُ حتى يَقِفَ فيدْعو ربَّه عز وجل ، فيقول يا ربّ : قدْ عَرفتَ يدَه عندي ، وكيف آثرني على نفسِه ، يا ربِّ هَبْهُ لي . فيقول : هو لكَ ، فيجيءُ فيأْخُذُ بيدِ أخيه فيُدْخِلُه الجنةَ[1] .

قوله : « المفازة » : أي الصحراء .

وفي روايةٍ عن ثابت البناني ، عن أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ : « أن رجلاً من أهل الجنةِ يُشرِفُ يومَ القيامةِ على أهلِ النار ، فيُناديه رجلٌ من أهلِ النارِ فيقول : يا فلان : هل تعرِفُني؟ فيقول : لا ، والله ما أعْرِفُك ، مَنْ أنتَ؟ فيقول : أنا الذي مرَرْتَ بي في الدنيا فاسْتَسْقَيْتَنِي شَرْبَةً مِنْ ماءٍ فسقَيْتُك؟ قال : قد عرَفْتُ ، قال : فاشْفَعْ لي بها عند ربك . قال : فيسْأَلُ الله تعالى جلَّ ذكْرُه ، فيقول : إنّي أشرَفْتُ على النارِ ، فناداني رجلٌ من أهلِها ، فقال لي : هل تعرِفُني؟ قلتُ : لا ، والله

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .

ما أعرفُكَ مَنْ أنت؟ قال : أنا الَّذي مررتَ بي في الدنيا فاسْتَسْقيتَني شَرْبةً من ماءٍ فسقَيْتُكَ ، فاشفَعْ لي عند ربِّك ، فشَفِّعْني فيه ، فَيُشَفِّعه اللهُ فيأْمُرُ به فيُخْرَجُ من النار[1] .

قوله : « يشرف يوم القيامة على أهل النار » : أي يطلع .

ومن فضائل إطعام الطعام وسقي الظمآن : أنه يُغني عن كثيرٍ من الأعمال التي قد يعجز عنها الإنسان لثقلها .

فقد جاء أنَّ رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال : أخبرني بعملٍ يقرِّبُني من الجنةِ ، ويباعِدُني من النارِ . فقال ﷺ : « أَوَهُما أَعْملتَاك؟ قال : نعَمْ ، قال : تقولُ العدْلَ وتُعْطي الفضْلَ قال : والله لا أستطيعُ أنْ أقولَ العدلَ كلَّ ساعةٍ ، وما أستطيعُ أن أُعْطِيَ الفضلَ . قال : فتطْعِمُ الطعامَ ، وتُفْشي السلامَ ؟ قال : هذه أيضاً شديدة ، قال : فهل لك إبلٌ؟ قال : نعم ، قال : فانظُرْ إلى بعيرٍ مِن إبلك وسِقاءٍ ، ثم اعْمِدْ إلى أهلِ بيتٍ لا يشْرَبون الماءَ إلا غِبّاً فاسْقِهِمْ فلعلَّك لا يهلِكُ بعيرُك ولا ينْخرِقُ سِقاؤُك حتى تجبَ لك الجنّةُ ، قال : فانطلقَ الأعرابيُّ يكبِّرُ فما انْخرَقَ سقاؤُه ، ولا هلَكَ بعيرُه حتى قُتِلَ شهيداً »[2] .

وفي روايةٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتى النبي ﷺ رجلٌ فقال : ما عَمَلٌ إن عمِلْتُ به دخلتُ الجنةَ . قال : « أنت ببلدٍ يُجْلَبُ به الماءُ؟ قال : نعم ، قال : فاشْتَرِ بها سقاءً جديداً ، ثم اسْقِ فيها حتى تُخرِّقَها ، فإنك لن تخرِقَها حتى تبلُغَ بها عملَ الجنةِ »[3] .

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه الطبراني والبيهقي وابن خزيمة في « صحيحه » مختصراً .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » .

بل إنَّ الإنسان لينالُ الثواب العظيم والأجر الكريم ، إذا سقى بعير غيره .

فقد جاء في الحديث : أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : إني أنزِعُ في حوضي حتى إذا ملأتُه لإبلي ، ورَدَ عليَّ البعيرُ لغيري فسَقَيْتُهُ ، فهل في ذلك من أجرٍ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنّ في كلِّ ذاتِ كبدٍ أَجْراً »[1] .

وفي روايةٍ : أنَّ سُراقة بن جعشم قال : يا رسول الله الضالة تردُ عَلى حوضي فهل لي فيها من أجر إن سقيتُها؟ قال : اسْقِهَا فإنَّ في كُلِّ ذاتِ كبدٍ حَرَّاء أجراً »[2] .

قوله : « أنزع » : أي أقاسي شَدائد ملئه وأتعب .

وقد شَكر الله تعالى للرجل لمَّا سقى الكلب ، وغفر له ، قال رسول الله ﷺ : « بينما رَجلٌ يمْشي بطريق اشتدَّ عليه الحَرُّ فوَجدَ بئراً ، فنزلَ فيها فشرِب ، ثم خَرج فإذا كلبٌ يَلْهَثُ يأكلُ الثَّرى من العطَشِ ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلبَ من العطشِ مثلُ الذي كانَ منِّي ، فنزل البئرَ فملأ خُفَّهُ ماءً ، ثم أمسَكَه بفِيه حتى رَقِيَ فسقىٰ الكلبَ ، فشكرَ اللهُ له ، فغفرَ له . قالوا : يا رسول الله ، إنَّ لنا في البهائم أجراً؟ فقال : في كُلِّ كبدٍ رطْبةٍ أجْرٌ[3] » « وسَقي الماءِ هو أعظمُ الصدقاتِ أجراً »[4] .

وهو بَاقٍ جارٍ يَنفعُ الميت في قبره . قال ﷺ : « سبْعٌ تجري للعبدِ بعدَ موتِه وهو في قبرِه : من عَلَّم علْماً ، أو كَرىٰ نَهْراً ، أو حفَر بئراً ، أو

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » وابن ماجه والبيهقي .
(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود وابن حبان في « صحيحه » .
(٤) حديث مرفوع رواه البيهقي .

غرسَ نَخْلاً ، أو بَنى مسجداً ، أو ورَّث مُصحفاً ، أو تركَ ولداً يستغْفِرُ له بعدَ موتِه »[1] .

وقد قال ﷺ لسعد رضي الله عنه لمَّا سأله عما يتصدق به عن أمِّه ، فقال : « عليكَ بالماءِ »[2] .

وَيُؤكد ﷺ فضل سقي الماء بحفر الآبار ، وتيسير إيصاله إلى من لا يستطيع ، والإعانة عليه بقوله : « من حفَر ماءً لم تَشرَبْ منه كبِدٌ حَرَّى من جنٍّ ولا إنسٍ ولا طائرٍ ، إلاَّ آجرَه اللهُ يومَ القيامةِ »[3] .

وَنفعُ الناس بالماء من أعظم سُبلِ التَداوي ، ومن أجلّ طُرُقِ دفع البلاء ، وإزالة الأسقام .

فعن علي بن الحسن بن شَقيق قال : سمعتُ ابن المبارك ، وسأله رجل : يا أبا عبد الرحمن ، قُرحة خرجت في ركبتي منذ سبع سنين ، وقد عَالجتُ بأنواع العلاج ، وسألْتُ الأطِبّاءَ فلم أنتفعْ به؟ قال : اذهَبْ فانظُرْ موضعاً يحْتاجُ الناسُ الماءَ ، فاحفِرْ هناكَ بئراً ، فإني أرجو أن تنبُعَ هناك عينٌ ، ويُمْسَكَ عنك الدَّمُ . ففعل الرجلُ فَبَرَأَ[4] .

* * *

---

(١) رواه البزار وأبو نعيم في « الحلية » .

(٢) حديث مرفوع رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٣) رواه البخاري في « تاريخه » وابن خزيمة في « صحيحه » .

(٤) رواه البيهقي .

فَضلُ القَرضِ وَإنظارِ المُعْسر

ومن الشرف الذي أعدّهُ الله لهذه الأُمّة : ما جَعلهُ الله سبحانه وتعالى من الفَضل والثواب على القَرض .

فمن ذلك : أنَّ القَرض كعتق رقبة ، قال ﷺ : « مَنْ مَنحَ مَنِيحةَ لبنٍ ، أو وَرِقٍ ، أو هَدىٰ زُقاقاً ، كانَ لَه مِثْلُ عِتْقِ رقبةٍ »[١] .

ومعنى قوله : « منح مَنِيحةَ وَرِقٍ » . إنما يعني به قَرضَ الدرهم ، وقوله : « أو هَدى زقاقاً » : إنما يعني به هداية الطريق ، وهو إرشادُ السبيل « ومنيحة اللبن » : أن يُعطيهِ نَاقةً أو شَاةً ينتفعُ بلبنها وَيُعيدها ، وكذلك إذا أَعطاهُ لينتفعِ بوَبرِهَا وَصُوفها زماناً ، ثم يَرُدها .

والقَرضُ : صَدقةٌ[٢] ، وقد أخبرنا ﷺ أنه رأىٰ ليلة الإسراء والمعراج مكتوباً على باب الجنة : « الصَّدَقَةُ بعشْرِ أمْثالِها ، والقَرْضُ بثمانيةَ عشرَ »[٣] .

وذلك لأنَّ الصدقة قد يأخذها الفقير وهو غَير مُحتاج لها ، أمّا القَرض فإنه لا يكون إلاَّ مع الضَرورة والحاجة . ولذلك كان أجرُ المقرض عظيماً

(١) رواه أحمد والترمذي ، واللفظ له ، وابن حبان في « صحيحه » ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح .

(٢) هو حديث مرفوع رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٣) رواه الطبراني والبيهقي .

لإزالة هذا العسر الطارىء . ولهذا كان يُؤكّد ﷺ فضل القرض بقوله : « ما مِنْ مسلمٍ يُقْرِضُ مُسْلماً قَرْضاً مرَّةً ، إلاَّ كان كَصَدَقَتِها مرَّتَينِ »(١) .

والقرضُ تيسيرٌ على المُعسر وَتفريجٌ لكربته وقضاءٌ لحاجته ، ونبينا ﷺ يقول : « مَنْ يسَّرَ على مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللهُ عليهِ في الدُّنيا والآخِرَةِ »(٢) .

ويقول : « مَنْ نفَّس عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً مِنْ كُرب الدّنْيا ، نَفَّس اللهُ عَنه كُرْبةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ ، ومن يسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ في الدنيا ، يسَّر اللهُ عليه في الدنيا والآخرة »(٣) .

وفي روايةٍ : « مَنْ فَرَّج عن مسْلِمٍ كُرْبَةً ، جعل الله تعالى لَهُ يوْمَ القِيامةِ شُعْبَتَينِ مِنْ نورٍ على الصِّراطِ يَسْتَضِيْءُ بِضَوْئَيْهِمَا عالَمٌ لا يُحْصِيهِمْ إلاَّ ربُّ العِزَّةِ »(٤) .

ومعنى : « شعبتين » : أي قطعتين من ضَوءٍ وَهاج .

وقد جاء في فَضل إنظَارِ المُعسر أحاديثُ كثيرةٌ عن رسول الله ﷺ .

فمنها : أنه تحتَ ظلِّ العَرش يوم القيامة ، قال ﷺ : « مَنْ أنْظَر مُعْسِراً ، أو وَضَع له ، أَظَلَّهُ اللهُ يومَ القيامةِ تحتَ ظِلِّ عرشِه يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظلُّه »(٥) . وفي رواية : « من أنظر معسراً أو وضع له ، أظلَّه الله في ظلِّه »(٦) .

---

(١) رواه ابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » والبيهقي مرفوعاً وموقوفاً .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » وهو غريب .

(٥) رواه الترمذي .

(٦) رواه ابن ماجه والحاكم واللفظ له وقال : صحيح على شرط مسلم .

ومعنى : « وَضَع له » : أي أبرأ ذِمتهُ وَسامحهُ .

وفي روايةٍ عن أبي اليسر رضي الله عنه قال : أَشْهَدُ على رسول الله ﷺ لسمعته يقول : « إنَّ أوَّلَ النّاسِ يَسْتَظِلُّ في ظِلِّ اللهِ يومَ القيامةِ ، لَرجُلٌ أَنْظَرَ مُعْسِراً حتَّى يَجِدَ شيْئاً أو تَصَدّقَ عليه بما يَطْلُبه يقولُ : مالِيْ عليكَ صدَقةٌ ابْتِغَاءَ وجْهِ اللهِ ، ويُخرِّقُ صَحِيفتَه »[١] .

قوله : « ويخرق صحيفته » : أي يقطع العُهدةَ التي عليه .

ومنها : أنه تُستجاب دعوته وتُكشف كُربته ، ولا يُكتب عليه ذنبٌ حتى يتوبَ ، ويقيه الله تعالى من فيح جهنم ، وكان له كل يوم مِثْلا دينه صدقة ، وهذا كله جاء عن رسول الله ﷺ : فقد قال : « مَنْ أرادَ أنْ تُسْتَجابَ دَعْوَتُه وتُكْشفَ كُرْبتُه ، فَلْيُفَرِّجْ عن معْسِرٍ »[٢] .

وقال : « مَنْ أنْظرَ مُعْسِراً إلى مَيْسَرتِه ، أنْظَره اللهُ بذنْبِه إلى توْبتِه »[٣] .

وقال : « من أنظر معسراً أو وضع له ، وَقاهُ اللهُ مِنْ فَيحِ جهنَّمَ »[٤] .

وفي روايةٍ : دخل رسول الله ﷺ المسجد وهو يقول : « أيّكُم يسرُّهُ أن يقِيَه الله عزّ وجلّ مِنْ فيحِ جهنّمَ؟ قلنا : يا رسول الله ، كلنا يسرّه . قال : من أنظَرَ معسراً أو وضَعَ له ، وَقاهُ اللهُ عز وجل مِنْ فيحِ جهنَّمَ »[٥] .

وقال : « مَنْ أنظر مُعْسِراً ، فلَهُ كلَّ يومٍ صدقةٌ قبلَ أن يَحِلَّ الدَّينُ ،

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » بإسناد حسن .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب « اصطناع المعروف » .
(٣) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » .
(٤) رواه أحمد بإسناد جيد .
(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « اصطناع المعروف » .

فإذا حلّ الدَّينُ فأنظَره بعدَ ذٰلكَ ، فلَهُ كلَّ يوم مِثْلَيْهِ صدَقةٌ »[1] .

وقد أخبرنا ﷺ عن رجلٍ ممن كان قَبلنا من المُسرفين على أنفسهم تجاوز الله عنه وسامحه ، لأنه كان يُسامح الناس ، وَيتجاوَز عن دَينهم ، وَيصبر عليهم ، فأكرمه الله سبحانه وتعالى ، وأدخله الجنة .

يقول ﷺ : « إنَّ رجُلاً لم يَعملْ خيراً قط ، وكان يُداينُ النّاسَ ، فيقولُ لرسولِه : خُذْ ما تَيَسَّرَ ، واتْرُكْ ما عسُرَ وتَجاوَزْ ، لعلَّ اللهَ يَتجاوزُ عَنّا ، فلمَّا هلك ، قال الله له : هل عمِلْتَ خيراً قطُّ؟ قال : لا ، إلاّ أنّه كان لي غلامٌ ، وكنتُ أُداينُ النَّاسَ ، فإذا بعثْتُه يَتقاضى قلتُ له : خُذْ ما تَيسَّر واتْرُكْ ما عَسُرَ وتجاوَزْ ، لعلّ الله يتجاوَزُ عنّا . قال الله تعالى : قَدْ تجاوزْتُ عنكَ »[2] .

وفي رواية : أن الله سبحانه وتعالى يقول : « نحنُ أحقُّ بذٰلكَ ، تجاوَزُوا عنه »[3] .

* * *

---

(1) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(2) رواه البخاري ومسلم .

(3) رواه مسلم .

فَضلُ العِفة وَشرفُ الاستغنَاءِ عَن النَّاس

ومن فضائل هذه الأُمَة : ما جَعلهُ الله تعالى من الفَضل لِمن صَبر على حَاله ، وَكفّ نفسه عن الحرام ، وقنع باليسير من العطاء ، وتعفّف عن سُؤال الناس ، وأقبل على العمل مع الاعتماد على الله سبحانه وتعالى .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نزلتْ به فاقةٌ فَأَنْزَلَها بالنّاسِ ، لم تُسَدَّ فاقتُه ، ومَنْ نَزلتْ به فاقة فأنزلَها باللهِ ، فيوشِكُ اللهُ له برزقٍ عاجِلٍ أو آجِلٍ »[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ جاعَ أو احْتاجَ فكَتَمه النّاسَ وأَفضىٰ به إلى اللهِ تعالى ، كان حقاً علىٰ اللهِ أنْ يَفْتحَ له قُوتَ سنةٍ مِنْ حلالٍ »[2] .

وقد أخبر ﷺ أنَّ ما يأتي إلى الإنسان من غير شَرَهٍ وحرص ، فهو مُبارك .

فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « إنَّ هٰذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ فمَنْ أَعْطَيناه منها شيئاً بطِيبِ نفْسٍ مِنّا ، وحُسْنِ طُعْمةٍ منه من غيرِ

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد إلا أنه قال فيه : «أرسل الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى آجل» .
ومعنى يوشك : يسرع .

(٢) رواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط » .

شرَهِ نفْسٍ ، بُورِكَ له فيهِ ، ومن أَعْطَينَاه منها شيئاً بغيرِ طيب نفْسٍ مِنّا وحُسْنِ طُعْمةٍ منه وشَرَهِ نفْسٍ ، كان غيرَ مُبارَكٍ له فيه »[1] .

وفي رواية لمسلم قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّما أنا خازنٌ ، فمن أعطَيْتُه عَنْ طِيبِ نفسٍ ، فمُبارَكٌ له فيه ، ومن أعْطَيْتُه عن مسألةٍ وشَرَهِ نفسٍ ، كان كالذِي يأكُلُ ولا يشْبَعُ » .

وأخبرنا ﷺ أنَّ المُتعففَ مَحبوبٌ عند الله سبحانه وتعالى .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمِنُ عبدٌ حتى يأمَنَ جارُه بَوائِقَه . ومن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ ، فَلْيُكرِمْ ضيفَه . ومن كان يؤمن باللهِ واليوم الآخر ، فلْيقُلْ خيراً أو لِيسْكُتْ . إن اللهَ يُحِبُّ الغنِيَّ الحليمَ المتعفِّفَ ، ويُبْغضُ البذِيَّ الفاجرَ السائلَ المُلِحَّ »[2] .

قوله : « بوائقه » ، مهلكاته وضرره ، وقوله : « البذي » ، قبيح اللسان ، وقوله « السائل الملحّ » ، أي كَثير السُؤال .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : عُرِض عَليَّ أوّلُ ثلاثةٍ يدْخُلونَ الجنَّةَ ، وأوّلُ ثلاثة يدخلون النّارَ ، فأمّا أولُ ثلاثةٍ يدْخُلونَ الجنَّةَ : فالشَّهيدُ ، وعبدٌ مملوكٌ أَحْسنَ عبادة ربِّه ونَصحَ لسيِّدِه ، وعفيفٌ متَعفِّفٌ ذوْ عيالٍ »[3] .

قوله : « نصح لسيده » ، أي أدىٰ حُقوق الله وَحُقوق سيده ، وحفظ ماله ورعى الأمانة ، وقوله : « ذو عيال » ، أي له أسرةٌ يُنفق عليها وأهل وأولاد ، وَجدّ في عمل وقنع برزق الله له .

---

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » وروى أحمد والبزار منه الشطر الأخير نحوه بإسناد حسن . ومعنى [الشره] الحرص .

(٢) رواه البزار .

(٣) رواه ابن خزيمة في « صحيحه » .

وجاء في الأدعية المأثورة : « اللهم إنّي أسألُكَ العِفَّةَ والغِنىٰ » .

وَالمتعففُ يَدهُ عُليا كما جاء في الحديث : « اليَدُ العليا خيرٌ مِنَ الْيدِ السُّفْلىٰ »[1] .

قال عبد الوارث : اليدُ العُليا المتعففة .

والمتعففُ المستغني بالله القانع بما أَعطاهُ مَولاهُ ، يرضاهُ اللهُ ويفتحُ له باب رحمته ، ويرزقه الله الغنى والسعادة ، ويملأ قلبه إيماناً وقناعة .

قال ﷺ : « مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللهُ ، ومَنْ يَقْنَعْ يُقَنِّعْه اللهُ »[2] .

وفي روايةٍ : « ومَنِ استعفَّ يُعِفَّه اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله ، ومن يَتصَبَّر يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وما أَعْطى اللهُ أحداً عطاءً هو خيرٌ له ، وأوسَعُ من الصَّبرِ »[3] .

قوله : « من يتصبّر » ، أي يُعالج في الصبر ويتكلفه على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا .

وقوله : « يصبّره الله » ، أي يَرزقه الله الصبر . وقال بعضهم : من يطلب العِفة عن السؤال ولم يظهر الفقر ، يُصيّره الله عفيفاً . ومن ترقّى وأظهر الاستغناء عن الخلق ، ملأ الله قلبه غنىٰ .

وقد بشر ﷺ القانع بالجنة فقال : « طُوبىٰ لمَنْ هُدِيَ للإسلامِ وكان عيشُه كَفافاً وقَنِعَ »[4] ، والكفافُ من الرزق ، ما كَفّ عن السؤال مع القناعة .

« وطُوبىٰ » ، هي شجرةٌ كَبيرةٌ في الجنة . وقيل : اسم من أسماء الجنة .

---

(١) رواه مالك والبخاري .

(٢) رواه البزار .

(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

(٤) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

كما بشّر ﷺ من قنع بالفلاحِ فقال : « قد أفلح مَنْ أسْلَمَ وَرُزِقَ كَفافاً ، وقنَّعهُ اللهُ بما آتاه »[1] .

ولذلك لم تكن كثرة المال هي مِقياسَ القَناعة ، ولا قلته هي مقياس الفقر ، ومن هنا يقول أبو ذر رضي الله عنه : قال لي رسول الله ﷺ : « يا أبا ذرٍّ : أترى كثرةَ المالِ هو الغِنىٰ؟ قلتُ : نَعم يا رسول الله ، قال : أفَترى قِلَّةَ المالِ هو الفَقْرَ؟ قلت : نعمْ يا رسولَ اللهِ . قال : إنَّما الغِنىٰ غِنىٰ القلْبِ ، والفقْرُ فَقْرُ القلْبِ »[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ليس الْغِنى عَنْ كَثْرةِ العَرَضِ ، ولكنَّ الغِنى غنى النَّفْسِ »[3] .

ويخبرنا ﷺ أنَّ عزّ المؤمن هو استغناؤُه عن الناس[4] ، وقد استعاذ ﷺ من النفس التي لا تشبع[5] ، وأخبرنا أنَّ مَنْ أصبحَ آمِناً في سِرْبه ، مُعافىً في بدنِه ، عنده قُوت يومه فكأنَّما حِيزَتْ له الدُّنْيا بِحَذافِيرِها[6] . أي فكأنما أُعطي الدنيا بأسرها .

أمَّا ما يأتي من غير سؤال ، فهو خير وبركة ، قال ﷺ لعمر بن الخطاب : « فأمَّا ما كان عنْ غيرِ مسألةٍ ، فإنَّما هو رِزْقٌ يَرْزُقُكَهُ اللهُ »[7] .

وقال لعائشةَ : « يا عائشةُ ، مَنْ أعْطاكِ عطاءً من غير مسألة ،

---

(١) رواه مسلم والترمذي .
(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » .
(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .
(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » بسند حسن .
(٥) كما جاء في الحديث . « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » . رواه مسلم وغيره .
(٦) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.
(٧) رواه مالك .

فاقبَليهِ ، فإنَّما هُو رِزْقٌ عَرَّضهُ اللهُ إليكِ »[1] .

وقال أيضاً في هذا الباب : « فإنما هو رزقٌ ساقَه الله عزّ وجل إليه »[2] .

ولا يُظنّ الآخذ المحتاج المستحق بأنه مَذمومٌ مطرودٌ أو نَاقص ، فقد بشرهُ ﷺ بقوله : « ما المُعْطي مِنْ سَعَةٍ بأفضلَ من الآخِذِ إذا كان مُحْتاجاً »[3] .

وَرُويَ عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما الذي يُعْطي بسَعَةٍ بأعْظمَ أجْراً من الذي يَقْبَلُ إذا كان مُحتاجاً »[4] .

أي ليس المتصدقُ من مَالٍ وَفيرٍ وَخيراتٍ كَثيرةٍ أفضل عند الله من الفقير الذي يَقبلُ الصدقة لله معتمداً على مَولاهُ حَامداً وشاكراً لله ، فإن الله ربهما ، وأراد للأول الغنى ليختبره ، وأراد للثاني الفقر ليختبره سبحانه ، فَعَلَهُ لحكمةٍ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٧] ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى : ٢٨] .

* * *

---

(١) رواه أحمد والبيهقي .

(٢) رواه أحمد بإسناد صحيح عن خالد بن علي الجهني .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » ، وابن حبان في « الضعفاء » .

شَرفُ الأَمانةِ والوَفاءِ بالوَعد

ومن شَرف هذه الأُمّة : ما جعله الله تعالى من الثَواب والفضل لمن أنجز الوعد والأمانة .

فمن ذلك : أنه مَضمونٌ له الجنة ، كما جاء في الحديث الذي رَواهُ عبادة بن الصامت ، عن رسول الله ﷺ : « اضْمَنُوا لِي ستًّا أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ ؛ أُصْدُقُوا إذا حَدَّثْتُمْ ، وَأَوْفُوا إذَا وَعَدْتُمْ ، وأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ »[١] . الحديث .

وَمما يَدلّ على شَرف الأمانة وفضلها والوفاء بالوعد ، ما جَاء من التحذير الشديد عن الخيانة وخُلف الوعد كقوله ﷺ : « لا إِيْمَانَ لِمَنْ لا أَمَانةَ لَهُ »[٢] .

وفي روايةٍ عن علي من حديث طويل : « إنه لا دِيْنَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلا صَلاةَ لهُ وَلا زَكَاةَ لَهُ »[٣] .

وكقوله ﷺ : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حدَّثَ كَذَبَ ، وإِذَا وَعَدَ أَخلَفَ ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ »[٤] .

---

(١) رواه أحمد وابن حبان في « صحيحه » والحاكم والبيهقي .

(٢) رواه الطبراني عن ابن عمر .

(٣) رواه البزار .

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

ورواهُ أبو يعلى من حديث أنس أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وإن صَامَ وصلَّى وحجَّ واعْتَمَرَ ، وقالَ إنِّي مُسْلِمٌ » فذكر الحديثَ .

وكقوله ﷺ : « إذا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ يومَ القيامةِ يُرْفَعُ لكلِّ غادِرٍ لواءٌ فقيل : هذه غَدْرَةُ فلانِ بنِ فلان »[1] .

* * *

(١) رواه مسلم وغيره .

فَضلُ اصطناعِ المعروفِ إلى المسلمين
وَقضاء حَوَائج الملهُوفين

ومن شَرف هذه الأُمّة : ما جَعلهُ الله تعالى لها من الفضائل العظيمة والمزايا الكريمة لمن صَنع المعروف ، وأغاث الملهوفين ، وسعى في قضاء حوائج الخلق ومنفعة إخوانه ، واجتهد في تَفريج كُرباتهم وستر عيوبهم ، والشفاعة لهم ، وإدخال السُرورِ عليهم ، وإجابة دعوتهم ، وعيادة مريضهم والذَّبّ عن أعراضهم ، ونصر مظلومهم ، ورَحمة ضعيفهم ، وإقالة عثرتهم ، والسعي في الإصلاح بينهم .

وَكلّ هذه المعاني مؤَيدةٌ بالأحاديث النبوية والآثار السنية الواردة عن كِبار الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وقد جمع في ذلك الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري أربعين حديثاً نذكر بعضها ، مع بيان بَعض معانيها ونزيدُ عليها بعض ما ظَفِرنا به .

فمن ذلك : أنَّ الساعي في نفع المسلمين هو أحبُّ الخلقِ إلى الله ، لما جاء في الأحاديث .

(١) عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « الخَلْقُ عِيَالُ اللهِ ، فَأَحبُّهُمْ إلى اللهِ أَنفَعُهُمْ لِعِيالِهِ »[١] .

---

(١) رواه البزار والطبراني في « معجمه » .

ومعنى « عيال الله » ، فقراء الله . فَالخلق كلهم فُقراء الله وهو الذي يعولهم ، ويشهدُ لهذا الحديث ما جاء في « مسند الشهاب » عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » .

(٢) ومن ذلك : أنه من الآمنين من عذاب الله يوم القيامة .

لما جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « إِنَّ لله عَزَّ وجلَّ خَلْقاً خَلَقَهُمْ لحَوائج النَّاسِ ، يَفْزَعُ إِلَيْهِمْ النَّاسُ في حَوائِجِهِمْ ، أولئكَ الآمِنُونَ مِنْ عَذابِ الله تعالى »[1] .

(٣) ومن ذلك : أنه يُوضع له منبرٌ من نُور يوم القيامة .

كما روى في الحديث عن كَثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزني ، عن أبيه ، عن جده رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله عِباداً خَلَقَهُمْ لحوائجِ الناس آلى ـ أي حَلَفَ ـ عَلى نَفْسِهِ ألاَّ يُعَذِّبَهُمْ بِالنَّارِ ، فَإذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ ، وُضِعَتْ لَهُمْ مَنابِرُ مِنْ نُوْرٍ يُحَدِّثُونَ اللهَ تَعالىٰ والنّاسُ في الحسَابِ »[2] .

وفي روايةٍ : أنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ لله مِنْ خَلْقِه وُجُوْهاً ، خَلَقَهُمْ لِحوائِجِ النَّاسِ يَرْغَبُوْنَ في الآخِرَةِ ، وَيَعُدُّوْنَ الجُودَ مَتْجَراً ، واللهُ يُحِبُّ مَكارِمَ الأخلاقِ » .

ومن ذلك : أنَّ المصطفى ﷺ يَقِفُ عند ميزانه ، فإن رَجح ، وإلاَّ شفع له[3] .

---

(١) رواه الطبراني ، وهو حديث حسن .

(٢) رواه ابن حبان في غير « صحيحه » .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » .

ومن ذلك : أنَّ الله يَغفر له ذنبه ، ويكتب له بَراءتين ، بَراءة من النفاق ، وبَراءة من النار[1] .

ومن ذلك : أنَّ الله يُعينه على إجازةِ الصراط يوم دَحض الأقدام ، كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ :
« مَنْ كَانَ وُصْلَةً لأَخِيه المُسْلِمِ إِلَىٰ ذي سُلْطَانٍ في مَبْلَغِ بِرٍّ أَوْ تيسيرِ عَسِيرٍ ، أَعَانَهُ اللهُ عَلىٰ إِجَازَةِ الصِّراطِ يَوْمَ القيامة عند دَحْضِ الأَقْدَامِ »[2] .

ومن ذلك : أنَّ من أَغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين حسنة ، واحدة منها يُصلح الله بها دُنْيَاهُ وآخرته ، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة[3] .

وفي رواية : كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة .

ومن ذلك : « أنَّ من فرَّج عن مؤمنٍ كُرْبَةً ، جعل اللهُ له شُعْبَتَيْنِ مِنْ نُورٍ يَسْتَضِيْءُ بِضَوْئَيْهِمَا عَالَمٌ لا يُحْصِيْهِمْ إلاّ ربُّ العزة »[4] .

ومن ذلك : أنَّ من فرج عن مُؤمنٍ كُربةً ، فرج الله له كُربةً من كُرب يوم القيامة .

كما جاء في الحديث عن مَسلمة بن مخلد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« من سَتَرَ مُسْلِماً ستَرَهُ الله عزّ وجل في الدنيا والآخِرَة ، ومَنْ فَكَّ عَنْ مَكْرُوْبٍ كُرْبَةً فَكَّ اللهُ عزَّ وجلَّ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يومِ القيامةِ ومَنْ كَان في حَاجةِ أخيهِ كانَ اللهُ في حَاجَتهِ »[5] .

---

(١) رواه المنذري في « الأربعين » .
(٢) رواه الطبراني في «الصغير» و «الأوسط» ، وابن حبان في «صحيحه» كلاهما من رواية إبراهيم بن هشام الغساني .
(٣) رواه أبو يعلى والبزار والبيهقي في « تاريخه » وبشواهده في الباب يصير صالحاً .
(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » .
(٥) رواه الطبراني ، وروى مسلم معناه .

ومن ذلك : أنَّ الله يُباعد بينه وبين النار سبع خَنادق .

ومن ذلك : أنه يكون له من الأجر ، كمن خَدم الله عمره .

ومن ذلك : أنه يكون له ثَواب المجاهدين في سبيل الله ، وأن له بكلّ خَطوةٍ يخطُوها سبعين حسنة ، وكفّر عنه سَبعين سيئة ، فإن قُضِيَتْ حاجتهُ على يديه ، خرج من ذنوبه كيومَ ولدته أمه ، فإن مَات في خلال ذلك ، دخل الجنة بغير حساب .

ومن ذلك : أنه يُظِلُّه خمسةٌ وسبعون ألفَ مَلكٍ ، يَدْعُونَ له ويُصَلُّون عليه .

ومن ذلك : أنَّ إدخال السُرور على المسلم من مُوجبات المغفرة ، وهو من أفضل الأعمال ، وأن الله يسترهُ يوم القيامة ولا يَرضى له ثواباً دون الجنة .

ومن ذلك : أنَّ فعل المعروف هو أَفضلُ الصدقات .

كما جاء في الحديث عن سمرة بن جُندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أَفْضلُ الصَّدقَةِ صَدَقَةُ اللّسانِ ، قيل : يا رسولَ الله ، وما صدقةُ اللسانِ؟ قال : الشفاعةُ ، تَفُكُّ بها الأسيرَ وتَحْقِنُ بها الدَّمَ ، وتَجُرُّ بها المعروفَ إلى أخِيكَ وتَدْفَعُ عنه كريهَتَه »[1] .

وَيشهدُ لهذا الحديث ما جاء في « اصطناع المعروف » للخرائطي عن سَمرة بن جندب مرفوعاً :

---

(١) رواه الطبراني في « مكارم الأخلاق » .

« مَا مِنْ صدَقَةٍ أفضَلُ من صدقةِ اللسانِ ، قال : وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال : الشفاعةُ ، تحقِنُ بها الدَّمَ وتجرُّ بها المعروفَ إلى آخرَ ، وتدْفَعُ بها المكْروهَ عن آخرَ » .

ومن ذلك : أنَّ من أقال مسلماً عثرتَهُ ، أقال الله عثرتَهُ يوم القيامة[1] .

ومن ذلك : أنَّ أهل المعروف هُم مفاتيح الخير ، فطوبى لهم وحسن مآب .

جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : قال اللهُ عزَّ وجلَّ : « أنا اللهُ قدَّرْتُ الخيرَ والشَّرَّ ، فطُوْبىٰ لِمَنْ جَعَلْتُ مفاتِيْحَ الخَيْرِ عَلَىٰ يَدَيْهِ ، ووَيْلٌ لِمَنْ جعَلْتُ مفاتِيْحَ الشَّرِّ علىٰ يدَيْهِ »[2] .

جاء في « سنن ابن ماجه » من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه مرفوعاً :

« إنَّ هٰذا الخَيْرَ خزائِنُ ، لِتِلْكَ الخَزائِنِ مَفاتِيحُ ، فَطُوْبَىٰ لعَبْدٍ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً لِلْخيرِ مِغْلاقاً لِلشَّرِّ ، ووَيْلٌ لعبدٍ جعلهُ اللهُ مِغْلاقاً للخيرِ مِفْتَاحاً للشرِّ » .

ومن ذلك : أنَّ صنائع المعروف تَحفظُ العبد من الآفات والعوارض ، وتدفع عنه الشّر والبلاء .

جاء في الحديث عن معاوية بن حَيدة عن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِىءُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وإنَّ صَنائِعَ المَعْرُوْفِ تَقي مَصارِعَ السُّوءِ ، وإن صِلةَ الرَّحِمِ تزيْدُ في العُمُرِ وتَنْفي الفَقْرَ ، وَأَكْثِرْ من قولِ : لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ ، فإنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كنوزِ الجنَّةِ ، وإنَّ فيها شِفَاءً من كلِّ

(١) رواه ابن حبان والطبراني وأبو داود وابن ماجه .
(٢) رواه الطبراني .

داءٍ ، أدْنَاها الهَمُّ »[1] .

ومن ذلك : أنَّ إصلاح ذاتِ البينِ ، أفضل من نوافل الصيام والصلاة والصدقة[2] .

ومن ذلك : أنَّ الله سبحانه وتعالى يَنْشُر له يوم القيامة ذكراً على رُؤوس الأشهاد يَشهدُه الخاصُ والعام .

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُنادي مُنَادٍ يومَ القيامة : لا يَقُومُ اليَومَ أَحَدٌ إلاَّ له عِنْدَ اللهِ يَدٌ ، فَتَقُولُ الخَلائقُ : سُبْحَانَكَ ، بَلْ لَكَ الْيَدُ ، فَيَقُوْلُ ذلِكَ مرَاراً ، فيقولُ : بَلى مَنْ عَفَا في الدُّنْيَا بَعدَ قُدْرَةٍ »[3] .

وجاء في « مكارم الأخلاق » للطبراني عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً :

« إذا وَقَفَ العبدُ للحساب ينادي مُنادٍ : لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ علىٰ اللهِ ، فيُقالُ : وَمَنْ أجْرُهُ علىٰ اللهِ؟ فيقولُ : العافون عَنِ الناسِ ، فقامَ كذا وكذا ، فدَخَلُوهَا بِغيرِ حسابٍ » .

فهذه الأحاديثُ منها ما هو صَحيحٌ ، ومنها ما هو حَسنٌ ، ومنها ما هو دون ذلك ، وبعضها يَجبرُ بعضاً ، وهي كلها تَدلّ على فضل المعروف والإِحسان ، وهناك أحاديثُ كثيرةٌ في هذا المعنى ، تركناها واقتصرنا على هذه ، وفضل الله واسع واللهُ ذو الفضل العظيم .

* * *

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .
(٢) رواه أبو داود والترمذي ، وهو حديث صحيح .
(٣) رواه أبو منصور الديلمي في « مسند الفردوس » .

فَضلُ مُكافأةِ صَاحبِ المعروف والإِحسان

الإسلام دِينُ الوفَاء :

ومن فضائل هذه الأُمّة : أنَّ الإِسلام يَغرسُ في قلوب أبنائه الوفاء وحفظ الجميل ومعرفته لأصحابه ، وذلك بشكرهم والدعاء لهم ، والإِقرار بالاعتراف بفضلهم .

وقد أمرنا بذلك ﷺ فقال : « ومَنْ أتى إليكم معروفاً فكافِئُوه ، فَإِنْ لم تجدوا فَادْعُوا له ، حَتَّى تَعْلموا أَنْ قَدْ كافأتموه »[1] .

وفي روايةٍ : « مَنْ اصْطَنع إليكم معروفاً فَجازُوه ، فإِنْ عَجزتم عن مُجازاتِه فادْعوا له حَتى تعلموا أنْ قَدْ شكرتم ، فإن الله شاكرٌ يُحبُّ الشاكرين »[2] .

وفي روايةٍ : « من أُعطِي عَطاءً فوَجَدَ فليجْزِ به ، فإن لم يجِدْ فليُثْنِ ، فإنّ مَنْ أثْنَى فقد شَكَر ، ومن كَتم فقد كفر ، ومن تحلّى بما لم يعطَ كان كلابِسِ ثَوْبَيْ زُورِ »[3] .

وفي روايةٍ : « من أولِيَ معروفاً ، أو أسْدِيَ إليه معروفٌ ، فقال : للذي أسداهُ : جزاكَ الله خيراً ، فقد أَبْلَغَ في الثَّناءِ » .

---

(١) رواه أبو داود والنسائي .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط .

(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب .

وفي روايةٍ : « إذا قال الرجل : جزاك الله خيراً ، فقد أبلَغَ في الثَّناءِ »[١] .

والشاكر للمعروف المثني على أهله خيراً ، هو أشكر الناس لله تبارك وتعالى : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أشْكَرَ الناسِ للهِ تبارك وتعالى ، أشكَرُهُمْ للناسِ » .

وفي روايةٍ : « لا يشكُرُ الله مَنْ لا يشكُر الناسَ »[٢] .

وَيُقابله الجَاحِدُ الذي لا يُثمر فيه الخير ، ولا يَعرفُ الفضل لأهله ، فهو أيضاً جَاحدٌ نعمة الله تعالى .

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من لم يَشكُرِ القَليلَ لم يشكر الكثيرَ ، ومن لم يشكُرِ الناسَ لم يشْكرِ اللهَ ، والتحدُّثُ بنعمةِ الله شُكْرٌ وتركُهَا كفرٌ ، والجماعةُ رحمةٌ ، والفُرقةُ عذابٌ »[٣] .

والدُعاء كَافٍ في تحقيق الثناء ، فقد جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون : يا رسول الله ، ذهب الأنصارُ بالأجر كله ، ما رأينا قوماً أحسنَ بذلاً لكثير ولا أحسن مُواساةً في قليل منهم ، ولقد كفَوْنا المؤنةَ ، قال : « أليس تُثْنُون عليهم به وتَدعون لهم؟ قالوا : بلى ، قال : فذَاك بذاك »[٤] .

* * *

---

(١) رواه الطبراني في « الصغير » .

(٢) رواه أحمد والطبراني .

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائده بإسناد لا بأس به . ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب « اصطناع المعروف » .

(٤) رواه أبو داود والنسائي واللفظ له .

شَرفُ الصَائمين مِن هَذه الأُمّةِ

ومن الشَرف الذي ادخره الله تعالى لهذه الأُمّة : تلك الفَضائل العُظمى والمناقب الكُبرى التي يختصُ بها الصائم من أفراد هذه الأمّة ، وقد جمعتُ من تلك المناقب جُملةً صَالحة سنذكر أهمها مع الدليل .

اختص الله الصائمين : بباب في الجنة يدخلون منه يوم القيامة إظهاراً لشرفهم وفضلهم ، ينادي مُنادٍ على رؤوس الأشهاد : أين الصائمون ، فيراهم القاصي والداني ، وتمتد إليهم الأبصار وتَشرئبُ الأعناق ويتمنى مُتمنٍ أن لو كان معهم وفي رَكبهم الميمون ، ويتحسر مُتحسرٌ على ما فاته في الدنيا من فُرصةِ العمل والجِدّ ، وما ضاع عليه من أوقات ثَمينةٍ وساعات عَديدةٍ ، يُصَوّر ﷺ هذا المشهد فيقول : « إِنَّ في الْجَنَّةِ باباً يُقَال له : الرَّيَّانُ ، يَدْخُلُ منه الصائِمونَ يومَ القيامَةِ ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أحدٌ غيرُهُمْ يُقال : أَيْنَ الصَّائِمُون فيَقُومُون ، فإِذَا دَخَلُوا ، أُغْلِقَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ »[1] .

واختص الله سبحانه وتعالى الصائمين أيضاً : بأن جعل صَومهم لهم حِصناً حَصيناً من النار ، وستراً يقي صاحبه مما يُؤذيه من الشهوات

---

(١) أخرجه أحمد والشيخان عن سهل بن سعد .

يقول ﷺ : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ وحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ »[1] .

ثُمّ يُبين لنا ﷺ حقيقة هذا الصَوم الذي يحفظُ صاحبه من النار ، فيقول : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النارِ كَجُنَّةِ أحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ مَا لَمْ يَخرِقْهَا بِكَذِبِ أَوْ غِيْبَةٍ »[2] .

وكأنه يقول : إنَّ المراد بالصيام هنا ، صيامُ من سَلِمَ صيامه من المعاصي قولاً وفعْلاً ، ولذلك حَثَّ الصائم أن يلتزم مَسلك الفضيلة ، ويبتعد عن دواعي الرذيلة حتى يتحقق بالصيام الذي هو جُنَّةٌ فيقول : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ ، فَمَنْ أَصْبَحَ صَائِماً فَلا يَجْهَلْ يَوْمئذٍ ، وَإِنِ امْرُؤٌ جَهِلَ عليه فَلا يَشْتُمْهُ ولا يَسُبَّهُ ، وَلْيَقُلْ : إِنّي صَائِمٌ »[3] .

واختص الله الصائم أيضاً : بأن جَعل تغير فَمه أطيبَ من ريح المسك ، فقال : « وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ » . والخلوفُ تَغير الفم من الصوم .

واختص الله الصائم : بأن جعل له في صيامه فرحتين ، فإذا أفطر فَرح ، وإذا لقي الله فرح ، فَفرحه بفطره تَعبيرٌ صَادقٌ عن شُكره التام لربه الذي وفقه لإتمام صوم ذلك اليوم ، وَمكنهُ بواسطة تَمام صحته وقوته ، فأدىٰ عبادة يومه كاملةً غير نَاقصة ، فهو في فَرحه هذا في عبادة لأنَّ الشكر عبادة وذكر ، وفرحَهُ بلقاء الله اطمئنانٌ بوعدِ الله ويقين جَازمٌ بقبول العمل بمشاهدة عظيم الثواب عليه ، يقول ﷺ عن ذلك : « وَإِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ ؛ إِذا أَفطَرَ فَرِحَ ، وَإِذَا لَقِيَ اللهَ فَرِحَ »[4] .

---

(١) رواه أحمد والبيهقي في « الشعب » .
(٢) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه .
(٣) رواه النسائي .
(٤) رواه مسلم في « الصحيح » .

واختصّ الله الصائم : بأن جعل له في صومه الصِحةَ والشِفاء من كَثيرٍ من الأمراض ، ففي الحديث : « صُومُوا تَصِحُّوا »(١) .

وأخرج البيهقي عن عليٍّ كرم الله وجهه قال ﷺ : « إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسرَائِيلَ : أَنْ أَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لَيسَ عَبْدٌ يَصُومُ يَوْماً ابْتِغَاءَ وَجْهِي ، إلاَّ أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَأَعْظَمْتُ لَهُ أَجْرَهُ » .

وَسِرُّ ذَلك : أنَّ للصوم تأثيراً عجيباً في حفظ الأعضاء الظاهرة ، وقوى الجوارح الباطنة وحمايتها من التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد الرديئة ، وذلك من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

واختص الله الصائم : بإبعاد وجهه عن النار ، فلا تَرى عينُه أيّ مَشهدٍ من مشاهد النار . يقول ﷺ : « مَنْ صَامَ يَوْماً في سَبِيلِ اللهِ ، بَعَّدَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً »(٢) .

وفي روايةِ النسائي عن عُقبة بن عامر : « باعَدَ اللهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مَسِيْرَةَ مِائَةِ عامٍ » .

ومما اختص الله سبحانه وتعالى به الصائم : ما ورد في القرآن من فضائلهم التي قال كثير من العلماء في كثيرٍ منها : إنَّ المراد بها الصائمون . منها قوله تعالى : ﴿ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] ، فُسِّر بالصائمين لأنهم سَاحوا إلى الله عز وجل ، أي وصلوا إليه بسبب خروجهم عن مَألوفاتهم ومُقاساتهم عناء الجوع والعطش .

---

(١) رواه ابن السُّني وأبو نعيم .

(٢) أخرجه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي سعيد الخدري وعند ابن ماجه عن أبي هريرة .

ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] ، قيل : الصابرون هم الصائمون ، لأنَّ الصبر اسمٌ من أسماء الصوم ، فحينئذ يفرغ للصائم من خزائن الفضل والجود والكرم ما لا يُحصيه الحساب ولا يقدِّره إلاَّ ربُّ الأرباب .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] ، قيل : عملهم الذي جوزوا عليه بما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، هو الصوم .

واختص الله تعالى الصائم : بأن جعل حالَه كُله عبادةً وطاعةً ، فهو إن صَمت عن فُضول الكلام في طاعةٍ ، وإن نَام ليتقوى على القيام في طاعةٍ أيضاً . رُويَ عنه ﷺ : « صَمْتُ الصَّائِم تَسْبِيحٌ وَنَوْمُهُ عِبَادَةٌ وَدُعاؤُهُ مُسْتَجابٌ وَعَمَلُهُ مُضاعَفٌ »(١) .

ففي فطوره له فرحةُ الشكر وهي عبادة ، وله في ذلك الوقت دعوة مستجابة كما ثبت في الحديث : « لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِه دَعْوَةٌ مُسْتَجابَةٌ »(٢) .

ولا يخلو أن يدخل في ذلك الوقت ضمن الذين أسعدهم الله فكتبهم من العتقاء من النار في تلك الساعة كما ثبت في الحديث « إنَّ للهِ تعالى عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءَ مِنَ النَّارِ وذَلِكَ في كُلِّ لَيْلَةٍ »(٣) . وسحوره بركة ، كما ثبت ذلك في الحديث الشريف وصومه بعد ذلك ثوابه الجنة .

واختص الله الصائم : بأن جعل لمن فَطّرهُ من الثواب الجزيل ما لا ينقص من ثواب الصائم نفسه . وفي سبيل إكرام الصائم جعل هذا الثواب ولو كان على لُقمةِ خبز ، أو شَربةِ ماء .

---

(١) رواه الديلمي عن ابن عمر . وأخرجه ابن منده وسنده ضعيف .

(٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم وأبو داود الطيالسي والبيهقي .

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني والبيهقي .

فقال ﷺ : « مَنْ فَطَّرَ صَائِماً في رَمضَانَ مِنْ كَسْبِ حَلالٍ صَلَّتْ عَلَيْه المَلائِكَةُ لَيَالِيَ رَمَضَانَ كُلَّها وصَافَحَهُ جِبْرِيلُ لَيْلَةَ القَدْرِ وَمَنْ صَافَحَهُ جِبْرِيلُ تَكْثُرُ دُمُوعُهُ وَيَرِقُّ قَلْبُهُ فقَالَ رَجُلٌ يا رَسُولَ الله ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ؟ قَالَ : فَلُقْمَةُ خُبْزٍ قَالَ : أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ؟ قال : فَقَبْضَةٌ مِنْ طَعَامٍ قَالَ : أَفَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ؟ قَالَ : فَمَذْقَةٌ مِنْ لَبَنٍ قال : أَفَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عِنْدَهُ؟ قال : فَشَرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ »[١] .

واختص الله الصائم : بأنه إذا أكل وعنده جماعةٌ مُفطرون وهو يَشهد وينظر لا يمنعه من الأكل معهم إلاَّ حُرمة الصّيام ، فإنه تُصلي عليه الملائكة .

ففي الحديث : « أنَّ الصائِم إذَا أُكِلَ عِنْدَه ، لَمْ تَزَلْ تُصَلِّي عَلَيْهِ المَلائِكَةُ حَتّى يُفْرَغَ مِنْ طَعَامِه »[٢] .

فضائلُ الصَوم مُطلقاً كثيرة

فمنها : أنَّ الله تعالى أضاف ثَوابه إليه دون سائر العبادات ، فقال : « الصَّوْمُ لي وَأَنا أجْزِي بِهِ »[٣] .

فاختص الصوم عن بقية الأعمال بإضافته إلى الله تعالى إضافة تشريف إعلاناً بأنَّ ثوابه وصل غايةً تقصر العقول عن إدراكها .

قال العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني في « شرح الإحياء » :

قيل : وسبب إضافته إليه تعالى ، أنه لم يُعبَدْ به أحدٌ سواه ، فلم تُعظِّم الكفار في عصرٍ من الأعصُرِ معبوداً لهم بالصيام ، وإن كانوا يُعَظمونه

---

(١) أخرجه أبو يعلى وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في « الضعفاء » .
(٢) أخرجه أحمد والترمذي .
(٣) وهو حديث صحيح ثابت .

بصورة الصلاة والسجود ، والصدقة والذكر ، وغير ذلك . حكاه النووي في « شرح مسلم » .

قال العراقي في « شرح الترمذي » : ونقضه بعضهم بأرباب الاستخدامات ، فإنهم يَصُومون للكواكب . قال : وليس هذا بنقضٍ صحيح لأنَّ أرباب الاستخدامات لا يعتقدون أنَّ الكواكب آلهة ، وإنما يَقُولون : إنها فعالةٌ بنفسها ، وإن كانت عندهم مخلوقة[1] . اهـ .

قلت : ولا شك أنهم مع كُلّ ذلك مشركون بالله ، لا شك في ذلك والعياذ بالله .

وأيضاً لأَنَّ في الصوم إشارةً إلى سرّ صمديَّته تعالى دون سائر العبادات ، وأيضاً لأنَّ الاستغناء عن الطعام وسائر الشهوات ، من صفاته تعالى ، والصَوم فيه نَوعٌ يوافقها ، فلذلك أضافه تعالى إليه ، ومن ثَمَّ قال القرطبي : مَعناهُ أنَّ أعمال العباد مناسبةٌ لأحوالهم ، إلاّ الصوم فإنه مناسبٌ لصفةٍ من صفات الحق ، فكأنه تعالى يقول : إنَّ الصائم يَتقربُ إليّ بأمر هو من صفاتي .

وأيضاً فإنَّ الصوم فيه تَركُ جميع حُظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جُبلت على الميل إليها لله تعالى ، ولا يُوجد ذلك في عبادةٍ أخرىٰ ، ألا تَرىٰ أنَّ الإحرام بالحج أو العمرة وإن حَرُم معه كثيرٌ من المُباحات كالطيب والنساء والصيد واللباس ، إلاَّ أنه لا يَحرُم معه الأكل والشرب الذي به قوامُ الحياة . وهذا وإن كان حُرم في الصلاة ، إلاَّ أنه لوقت محدود لا يتجاوز خمس دقائق .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين : أنَّ صيامهم يَشفعُ لهم يوم القيامة .

---

(١) إتحاف السادة شرح «الإحياء» (٤/ ٣١٧) .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الصِّيَامُ والقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . يَقُولُ الصِّيَامُ : أيْ رَبِّ! مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ والشَّهْوَةَ فَشَفِّعْني فِيْهِ ، وَيَقُول القُرآن : مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْني فِيْهِ . قَالَ : فَيُشَفَّعَانِ »[1] .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين : أنَّ صومهم تطوعاً يَعدِلُ مِلءَ الأرض ذهباً .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَوْ أَنَّ رَجُلاً صَامَ يَوْماً تَطَوُّعاً ثُمَّ أُعْطِيَ مِلْءَ الأَرْضِ ذَهَباً ، لَمْ يَسْتَوْفِ ثَوَابَهُ دُوْنَ يَوْمِ الحِسَابِ »[2] .

ومن الشَرف الذي اختص الله به الصائمين : أنَّ الله قضى على نفسه أن من أعطش نفسه له في يوم شديد الحَرّ كان حقاً عليه تعالى أن يُروِيَه يوم عطش الناس يوم القيامة .

فقد جاء : « أنَّ رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سَرِيَّةٍ في البحر ، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشِّراع في ليلةٍ مُظلمةٍ ، إذا هَاتفٌ فوقَهم يهتف : يا أهل السفينة ، قفوا أخبركم بقضاء قَضاهُ الله على نفسه ، فقال أبو موسى : أخبرنا إن كُنت مخبراً .

قال : إنَّ الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم صَائفٍ ، سقاه الله يوم العطش »[3] .

وفي روايةٍ : « إنَّ الله تعالى قَضىٰ على نفسه أنه من عَطّش نفسه لله في

---

(١) رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح ، ورواه ابن أبي الدنيا ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه أبو يعلى والطبراني .

(٣) رواه البزار بإسناد حسن من حديث ابن عباس .

يوم حَارٌّ ، كان حقاً على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة »[١] . قال الراوي : وكان أبو موسى يتوخّى اليوم الشديد الحرّ الذي يَكاد الإنسان ينسلخ فيه حرّاً ، فَيصومُهُ .

وأخبر النبي ﷺ أنَّ الصوم زَكاةُ الجسد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ ، وَزَكَاةُ الجَسَدِ الصَّوْمُ والصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ »[٢] .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين : أنَّ الصيام في رمضان سَببٌ لغفران الذنوب .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَاناً وَاحْتِساباً غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَاناً واحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه »[٣] .

ومن الشَرف الذي اختص الله به الصائمين : أنَّ الله تعالى اختصهم في رمضان بخمس خصال لم يُعطهن الأمم السابقين .

فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « أُعْطِيَتْ أُمَّتي خَمسَ خِصَالٍ في رَمَضَانَ لَمْ تُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ قبْلَهُمْ : خَلُوْفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ المِسْكِ ، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْحِيْتَانُ حَتّى يُفْطِرُوا ، وَيُزَيِّنُ الله عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَه ثُمَّ يقولُ : يُوْشِكُ عِبَادي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُم المُؤْنَةَ وَيَصِيْرُوا إِلَيْكِ ، وَتُصَفَّدُ فِيْهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِيْنِ فلا يَخْلُصُوا فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره ، ويغفر لهم في آخر ليلة ، قيل :

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا .
(٢) رواه ابن ماجه .
(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه مختصراً .

يا رسول الله ، أهي لَيلةُ القدرِ؟ قال : لا ، ولكن العامِلَ إنما يُوَفّى أَجْرهُ إِذَا قَضىٰ عَمَله »[1] .

ومن الشرف الذي اختص الله به الصائمين : أنّه جعل لهم صيامهم رمضان كفارةً لذنوبهم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إلى الجُمْعَةِ ، وَرَمضَانُ إلى رمضانَ ، مُكَفِّراتُ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَت الْكَبَائِرُ » رواه مسلم .

* * *

(١) رواه أحمد والبزار والبيهقي .

شَرفُ الحُجَّاجِ من هَذه الأُمّةِ

فَضائِلُ الحَاج وَشرفُهُ :

ومن الشَرف الذي ادخره الله تعالى لهذه الأُمّة : تلك الفضائل العظمى والمناقب الكبرى التي يختص بها الحاج من أفراد هذه الأمّة ، وقد جَمعتُ من تلك المناقب جُملةً صَالحةً ، وسنذكر أهمها مع الدليل :

الأول : أنَّ الحاج حَجّهُ يهدم ما قبله . عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : « فلمَّا جعلَ اللهُ الإسلام في قلبي ، أتيتُ النبي ﷺ فقلت : أبسُطْ يمينك فَلأُبَايِعْكَ ، فبسَطَ يمينه ، قال : فقبضتُ يَدِي ، قال : ما لكَ يا عمرُو ، قال : قلتُ : أردت أن أشْتَرِطَ ، قال : تَشْتَرِطُ بماذا؟ قال : أن يُغفر لي ، قال : أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلام يَهْدِمُ ما كان قَبْله ، وأنّ الهِجرةَ تَهْدِمِ ما كان قبلها ، وأنّ الحجّ يَهدِم ما كان قبله »[1] .

الثاني : أنَّ الحاج مُجاهد . وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « جِهادُ الكبير والضعيف والمرأة ، الحجُّ والعُمرةُ »[2] .

وعن عثمان بن سليمان ، عن جدته أم أبيه قالت : « جاء رجلٌ إلى

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان من حديث طويل ، وهذا جزء منه .

(٢) أخرجه النسائي .

النبي ﷺ فقال : إنّي أُرِيدُ الجهادَ في سبيل الله فقال : حُجَّ البيتَ »[1] .

وعن عمر أنه قال : إذا وضعتم السُروج ، فشُدّوا الرحالَ للحجّ والْعُمْرَةِ ، فإنها أحدُ الجهادَين »[2] .

الثالث : أنَّ الحاج مِن وَفد الله .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وَفْدُ اللهِ ثلاثةٌ : الغازِي ، والحاجُّ ، والمُعتمِر »[3] .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « الحُجّاجُ والعُمّارُ وَفْدُ الله ، إن سَألُوا أُعطُوا ، وإِن دَعَوا أُجِيبوا ، وإن أنْفَقُوا أُخلِف علَيهم . والذي نفسُ أبي القاسم بيده ، ما أهلَّ مُهِلٌّ ولا كبَّر مُكَبِّرٌ علَى شَرفٍ من الأَشْرافِ ، إلاَّ أَهَلَّ ما بينَ يدَيْه وكبَّر بتكبيرِه ، حتَّى ينقطع مَبلغَ التراب . »[4] .

الرابع : أنَّ الحاج مُجاب الدَعوة :

ـ تقدم في الفصل آنفاً طَرفٌ منه ـ :

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « خَمْسُ دعواتٍ لا تُرَدُّ : دعوةُ الحاجّ حتى يَصدُرَ ، ودَعوةُ الغازي حتى يَرجع ، ودَعوةُ المَظْلُومِ

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور .

(٢) أخرجه أبو ذر الهروي .

(٣) أخرجه النسائي .

وأخرجه ابن حبان في « التقاسيم والأنواع » ، بتقديم بعض اللفظ وزاد في بعض طرقه : « دعاهم فأجابوا » ، رواه حماد بن سلمة من حديث ابن عمر وذكر هذه الزيادة وزاد : « فسألوه فأعطاهم » وذكره ابن الحاج في منسكه .

(٤) أخرجه تمّام الرازي في « فوائده » . وأخرجه ابن الجوزي في كتاب « مثير الغرام الساكن » من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال في آخره : حتى يبلغ منقطع التراب .

حتى يُنصَرَ ، ودعوة المريض حتى يبرأ ، ودعوةُ الأخِ لأخيهِ بالغَيْبِ ، أسرَعُ هؤلاء إجابةً دَعْوةُ الأخِ لأخِيه بالغَيْب » .

حديث صحيح من حديث سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . ولذلك كان من السُّنّة أن يطلب من الحاج الدعاء ، وهذه السُّنّة المطلوبة فعلها ﷺ مع عُمَر ، فإنه لما استأذنَ في العُمرة فأذن له . قال له : « لا تَنْسَنا من دعائِك ، أو أَشْرِكْنا في دُعائك »[1] .

الخامس : أنَّ الحاج نَفقتُهُ في سبيل الله .

عن بُريدة قال : قال رسول الله ﷺ : « النفقةُ في الحَجِّ ، كالنفقة في سبيل الله ، الدرهم بسبعمائة ضعف »[2] .

السادس : أنَّ الحَاج درهمه بأربعين ألف ألف .

عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا خَرج الحاجُّ من بيتِه كان في حِرز الله ، فإن ماتَ قبل أن يَقضِيَ نُسُكَه وقَع أجْرهُ على الله ، وإن بقي حتى قضىٰ نُسكَه ، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخَّرَ ، وإنفاقُ الدِرهمِ الواحِدِ في ذلك الوجهِ ، يَعْدِلُ أربعين ألفَ ألفٍ فيما سِواه »[3] .

السابع : أنَّ الحاج نفقته مَخلوفةٌ .

ثبت في الحديث : « الحُجّاجُ والعُمّار وَفْدُ الله إن سألوا أُعطُوا وإن دَعَوا أُجِيبُوا وإن أنْفَقُوا أُخلِف عليهم »[4] .

وفي روايةٍ : إنَّ الله تعالى يقول لملائكته : « وأخلِفُوا لهم ما أنفَقُوا » .

---

(١) رواه أبو ذر الهروي .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما .

(٣) ذكره في « القرى » .

(٤) أخرجه تمّام الرازي .

الثامن : عن أبي أُمامة وواثلة بن الأسقع قالا : قال رسول الله ﷺ : « أربعةٌ حَقٌّ على اللهِ عز وجل عَونُهم : الغازِي ، والمتزوّجُ ، والمُكاتَبُ ، والحَاجُّ » .

التاسع : عن أبي موسى الأشعري قال : « الحاجُّ يَشْفَعُ في أربعمائةٍ من أهلِ بَيته »[١] .

وفي روايةِ المنذري : « مَن جَاء حَاجّاً يُريد وجهَ الله ، غُفِر له وَشُفِّع فيمَنْ دَعا له » .

العاشر : أنَّ الحاج مَغفورٌ له .

عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « ما من مُحرِمٍ يُضحّي لله يَوْمَهُ يُلبّي حتّى تَغِيبَ الشّمْسُ ، إلاَّ غَابت بذنُوبه فعادَ كما ولدَتْه أمُّه »[٢] .

وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه : « إذا كانَ يومُ عَرفة فإنَّ الله يَنزِل إلى السماءِ الدنيا فيقولُ : انظُروا إلىٰ عِبادِي أَتَوْني شُعْثاً غُبْراً ، اشهَدُوا أنّي غَفَرْتُ لَهم ذُنُوبَهم ، فتقول الملائكةُ : يا ربّ فلانٌ يَرْهَقُ - يعني يأتي المَحارِم - قال : يقولُ الله عزّ وجل : قد غَفرتُ لَهم »[٣] .

وهذه المغفرة عَامةٌ حتّى للتبِعات ، فقد روى العباس بن مرداس : أنَّ النبي ﷺ دعا لأمته عشيَّةَ عرفَةَ بالمغفرةِ فأُجِيبَ : « إنّي غفرتُ لَهُم ما خَلا المَظَالِمَ ، فإنّي آخِذ للمَظْلُومِ منه ، قال : أيْ رَبّ ، إن شئتَ أعطيتَ المظلومَ الجنة ، وغفرتَ للظالِم فلم يُجَبْ عشية عرفة ، فلمّا أصبح بالمُزدلفةِ أعاد الدعاءَ ، فأُجِيبَ إلى ما سألَ . قال : فضَحِكَ رسول الله ﷺ أو

(١) أخرجه عبد الرزاق في « مسنده » .
(٢) رواه ابن ماجه .
(٣) أخرجه البغوي في « شرح السنة » .

قال : تبسَّمَ ، فقَال له أبو بكر وعُمَر : بأبي أنتَ وأمّي يا رسولَ الله ، إنّ هٰذِهِ لَساعةٌ ما كُنْتَ تَضْحَكُ فيها ، فما الذي أَضْحَكَك أضحك اللهُ سِنكَ؟ قال : إنَّ عَدُوّ الله إبليسَ لما عَلِم أنَّ الله عزّ وجل قد استَجابَ دُعائِي ، وغفرَ لأمتي ، أخَذ الترابَ فجعَلَ يَحْثُوهُ عَلىٰ رأسِه ويَدعُو بالوَيْل والثُّبُورِ ، فأضْحَكني مَا رأيتُ مِنْ جَزَعِه »[١] .

قُلْتُ : ولكن لا بدَّ من تقييد هذا الكلام ؛ بأن المُراد بذلك : هو من نَوىٰ على أداء الحقوق لأربابها ، ولكنه عَاجزٌ عن ذلك الوقت ، فهذا تَشملهُ الرحمة الإلهية بإذن الله وفضله . أمّا الظالم إذا تمكن من الأداء ولم يُؤدِ أو إذا كان عاجزاً لكنه مُصَممٌ على عدم الأداء ، فَالظاهرُ أنه لا تَشملهُ الرحمة .

الحادي عشر : أنه يُغْفر لمن يستغفر له الحاج .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفِرْ للحاجّ ، ولمن استَغفَر له الحاجُّ »[٢] .

وعن مُجاهِد قال : قال عمر رضي الله عنه : يُغفَر للحاج ولمن استغفر له الحاجُّ بقية ذِي الحجة ، والمحرّم ، وصفَرَ ، وعَشْر من شهرِ رَبيعِ الأول »[٣] .

ولذلك كان ابن عمر يقول : إذا لقيت الحاجَّ فسلِّمْ عَليه وصافِحْه ، ومُرهُ أن يستغفر لك قبل أن يَدخُلَ بيتَه »[٤] .

فَكانوا يُحِبّون أن يدخلُوا في هذه الخُصوصية .

---

(١) رواه ابن ماجه .
(٢) رواه البيهقي وصححه الحاكم .
(٣) رواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » ، وذكر هذا الخضراوي في « العقد الثمين » ٣١ .
(٤) رواه أحمد في « مسنده » .

الثاني عشر : أنَّ الحاج يُباهي الله به الملائكة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « إنَّ الله يباهِي بأهلِ عرفاتٍ أَهْلَ السماءِ »[1] .

الثالث عشر : أنَّ الحاج من أَهل الجنة .

عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «الحَجُّ الْمَبْرُوْرُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إلاَّ الْجَنَّةَ » ، قيل : وما بِرُّهُ؟ قال : « إِطْعَامُ الطَّعامِ ، وطِيْبُ الكلام » . وفي رواية : « إطعامُ الطعام ، وَإِفشَاءُ السَّلامِ »[2] ، والمعنى : أنه لا يُقتصَر فيه على تكفير بعض الذُّنوب ، بل لا بدَّ أن يَبلُغ به الجنة .

ولا غَرابة بعد هذه الخصائص والمزايا التي امتاز بها الحاج في أن يحرص المسلم كُلَّ الحرص وتشتد رغبته وَيعظُمَ طلبه ويجتهد في حضور هذه المشاهد وإدراك هذه الخصائص ، ولو كان من أهل الأعذار الذين قد قَضوا فَرضهم وأكثروا من التطوع بهذا النُّسك الشريف .

قال بعضهم : رأيتُ في الطواف كهلاً وقد أجهدتهُ العبادة وبيده عصا وهو يطوف معتمداً عليها ، فقال لي : في كم تقطعون هذا الطريق؟ قُلت : في شهرين فقال : فهل تحجون كُلَّ عام؟ فسكت فسألته : وكم بينكم وبين هذا البيت؟ قال : مسيرة خمس سنين ، فقلت : والله هذا هو الفَضلُ المبينُ والمَحبةُ الصادقة ، فضحِك وأنشأ يقول :

زُرْ من هَويت وإن شَطَّت بك الدَّارُ   وحَال من دُونه حُجبٌ وأَستارُ
لا يمنعنَّكَ بُعْدٌ عن زيارتِه   إنَّ المُحبَّ لمن يَهواهُ زَوَّارُ

---

(١) رواه ابن حبان وأحمد .
(٢) رواه أحمد والطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن.

وعن شقيق البلخي رحمه الله قال : رأيتُ في طريق مكة مُقْعداً يزحفُ على الأرض ، فقلت له : من أين أقبلت؟ قال : من سَمَرقَند ، قُلت : وكم لك في الطريق؟ فذكر أعواماً تَزيدُ على العشرة . فَرفعتُ طرفي أنظر إليه متعجباً ، فقال : يا شقيق ، مَالك تَنظرُ إليَّ مُتَعجباً؟ .

فَقلتُ : أتعجَّبُ من ضَعف مُهجتك وَبُعْدِ سَفرك! فقال : يا شقيق ، أمّا بُعْدُ سَفري فالشوق يقوّيه ، وأمّا ضَعفُ مُهجتي فَمولاها يحملها . يا شقيق ، أتعجبُ من عَبدٍ يَحملهُ المولى اللطيف ، وأنشأ يقول :

أزوركم والهوى صَعبٌ مَسالكهُ   والشَّوق يحمل والآمالُ تُسعِدُهُ
ليسَ المُحبّ الذي يَخشى مَهالكهُ   كَـلاّ ولا شِـدّةُ الأَسفـار تُبْعِـدُهُ

* * *

فضلُ تِلاَوة القُرآن وَشَرفُ القُرّاءِ مِن هذه الأُمّةِ

ومن شَرف هذه الأمة المحمدية : ما أعدهُ الله تعالى من الثواب العظيم والفضل الجسيم على تلاوة القرآن الكريم ، وما اختص به حَملةُ هذا الكتاب من مَناقبَ عَديدةٍ ومَزايا حَميدةٍ .

فمنها : أنَّ القارىء له بكلّ حَرفٍ حَسنةٌ ، والحسنةُ بعشر أمثالها بفَهمٍ أو بغَيْر فَهم .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالى ، فَلَهُ بِهِ حَسنةٌ ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . لا أَقُولُ : أَلَمّ حَرْفٌ ، ولكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، ولامٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ »(١) .

قال الإمام النووي : اعلم أنَّ المذهب المُختار الصَّحيح الذي عليه من يُعتمد من العلماء : أنَّ قراءةَ القرآن أفضل من التَّسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار . اهـ .

يعني لما في الحديث : « وفَضْلُ كَلامِ اللهِ عَلىٰ سَائِرِ الكَلامِ ، كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ »(٢) .

---

(١) رواه الترمذي وغيره .

(٢) رواه الترمذي وقال : حديث غريب .

ومنها : أنَّ القارىءَ يُلْبِسُ اللهُ وَالديهِ تاجاً يوم القيامة . روى أبو داود عن سهل بن معاذ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ وَالِدَاه تَاجاً يَوْمَ الْقِيامَةِ ، ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيا لَوْ كَانَتْ فِيكم ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ » .

ومنها : أنَّ الماهر بالقرآن مع السَفرةِ الكِرام البَررة . عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فيه وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ ، لَهُ أَجْرَانِ »[1] .

يعني : أنَّ القارىء الذي يَقرأُ بدون تَلعثُمٍ ومشقةٍ ، هو مع السَّفَرَةِ السابقين ، والذي يقرأ بكُلْفَةٍ ومَشقةٍ ، فله أجران .

ومنها : أنَّ القارىء في الدُّنيا لا يَزالُ يترقّىٰ في المنازل يوم القيامة . روىٰ الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُقَالُ لصاحِبِ الْقُرْآنِ : اِقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَتكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا » .

ومنها : أنَّ القارىء لا يَهولهُ الفَزعُ الأكبر يوم القيامة . روىٰ الطبراني بإسنادٍ لا بأس به ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثَلاثَةٌ لا يَهُوْلُهُم الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَلا يَنَالُهُم الْحِسَابُ هُمْ عَلَىٰ كثيبٍ مِنَ الْمِسْكِ حَتّى يُفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلائِقِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالىٰ وأَمَّ به قَوْماً وَهُمْ بِهِ رَاضُوْنَ ، وَدَاعٍ ـ أي مُؤَذِّنٌ ـ يَدْعُوْ إِلَىٰ الصَّلَوَاتِ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ الله ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبّهِ وَفِيْمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَالِيْه » .

---

(١) متفق عليه .

ومنها : أَهلُ القرآن هُم أهلُ الله تعالى . عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ للهِ أَهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ . قَالُوا : مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ : أَهْلُ الْقُرآنِ ، هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ » .

ومنها : أنَّ القرآن مَأدبةُ الله تعالى ، فمن دَخلهُ فهو آمن . عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « اقْرَؤُوا الْقُرآنَ فإنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُ قَلْباً وَعَى الْقُرآنَ ، وإنّ هٰذَا الْقُرآنَ مَأْدُبَةُ الله ، فَمَنْ دَخَل فِيْهِ فهو آمِنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ الْقُرآنَ فَلْيُبْشِرْ »[١] ـ أي فليستبشر .

وعنه رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إنَّ هٰذَا القرآنَ مَأْدُبَةُ الله فَاقبَلُوا مَأْدُبَته مَا اسْتَطَعْتُم ، إنّ هٰذَا القرآنَ حَبْلُ الله والنُّورُ الْمُبِينُ والشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمسَّكَ به وَنَجاةٌ لِمن اتَّبعَهُ ، لا يَزِيغُ فَيُستَعتَبَ ولا يَعْوَجُّ فيُقوَّمَ ، ولا تَنْقَضِي عجائبُهُ ولا يَخْلَقُ على كَثرةِ الرّدّ ، اُتْلُوهُ فإنّ الله يَأجُرُكم عَلىٰ تِلاوَتِه كُلَّ حَرفٍ عَشرَ حَسناتٍ . أمَا إنّي لا أَقُولُ : الٓمٓ حَرفٌ ، ولكن أَلِفٌ حَرفٌ ، ولامٌ حَرفٌ ، ومِيمٌ حَرفٌ »[٢] .

ومنها : أنَّ البيتَ الذي يُقرأُ فيه القرآن ، تَحضرهُ الملائكة وَيتَّسعُ على أهله . رَوىٰ الإمام محمد بن نصر المَروزي بإسناده ، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « البَيْتُ إذا قُرِىءَ فيهِ القُرآنُ ، حَضرتْهُ المَلائِكة وتَنكَّبتْ عنه الشَّيَاطِينُ ـ أي تباعَدتْ عنه ـ واتَّسعَ عَلىٰ أهلِه ، وكثُرَ خَيْرُه وقَلَّ شَرُّه . وإنَّ البيتَ إذا لم يُقْرأ فيه القرآنُ ، حضَرتْه الشياطينُ وتنكَّبتْ ـ أي تباعدتْ ـ عنْهُ الملائكةُ وضاقَ على أهلِه ، وقَلّ خَيْرُه وكَثُر شَرُّهُ » .

قال : وفي الباب عن أبي هريرة مَوقوفاً ، وعن ابن سيرين . اهـ وأثرُ أبي هريرة رواه الدارمي .

(١) رَواه الدارمي .

(٢) رواه الحاكم وصحّحه الدارمي .

ومنها : أنَّ تلاوة القرآن جَلاءُ القلوب . رُويَ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ هذه القُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَديدُ إذا أَصَابَه الماءُ ، قيل : يا رسول الله ، وما جَلاؤُها؟ قال : كَثْرَةُ ذِكْرِ الْموتِ ، وتِلاوةُ القرآن »[١] .

ومنها : مَن أحبَّ القرآن فقد أَحبَّهُ الله ورسوله ﷺ . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « مَنْ أَحَبَّ أن يُحِبَّه الله ورَسوله ، فليَنْظُرْ ، فإنْ كانَ يُحِبُّ القرآنَ ، فهو يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَه »[٢] .

ومنها : أنَّ القرآن هو الذكر الحكيم . وَرُويَ عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال : أما إنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « أَمَا إنّها ستكُونُ فِتنةٌ . قلتُ : فما المَخْرَجُ منها يا رسولَ الله؟ فقال : كتابُ الله تعالى ، فيه نبأُ ما قبْلَكم وخَبرُ ما بَعْدَكم ، وحُكْمُ مَا بَيْنَكُم . هو الفَصْلُ لَيْسَ بالهَزْل ، مَن تَرَكَهُ من جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله تعالى ، ومن ابتَغىٰ الهُدىٰ في غيره أَضَلّهُ الله تعالى ، وهو حبْلُ اللهِ المَتِيْنُ وهو الذِّكْرُ الحَكيمُ ، وهو الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ ، وهو الذي لا تَزِيغُ به الأَهْوَاءُ ولا تَلْتَبِسُ به الأَلْسِنَةُ ، ولا يشبع منه العلماء ولا يَخلُقُ على كَثْرةِ الرَّدِّ ولا تَنْقَضِي عَجَائِبُه ، وهو الذي لم تَنْتَهِ الجنُّ إذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قالوا : إنَّا سَمِعْنا قرآناً عَجَباً يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فآمَنَّا بهِ . مَنْ قالَ به صَدَق ، ومن عَمِل به أُجِرَ ، ومن حَكَم به عَدَل ، ومَن دعا إليه هُدِيَ إلى صِراطٍ مستقيم »[٣] .

ومنها : أن المواظبة على متابعة الختمات أحب الأعمال إلى الله تعالى : روى الترمذيُّ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رَجلٌ :

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » .

(٢) رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٣) رواه الترمذي والدارمي وفي السند مقال .

يا رسولَ الله ، أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله تعالى؟ ، فقال : الحَالُّ المُرْتَحِل . قال : وما الحَالُّ المُرْتَحِل؟ قال : الَّذي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ القُرآنِ إلى آخِره كلَّما حَلَّ ٱرْتَحلَ » ، أي كلما خَتَم خَتْمَةً ، شرعَ في غيرِها . ولذلك يُستحسَنُ إذا ختمتَ ختمةً أن تُتبعَها بالفاتحة وفاتحة سورة البقرة إلى قوله تعالى : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] .

ومنها : أنَّ القرآن يَشفعُ لقارئه . عن أبي أُمامة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « اِقْرَؤُوا القرآن ، فإنّه يأتي يومَ القيامةِ شفيعاً لأَصحَابِه »(١) .

وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « القُرآنُ شافِعٌ مُشَفَّع ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ من جعَلهُ أمامه قادَهُ إلى الجنّة ، ومن جعَله خَلْفَ ظهره ساقَهُ إلىٰ النارِ »(٢) .

وشَفاعَةُ القرآن قد تكون بمغفرةِ الذُّنوب ، وقد تَكون برفعِ الدَّرجات والتَّحليةِ بالكمالات .

فالأَوَّلُ : يَدلُّ عليه ما رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « إنّ سُورةً من القرآن ثلاثون آيةً شَفَعَتْ لرجلٍ حتى غفرَ الله لهُ ، وهي ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك : ١] » .

والثاني : يَدُلُّ عليه مَا رواهُ الترمذي وحَسّنَهُ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « يجيءُ صاحِبُ القرآن يومَ القيامة فيقولُ القُرآنُ : يا رَبِّ حَلِّهِ ، فيُلْبَسُ تَاجَ الكَرامةِ ثم يَقولُ : يا ربِّ زِدْهُ ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكرَامةِ . ثم يقولُ : يا ربِّ ٱرْضَ عنهُ ، فَيَرْضىٰ عَنه . فيقال له : اقرأ وَٱرْقَ ويَزْدَادُ بكلِّ آية حسَنةً » .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال الصِّيامُ : رَبِّ إنّي منَعتُهُ الطعامَ والشرابَ بالنَّهارِ فَشَفِّعْنِي ، ويقولُ القرآنُ : ربِّ إني منَعْتُهُ النَّوْمَ بالليلِ فشَفِّعْنِي فيهِ فَيُشَفَّعان »(١) .

ومنها : أنَّ قراءة القرآن تُطَيِّب رائحةَ القارىء .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَثَلُ المؤمِنِ الذي يَقرَأُ القُرآن ، مَثَلُ الأُتْرُجَّة رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها طَيِّبٌ . ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يَقْرأ القرآنَ ، مثَلُ التَّمرةِ لا رِيحَ لَها وطَعْمُها حُلْوٌ . ومَثَلُ المنافِقِ الذي يَقرأُ القُرآنَ ، مثَلُ الرَّيْحَانةِ ريحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها مُرٌّ . ومَثَلُ المُنافِقِ الذي لا يقرأ القُرآنَ ، كمثَلِ الحَنْظَلةِ لَيْسَ لها رِيحٌ وطَعْمُها مُرٌّ »(٢) .

والأُتْرُجَّةُ : ثمرةٌ جَامعةٌ لِطيب الطَّعم والرائحةِ وَحُسنِ اللون .

ومنها : فَضلُ القِراءةِ في الصَّلاة على غيرها . رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال : « قراءَةُ القرآنِ في الصلاةِ ، أفضَلُ من قِراءةِ القرآنِ في غيْرِ الصلاةِ ، وَقِراءَةُ القُرآن في غير الصَّلاة ، أفضَلُ من التَّسْبيحِ والتَّكْبِيرِ ، والتَّسْبيحُ أفضَلُ مِنَ الصدقة ـ أي النافِلةِ ـ ، والصَّدقةُ أفضَلُ من الصَّوم ـ أي النفلِ ـ والصَّوْمُ جُنَّة »(٣) .

ومنها : مُضاعفَةُ القِراءة في المُصحف على غيرها . رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : « قِراءةُ الرَّجُل في غيرِ المُصْحَف ألفُ درَجةٍ ، وقراءتُه في المُصْحَفِ تُضَعَّفُ علىٰ ذٰلك إلى ألفَيْ درَجةٍ »(٤) .

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم .

(٣) رواه البيهقي في « الشعب » على ضعف في إسناده .

(٤) رواه الطبراني والبيهقي على ضعف في سنده .

ورَوىٰ ابن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دخل البَيْتَ ، نَشَر المصحفَ فَقَرأ فيه .

وَروىٰ الإمام أحمد في « الزهد » عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : ما أُحِبّ أن يأتي عَليَّ يومٌ ولا ليلةٌ إلاّ أَنْظُرُ في كتابِ الله تعالى - يعني القراءةَ في المصحف - .

وَروى ابن سعد أنه قيل لنافع : ما كان يَصْنع ابن عمر في منزله؟ فقال : لا تُطِيقُونَهُ ، الوضُوءُ لكلّ صلاةٍ ، والمصْحفُ فيما بينهما .

قال الإمام النووي : قراءةُ القرآن في المصحف أَفضلُ من القراءة عن ظهر قلب ، لأنَّ النظر في المصحف عِبادةٌ مَطلوبةٌ ، فتجتمعُ القِراءةُ والنظر . هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا ، وأبو حامد الغزالي ، وجماعاتٌ من السلف .

ثُمّ بَيّن الإمام النووي أنه لو قيل بالتفصيل ، لكان القَولُ حَسناً ، وذلك أنه يختلفُ باختلافِ الأشخاص ، فأيّة القِراءتين أقربُ إلى الخشوع والتدبُّر ، فهي أفضل . قال : والظاهِرُ أن كلامَ السلف وفعلَهم ، مَحمولٌ على هذا التفصيل .

وأخرج البيهقي بسندٍ حَسنٍ عن ابن مسعود أنه قال : أدِيمُوا النظر في المصحف .

ومنها : أنَّ القارىء يُقَدَّمُ على غيره شَرعاً .

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « يَؤُمُّ القومَ أَقرَؤُهم لِكتابِ الله تعالى »[1] .

---

(١) رواه مسلم.

وَروىٰ البخاري وغيره أنَّ النبي ﷺ كان جَمَعَ بينِ الرَّجُلَين من قَتْلىٰ أُحُد ، ثُمّ يقول : « أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخذاً للقرآنِ؟ » . فإنْ أُشِيرَ إلىٰ أَحَدِهما ، قَدَّمهُ في اللحد .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان القُرّاءُ أصحابَ مجلسِ عمر رضي الله عنه ومشاورتِه ، كهُولاً كانوا أو شُبَّاناً .

ومنها : إكرام أهل القرآن من تعظيم شعائر الله تعالى ، ومن إجلاله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] . استدلّ الإمام النووي رضي الله عنه بهذه الآية على وُجوبِ إكرام أهل القرآن ، لأنهم من شعائر الله تعالى ، كما يَجبُ تَعظيم العلماء الذين هُم حَملةُ دين الله تعالى وشعائره ، ولا يجوز إيذاؤُهم .

وقد نَقل الإمام النووي عن الإمامين الكبيرين أبي حنيفة والشافعي رضي الله تعالى عنهما أنهما قالا : إن لم يَكُن العلماء أولياء الله تعالى ، فليس لله تعالى وَليّ .

كما نَقلَ أيضاً عن الحافظ ابن عساكر أنه قال : ٱعلم يا أخي وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته وجعلنا ممّن يخشاه ويتقيه حَقّ تُقاته : أنَّ لُحوم العلماء مَسمومةٌ ، وعَادةُ الله تعالى في هَتك أستار مُنتَقِصيهم مَعلومةٌ ، وأنَّ من أطلق لسانَهُ في العلماء بالثَّلب ، ٱبتلاهُ الله تعالى قبل موته بموت القلب ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ مِنْ إجْلالِ الله تعالى ، إكرامَ ذي الشَّيْبةِ المُسْلِم ، وحامِلِ القرآن غيرِ الغَالي فيه والجافي عنه ، وإكرامَ ذِي السُّلْطان المُقْسِط »[1] .

---

(١) رواه أبو داود.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « أمرَنا رسول الله ﷺ أن نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنازِلَهم »(١) .

ومنها : فَضيلةُ استظهارِ القرآن الكريم ، وهي مِن أعظم المِنن الإلهيّة التي خَصّ الله تعالى بها هذه الأُمّة المحمّدية دون سائر الأمم ، فقد جعل قُلوب هٰذه الأُمّة أوعيةً لكلامه ، وَصُدورَها مَصاحِفَ لحفظ آياته ، لا يَغسلُهُ من قلوبهم تيّار الماء ولا يَمحوهُ من صُدورهم كَيد الأعداء .

قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩] .

وفي « صحيح مسلم » عن عياض رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « إنّ ربّي أَمَرَني أن أُعَلِّمَكم ما جَهِلْتُمْ مما عَلَّمني يَوْمي هٰذا ؛ كُلُّ مالٍ نَحَلْتُه ـ أعطَيْتُهُ ـ عبداً حلالٌ . وإنّي خَلَقْتُ عبادِي حُنَفاءَ كلَّهم ـ أي على الملّةِ الحَنيفيَّةِ ـ وإنهم أتَتْهُم الشياطِينُ فَاجْتالَتْهم عن دِينهم وحَرّمَتْ علَيْهِمْ ما أحْلَلْتُ لهم ، وأمَرَتْهُم أن يُشرِكوا بي ما لم أُنزِلْ بِه سُلطَاناً ، وإنَّ الله تعالى نَظر إلىٰ أهل الأرضِ فمقَتَهم عَرَبَهُمْ وعَجَمهُم ، إلاَّ بَقايا من أهْلِ الكِتاب وقال : إنما بَعثْتُكَ لأَبْتَلِيَك وأَبْتَلِيَ بِكَ ، وأنزَلْتُ عليك كتاباً لا يَغْسِلهُ الماءُ تَقرؤُهُ نائماً ويَقْظَانَ » الحديث .

وَرُويَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال : « مَنْ قَرأ القُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ فَأَحَلَّ حَلالَهُ وَحَرَّمَ حَرامَهُ ، أَدْخَلَهُ الله به الجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ في عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِه ، كُلُّهُمْ قد وَجَبَتْ لَهُمُ النار »(٢) .

وَرُويَ عنه ﷺ : « مَنْ أعطَاهُ الله تعالى حِفْظَ كتابِه فظَنَّ أنَّ أحَداً أُعْطِيَ

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه الترمذي .

أفضَلَ ممّا أُعْطِيَ ، فقد غَلط » ـ وفي رواية ـ : « فقد صَغّرَ أعظَمَ النِّعَم »(١) .

وفي « مسند الفردوس » عن عليٍّ رضي الله عنه مرفوعاً : « إِنَّ حَمَلَةَ الْقُرآن في ظِلِّ الله يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلُّه ، مع أنبيائِه وأصْفيائه » الحديث .

قال في « شرح المُنية » : إنَّ حِفظ ما تجوزُ به الصلاة فرضُ عَينٍ على كُلّ مُكلَّفٍ ، وَحفظُ فَاتحة الكتاب وَسُورةٍ واجبٌ ، وَحفظُ سَائر القرآن فَرضُ كفايةٍ وَسُنَّةُ عينٍ أفضل من صلاة النفل اهـ .

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أن يفرضَ لحفّاظ القرآن في البصرة ما يَفي بحاجتهم .

ومنها : أنَّ أهل القرآن ممّن يُعلِّم أو يَتعلَّم القرآن هم خَيرُ الناس . عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » وفي رواية : « إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « تَعَلَّمُوا القرآنَ واقْرَؤُوهُ فإنّ مثَل القرآن لِمَنْ تعلَّمهُ فقرأهُ وقَامَ به ـ أي في اللّيل ـ كمثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوّ مِسْكاً يَفُوحُ رِيحُه في كلّ مكَانٍ . ومَثَلُ مَنْ تعلَّمه فرقَد وهُو في جَوْفِه ، كمثَلِ جِرَابٍ أُوكيَ عَلىٰ مِسْكٍ ـ أي مُلىءَ مِسْكاً وَرُبط عليه ـ »(٣) .

ومنها : أنَّ من عَلّمَ وَلدهُ القرآن فقد حَاز خيراً عظيماً لا يُساويه خَير ، ونَال أجراً كريماً لا يُوازيه أجر .

---

(١) رواه البيهقي والبخاري في تاريخه .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه الترمذي وغيره .

عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أَدِّبوا أَوْلادَكم عَلىٰ ثَلاثِ خِصالٍ : حُبِّ نَبِيِّكُمْ ، وَحُبِّ أَهْلِ بيْتِه وقِراءةِ القرآن ، فإنّ حَملَةَ القُرْآنِ ـ حَفَظَتَه ـ في ظِلِّ اللهِ يوم لا ظِلّ إلاّ ظِلُّه مع أنبيائِه وأَصْفِيائِه »[1] .

وَرُوِيَ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من عَلَّمَ ابْنَه القُرآنَ نَظَراً ـ أي في المصحف ـ غُفِر له ما تقدَّم مِنْ ذنبِه وما تأَخَّرَ ، ومَنْ عَلَّمه إيّاهُ ظاهِراً ـ أي عن ظَهْرِ قَلْبِه ـ بعَثَهُ الله يوْمَ القِيامةِ على صُورةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ، ويقال لابنِه : اقْرأ ، فكُلَّما قَرأ آيةً رَفَعَ الله عزَّ وجلّ الأَبَ بِهَا دَرَجةً ، حَتّى يَنْتَهِيَ إلى آخِرِ ما مَعَه من القُرْآنِ »[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال : « ما مِنْ رَجُلٍ يُعَلِّمُ وَلَدَه القُرْآنَ في الدُّنيا إلاّ تُوِّجَ أبُوهُ يوم القيامة بتَاجٍ في الجَنَّة ، يَعْرِفُه به أَهْلُ الجَنّة بتَعْلِيمِ ولدِه القُرْآنَ في الدُّنيا »[3] .

عن بريدة رضي الله عنه قال : كنتُ جَالساً عند النبي ﷺ فسمعتُه يقول : « تعلَّمُوا البقرةَ فإنَّ أخذَها بَرَكَةٌ وتَرْكَهَا حَسْرَةٌ ولا يَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ » ثم سكتَ ساعةً ثُم قال : تَعَلَّمُوا البقرة وآلَ عِمْرانَ فإنهما الزَّهْراوانِ ، يُظِلاّن صاحِبَهُما يَوْمَ القِيامةِ كأنَّهما غمامَتان أو غَيايَتَان أَوْ فِرقَانِ من طَيْرٍ صَوافَّ ، وإن القُرْآنَ يَلْقَى صاحِبَه يومَ القيامَةِ حين يَنْشَقّ عنه قَبْرُهُ كالرَّجُل الشَّاحِبِ فيقولُ : هَلْ تعرِفُني ؟ فيقول : ما أعْرِفُكَ ، فيقول : أنا صاحِبُكَ القرآنُ الذي أظمَأْتُكَ في الهَوَاجِرِ وأسْهَرْتُ لَيْلَك ، وإنَّ كُلَّ تاجرٍ من وراءِ تِجارتِه ـ أي يَبتغِي رِبْحَها ـ وإنَّكَ اليوم من وَراءِ كُلِّ

---

(١) رواه الديلمي وابن النجار على ضعف في سنده .

(٢) رواه الطبراني قال الهيثمي : وفيه من لم أعرفه .

(٣) رواه الطبراني على ضعف فيه .

تجارةٍ أعظَمَ رِبحاً . فيُعْطىٰ ـ أي صاحب القرآن ـ المُلْكَ بيَمينه والخُلْدَ بشمالِه ، ويُوضَعُ على رأسِه تَاجُ الْوَقَارِ ويُكْسَى والِداه حُلَّتَيْنِ لا تَقُوم لَهُما ـ أي لا تُقَدَّرُ بِهما ـ الدُّنيا ، فيقولان : بِمَ كُسِيْنا هٰذا؟ فيقال : بأخْذِ وَلدِكُما القرآن ـ وفي رواية الطبراني ـ بتعليم وَلدِكُما القُرآن ، ثم يُقال ـ أي للقارىء ـ : ٱقْرَأ وٱصْعَدْ في دَرَجِ الجَنَّةِ وغُرَفِها ، فهو في صُعودٍ ما دامَ يَقرأ هَذًّا كان أو تَرْتيلاً »[1] .

ومنها : نزول السكينة والملائكة لقراءة القرآن ، سيما في الليل .

فَعن أُسَيْد بن حُضير قال : بينما هو يَقرأُ من الليل سورة البقرة وفَرسُه مَربُوطةٌ عنده ، إذْ جَالت الفرسُ ـ أي اضْطَربت ـ فسكتَ فسكَنَتْ ، فقرأ فجالَتْ ، فسَكتَ فسكَنتْ الفَرسُ ، ثم قرأ فجالَتْ الفرس . وكان ابنُه يَحيىٰ قريباً منها فانصرفَ فأَخَّرَه ، ثم رَفع رأسَه إلى السّماء فإذَا مِثل الظُلَّة فِيها أمْثَالُ المصَابِيح . فَلمَّا أصْبحَ حَدّثَ النبي ﷺ فقالَ : « وتَدْرِي مَا ذَاك » ؟ قال : لا . قال ﷺ : « تِلك المَلائكةُ دَنَتْ لِصَوْتِك ، ولو قـرأتَ لأصبحَـت يَنظُـر النّـاسُ إليهـا لا تَتَـوارَى مِنْهـم ـ أي لا تَخْتَفـي مِنهم ـ »[2] .

ومنها : أنّ الدُّعاءَ يستجابُ عند خَتم القُرآن . فقد رَوى الطبراني مرفوعاً : « من خَتَمَ القُرْآنَ ، فله دَعْوَةٌ مُسْتَجابةٌ » .

وفي « الشعب » من حديث أنس مرفوعاً : « من قَرأ القُرآنَ وحَمِدَ الربَّ وصَلّى على النبي ﷺ واستَغْفَر رَبَّه ، فقَدْ طَلَبَ الخَيْرَ مَكانَه » .

ومنها : انتصارُ القرآن للعامل به ، ومُجادلته عنه ، فَهو له حُجّةٌ .

---

(١) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . وروى ابن ماجه طرفاً منه . قاله الهيثمي .
(٢) رواه البخاري .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يُؤْتَى برجُلٍ يومَ القيامة ويُمثَّلُ له القُرآن ، قد كانَ يُضَيِّع فرائِضَه ويتعَدّى حُدُوْدَه ، ويُخالِفُ طاعَتَه ويَركبُ معَاصِيَه فيقول : أيْ ربِّ ، حمَّلْتَه آياتي فبئسَ حَامِلي ، تعَدَّى حُدودِي وضَيَّع فرائضي ، وتَركَ طَاعَتِي وَرَكِبَ مَعْصِيتِي ، فما يزال يَقْذِف عليه بالحُجَج حتى يُقال : فشَأنك بِه ، فيأخذ بيده فَما يُفَارِقُه حتى يَكُبَّهُ على مَنْخَرِهِ ـ أي عَلى وجهِه ـ في النّار . وَيُؤْتَى بالرَّجُل قد كانَ يَحفَظ حُدُودَهُ ـ أي حدُودَ القرآنِ ـ وَيَعْمَلُ بفرَائضِه وَيَعْمَلُ بطاعَتِه ، ويَجْتَنِبُ معْصِيَته فيَصِير خَصْماً دُونَه فيقول : أيْ ربِّ ، حَمّلتَ آياتي خَيْرَ حَامِلٍ ، اتَّقى حُدُودِي وعَمِلَ بفَرائضِي واتَّبعَ طاعَتِي واجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي ، فلا يَزالُ يَقْذِف له بالحُجَج حتّى يُقالَ له : فشَأْنَكَ به ، فيأخُذُ بيَدِه فما يَزالُ به حتى يَكْسُوَهُ حُلَّة الإسْتَبرق ، وَيَضَعَ عليه تاجَ المُلْكِ ، وَيَسْقِيَه بكَأْسِ المُلْك »[1] .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهورُ شَطْرُ الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تَملأن أو تملأ ما بيْن السماءِ والأرض ، والصَّلاةُ نُورٌ ، والصَّدقةُ بُرهانٌ ، والصّبر ضِياءٌ ، والقرآنُ حُجّةٌ لك أو عليك ، كُلُّ الناس يَغْدُو ، فبائِعٌ نَفْسَه فَمُعْتِقُها ، أو مُوْبِقُها »[2] .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثَةٌ تحتَ العرشِ يومَ القيامة : القُرآن له ظهْرٌ وبَطنٌ يُحاجُّ العِبادَ ، والأَمَانَةُ ،

---

(١) قال في « مجمع الزوائد » رواه البزار وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله ثقات اهـ ورواه ابن أبي شيبة وابن الضُّريس كما في [منتخب الكنز] .

(٢) رواه مسلم .

والـرّحِـمُ تُنَـادِي : أَلا مَـنْ وَصَلَنِـي وَصَلَـه الله تعـالـى ، ومـن قطعَنـي قطَعَهُ الله »[1] .

فإذا كان يوم القيامة ؛ وقف القرآن موقفَ الاحتجاج ، فإمّا أن يحتجَّ للعبد وذلك إذا عمل به ، وإمّا أن يحتجَّ على العبد وذلك إذا خَالف ما جاء به القرآن .

قال أبو موسى الأشعري : إنَّ هٰذا القرآن كائِنٌ لكم أجراً ، وكَائِنٌ عليكم وِزْراً ، فاتَّبِعوا القرآن ولا يتَّبِعنكُم القرآن ، مَن اتَّبع القرآن ـ أي عَمِل به ـ هَبط به على رياضِ الجنة ، ومن اتَّبعه القرآنُ ـ بأن لم يَعْمل به ـ زُجَّ في قَفاهُ فقذَفه في النار » .

* * *

(١) رواه البغوي في « شرح السنة » ورواه الحكيم الترمذي ومحمد بن نصر .

شَرفُ الذَّاكِرينَ من هذهِ الأُمّةِ

ومن الشَّرف الذي ٱدّخره الله لهذه الأُمّة : ما أعدّهُ الله تعالى للذاكرين من الفَضل والثواب بذكرهم ، وقد جَمعتُ جُملةً صالحةً من ذلك ، نذكرها إن شاء الله فيما يأتي :

الأول : أنَّ العبد يَستفيدُ بالذِّكر خُصوصيّةً لا أشرف منها عنده ولا أعزَّ منها لديه ، وهي مَعيَّةُ الحقِّ سبحانه وتعالى ، وَذِكرهُ له في الملأ الأعلى ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : أنا عِندَ ظَنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكَرَني ، فإنْ ذكَرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي ، وإن ذَكرني في مَلأ ذكرتُه في مَلإٍ خيرٍ منهم ، وإنْ تقرَّب إليَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إليه ذراعاً ، وإنْ تَقَرَّبَ إليَّ ذراعاً تقربتُ إليه باعاً ، وإن أتاني يمْشي أتيتُه هَرْوَلَةً »[1] .

وَهو يَستفيدُ هذا المقام بمجرّد إِقباله وٱشتغاله بالذِّكر ، يقول الله تعالى : « أنا مع عبدي إذا هو ذَكرني وتَحرَّكَت بي شَفَتاه »[2] .

والذِّكرُ أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى ، قال معاذ بن جبل : إنَّ آخر كلامٍ فارقتُ عليه رسول الله ﷺ أنْ قلتُ : أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٢) رواه ابن ماجه وابن حبان .

قال : « أن تموت ولسانُك رَطْبٌ مِنْ ذكْرِ اللهِ »[1] .

وَالذِّكرُ خيرُ أعمالنا وأزكاها عند ربنا ، وأقوى الأسباب لرفع درجاتنا ، وَخيرٌ من قتال الأعداء بلا إخلاص ، يقول رسول الله ﷺ : « أَلا أنبّئُكُم بخير أعمالِكم وأزكاها عنْدَ مليكِكُمْ وأرفعِها في درجاتِكم وخيرٍ من إنفاقِ الذهبِ والْوَرِقِ ، وخيرٍ لكم من أن تلْقَوْا عَدُوَّكم فتضرِبُوا أعناقَهم ويضرِبُوا أعْناقَكم؟ قالوا : بلى . قال : ذِكرُ الله ، قال معاذ بن جبل : ما شَيْءٌ أَنْجىٰ مِن عذابِ الله مِنْ ذِكر الله »[2] .

وَالذِّكرُ يَصقُلُ القُلوب ويجلوهَا ويُنْجي من عذاب الله . قال ﷺ : « إنّ لكُلِّ شَيءٍ صَقَالةً ، وإنّ صَقالةَ القلوبِ ذكْرُ الله ، وما من شيءٍ أنجىٰ من عذاب الله مِنْ ذكرِ اللهِ . قالوا : ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال : ولو أن يضربَ بسيفِه حتى ينقطِعَ »[3] .

وقال ﷺ : « ما عمِلَ آدميٌّ عملاً أنجىٰ له من العذابِ مِنْ ذكرِ الله تعالى ، قيل : ولا الجِهادُ في سبيل الله؟ قال : ولا الجهادُ في سبيلِ الله ، إلاّ أن يَضْرِب بسيفِه حتّى يَنْقَطِعَ »[4] .

وَالذَّاكِرُ هو أفضلُ العِباد درجةً وأعلىٰ رُتبةً ، فقد سُئل رسول الله ﷺ : « أيُّ العبادِ أفْضَلُ درجةً عند الله يومَ القيامة؟ قال : الذّاكِرُون الله كثيراً ، قال : قُلتُ يا رسول الله ، ومن الغازي في سبيلِ الله؟ قال : لو ضَربَ بسيفه في الكفار والمشركين حتى يَنكَسِرَ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ له ، والبزار إلا أنه قال : «أخبِرني بأفضلِ الأعمال وأقربها إلى الله» ورواه أيضاً ابن حبان في « صحيحه » .

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبي الدنيا والترمذي وغيرهم .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي من رواية سعيد بن سنان واللفظ له .

(٤) رواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط » ورجالهما رجال الصحيح .

وَيَخْتَضِبَ دماً ، لَكانَ الذَّاكِرُونَ الله كَثيراً أفضلَ منهُ درجةً » رواه الترمذي وقال : حديث غريب ، ورواه البيهقي مختصراً قال : قيل : « يا رسول الله ، أيُّ الناسِ أعظَمُ درجةً؟ قال : الذاكرون الله » .

وَالذِّكرُ يُهذِّبُ الأخلاق وَيرقِّقُ الطِّباع ، فَيربط على قلب الخائف حتى يُثبِّتَهُ في ميادين الجهاد ، وَيُصلحَ حَال العَاجز عن العبادة حتى يَنشط لِذِكر الله ، وَيُصلح حال البَخيل ، فيصير كريماً محموداً ببركة الذكر .

قال ﷺ : « مَنْ عَجز منكم عن الليلِ أن يُكابِدَه ، وَبَخِلَ بالمال أن يُنْفِقَه ، وَجَبُنَ عن العَدوِّ أن يُجاهِدَه ، فليُكْثِرْ ذكرَ الله »(١) .

وَذِكرُ الله وقايةٌ من وَساوِس الخنّاس ، وَحصنٌ مَتينٌ من الوقوع في المعاصي ؛ فقد جاء في الحديث أنَّ نبينا ﷺ قال : « إنَّ الله أَوحىٰ إلىٰ يَحيىٰ بن زكريا بخمسِ كلماتٍ أن يَعْملَ بِهنّ ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ ، فكأنه أبطأ بهنَّ فأتاه عِيسى فقال : إنّ الله أمَرَك بخمسِ كلماتٍ أن تَعملَ بِهِنَّ وتأمُرَ بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ ، فإمّا أن تخبرهم وإِمّا أن أُخبِرَهم .

فقال : يا أخي ، لا تَفعل فإني أخافُ إن سَبَقْتَنِي بهنّ أن يُخْسَفَ بي أو أُعَذَّبَ .

قال : فَجَمع بني إِسرائيل ببيت المَقْدِس حتى امتلأ المسجدُ وقَعدُوا على الشُّرُفَاتِ ، ثُمّ خطَبَهُم فقال : إنَّ الله أوحىٰ إليَّ بخمس كلمات أن أعملَ بهنَّ وآمر بَني إسرائيل أن يَعْمَلوا بِهنَّ ، أُولاهُنّ : لا تشركوا باللهِ شَيْئاً ، فإنَّ مَثلَ مَنْ أَشْرَكَ بالله ، كَمَثَل رَجُلٍ اشْتَرىٰ عبداً مِنْ خالِص ماله

(١) رواه الطبراني والبزار واللفظ له ، وفي سنده أبو يحيى القتات وبقيته محتجٌ بهم في الصحيح . ورواه البيهقي من طريقه أيضاً .

بذهبٍ أو وَرِقٍ ثم أسكنه داراً فقال : اعْمَل وَارْفَعْ إِليَّ ، فَجَعَلَ يَعمل ويَرْفَع إلىٰ غيرِ سيّده ، فأيُّكم يرضىٰ أن يكونَ عبدُه كذلك ، فإنّ الله خَلَقكم ورَزَقكم فلا تُشرِكوا به شَيْئاً ، وإذا قُمْتُم إلىٰ الصَّلاة فَلا تَلْتَفِتُوا فإن الله يُقبِل بوَجهه إلى وجه عَبْدِه ما لم يَلْتَفِتْ ، وأمَركم بالصّيام ، ومَثَلُ ذلك : كمثَل رجُلٍ في عِصابةٍ معهُ صُرَّةُ مِسْكٍ كُلُّهم يُحِبُّ أن يَجدَ رِيْحَهَا ، وإن الصِّيامَ أطيبُ عند الله من ريح المِسْك ، وأمَركم بالصدقة ، ومَثَل ذلك : كمثَل رجُل أسَرَهُ العَدوُّ فأوْثَقُوا يَدَهُ إلى عُنُقِه وَقَرَّبُوه ليَضرِبوا عُنُقَه ، فَجَعَلَ يقولُ : هل لَكُم أن أفديَ نفسي مِنْكُمْ . وجَعَل يُعطِي القليلَ والكثيرَ حتى فَدَىٰ نَفْسَه . وأمَركم بذكر الله كثيراً ، ومَثَل ذلك : كمثَل رجل طَلَبَه العَدُوُّ سِراعاً في أثَره حتى أتىٰ حِصْناً حصِيناً فأحْرَز نَفْسَه فيه ، وكذلك العبدُ لا يَنْجو من الشَّيْطانِ إلاّ بذكر الله »[1] الحديث .

وقال ﷺ : « إنَّ الشَّيْطانَ وَاضِعٌ خَطْمَه علىٰ قلْبِ ابن آدم فإنْ ذَكَر الله خَنَس ، وإنْ نَسِي الْتَقم قَلْبَه »[2] .

وَالذَّاكِرُ سَابِقٌ لغيره ، يأتي يوم القيامة مُعزَّزاً مُبَجَّلاً . قال رسول الله ﷺ : « سبق المُفَرِّدُون . قالوا : وما المفرِّدون يا رسولَ الله؟ قال : الذاكِرُونَ الله كثيراً »[3] .

وَروىٰ الترمذي ولفظه : يا رسول الله ، وما المفرّدون قال : « المُستَهْتَرون بذِكر الله ، يَضَعُ الذّكرُ عنهم أثقالَهم ، فيأتون الله يوم القيامةِ خِفَافاً » .

وَذِكرُ الله أَحدُ الأربعة التي تَجلبُ سعادة الدنيا والآخرة ، وتعطي

---

(١) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح .
(٢) رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي .
(٣) رواه مسلم .

الذَّاكر الثِّقة التّامة ، وَتُحلِّيه بالاستقامة وَحُبِّ الخير والسداد في عمله ، والصَّواب في تفكيره .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال : « أربع من أُعطِيَهُنَّ فقد أُعطِيَ خَيري الدنيا والآخرة : قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً على البَلاء صَابراً ، وزوجةً لا تَبغِيه حَوْبا في نفسها وماله »(١) .

وَذِكرُ الله يُوصل إلى الدَّرجات السَّامية في الجنة ، وَيرفَعُ الذَّاكِر إِلى أعلى علِّيِّين ، وهو في الفُرُش المُمهّدة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « لَيذكُرَنّ الله أقوامٌ في الدنيا على الفُرُش المُمَهَّدةِ ، يُدخِلُهم الدرجاتِ العُلىٰ »(٢) .

وَذِكرُ الله يُنير القَلب وَيُحييه وَيُزيل رَانه ، ويهديه إلى الحق ويجعل الذَّاكِرَ حياً ، وغير الذَّاكر قلبه خَربٌ ومُظلمٌ وهو مَيت .

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « مَثَل الذي يَذكر ربَّه والذي لا يذكر الله ، مَثل الحيّ والميت »(٣) .

وَالذاكرون يتباهىٰ الله بهم أمام السَّفرة البَررة ، فيسألهم وهو أعلم بهم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله ملائكةً يطوفون في الطُّرق يَلْتَمسون أهل الذِّكر ، فإذا وجدوا قوماً يَذْكرون الله ، تنادوا : هَلُمُّوا إلىٰ حاجتكم ، فَيَحُفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . قال : فيسألهم ربُّهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادي؟ قال : يقولون : يُسَبِّحونَك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجّدونك ، قال :

---

(١) رواه الطبراني بإسناد جيد .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » من طريق درّاج عن أبي الهيثم .

(٣) رواه البخاري ومسلم إلا أنه قال : « مثَل البيت الذي يُذكر الله فيه » .

فيقول : هل رَأَوْني؟ قال : فيقولون : لا والله يا ربِّ ، ما رَأَوْك قال : فيقول : كيف لو رَأَوْني؟ قال : يقولون : لو رَأَوْك كانوا أشدَّ لك عبادةً ، وأشدّ لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً قال : فيقول : فما يَسألوني؟ قال : يقولون : يَسألونَك الجنةَ قال : فيقول : وهل رأَوْها؟ قال : يقولون : لا والله يا ربّ ما رأوْها قال : فيقول : فكيف لو رَأَوْهَا؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً ، وأشدَّ لها طلباً ، وأعظم فيها رغبةً قال : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُون؟ قال : يَتعوّذون من النار قال : فيقول : وهل رأوها؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها ، قال : فيقول : فكيف لو رأوها؟ قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً ، وأَشدَّ لها مخافةً قال فيقول : أشهدكم أني قد غَفرتُ لهم . قال : يقول مَلَكٌ من الملائكة : فيهم فُلانٌ ليس منهم ، إنما جَاء لحاجةٍ قال : هُم القوم لا يَشْقىٰ بهم جَليسهم »[1] .

وروى مسلم بلفظ قال : « إنَّ لله تبارك وتعالى ملائكة سَيّارة فُضُلاً يبتغون مَجالس الذكر ، فإذا وجَدوا مجلساً فيه ذكرٌ ، قَعدوا معهم وحَفَّ بَعضُهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرّقوا ، عرجوا وصِعدوا إلى السماء قال : فيسألهم الله عزَّ وجَلّ وهو أعلم بهم ، من أينَ جِئْتُم؟ فيقولون : جئنَا من عند عبادك في الأرض يُسَبِّحونك ويُكبّرونك ويهلّلونكَ ويحمَدونك ويَسْأَلونك قال : فما يسألوني؟ قالوا : يسألونك جنّتك . قال : وهل رأَوا جنّتي؟ قالوا : لا ياربّ . قال : وكيف لو رأَوا جنّتي؟ قالوا : ويستجيرونك ، قال ومِمَّ يستجيروني؟ قالوا : من نارك يا ربّ قال : وهل رأَوا ناري؟ قالوا : لا يا ربّ . قال : فكيف لو رأَوا ناري؟ قالوا : ويستغفرونك . قال :

---

(١) رواه البخاري.

فيقول : قد غَفرتُ لهم وأعطيتهم ما سألوا ، وأجرتهم مما استجاروا ، قال يقولون : ربّ فيهم فُلانٌ عبدٌ خَطَّاء ، إنما مَرّ فجلس معهم ، قال : فيقول : وله غَفَرْتُ ، هم القوم لا يَشْقىٰ بهم جَليسُهم » .

وَالذَّاكِرُونَ يَسعدُ العاصي بصحبتهم ، وَينعمُ الشقيُّ بمحبَّتهم ، ويتجلّىٰ الله على الفَاجر الذي يَوَدُّهم وَيحضُر مجالسهم ، ولو سأل شيئاً من عَرَض الدنيا يُعطاه ، لما جاء في الحديث السابق من قوله تعالى : « هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم » .

وَالذَّاكِرُونَ يَضمنون الغُفران ، ويعتقدون برضا الله جلّ وعلا ،ولا ينصرفون عن الذِّكر إلاَّ إذا امتلأت صحائفهم حسنات ، ويتجلّىٰ الله عليهم بإنعامه ، لما جاء في الحديث السابق : أنّ الله تعالىٰ يقول لملائكته : « أُشهِدكُم أنّي قد غَفَرْتُ لَهُم » .

وَالذَّاكِرُونَ في درجاتٍ سَاميةٍ قَريبةٍ من رَحمةِ الله وإحسانه ، يَوَدُّ النبيون والمجاهدون أن يُدركوها مبالغةً في إرضاءِ الله عز وجل عنهم ، تَتلألأُ وجوههم نوراً ونفوسهم بشراً وسروراً .

عن عمرو بن عَبْسة رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ رجالٌ ليسوا بأنبياءَ ولا شُهداء ، يغشىٰ بياضُ وجوههم نظَر الناظرين ، يغبِطُهم النبيون والشهداء بمَقْعَدِهم وقُرْبِهم من الله عز وجل . قيل : يا رسول الله ، مَن هم؟ قال : هُم جُمَّاعٌ من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله ، فَيَنْتَقُون أطايِبَ الكلام كما ينتقي آكِل التمر أطَايِبَه »[1] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليَبْعَثَنَّ الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ،

---

(١) رواه الطبراني وإسناده مقارب لا بأس به .

يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء قال : فجثا أعرابيٌّ على ركبتيه فقال : يا رسول الله ، حِلِّهُمْ لنا نَعْرِفْهُمْ . قال : هم المتحابُّون في الله ، من قَبَائِلَ شَتّى وبلادٍ شَتَّى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه »[1] .

وَالذَّاكِرُوْنَ تحيط بهم الملائكة وتعمُّهم الرحمة ، ويعلوهم الوَقار والرضوان ، كما قال ﷺ : « لا يقعُدُ قومٌ يذكرون الله ، إلاَّ حفَّتْهُم الملائكةُ وغشِيَتْهُم الرحمةُ ، ونزَلَتْ عليهم السَّكينةُ ، وذَكرهم اللهُ فيمَنْ عنده »[2] .

وَالذَّاكِرُونَ تُشاركهم الملائكة في عبادتهم ، فيجلسون معهم ويفعلون كما يفعلون ، ويقولون كما يقولون ، ثم يصعدون بعملهم ، كما قال ﷺ لمّا مَرّ بعبد الله بن رواحة وهو يُذَكِّرُ أصحابه : « أمَا إنكم المَلأ الذين أمرني الله أن أَصْبِرَ نفسي معكم . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف : ٢٨] ، أما إنه ما جَلس عُدَّتكم إلاَّ جلَس معهم عُدَّتهم من الملائكة ، إن سَبَّحوا الله تعالى سبَّحوه ، وإن حمِدوا الله حمِدُوه ، وإن كَبَّرُوا اللهَ كبَّروه ، ثم يَصْعَدون إلى الربّ جلّ ثناؤه وهو أعلم بهم فيقولون : يا ربنا : عبادُك سبَّحُوك فسبَّحْنا وكَبَّرُوْكَ فكبّرنا ، وحَمِدُوْكَ فحمدنا فيقول ربُّنَا جَلّ وعلا : يا ملائكتي أُشهِدكم أني قد غَفرتُ لهم، فيقولون : فيهم فُلان وفلان الخَطّاء ، فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[3] .

---

(١) رواه الطبراني بإسناد حسن .

(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه .

(٣) رواه الطبراني في « الصغير » .

والذَّاكِرُونَ مجالسهُم هي رياضُ الجنة ، قال ﷺ : « يا أيها الناس إنَّ لله سرايا من الملائكة تحِلُّ وتقفُ على مَجالس الذكر في الأرض ، فارتَعوا في رياض الجنة . قالوا : وأينَ رياضُ الجنة؟ قال : مَجالسُ الذِّكر ، فاغْدُوا أو رُوحوا في ذكر الله ، وَذَكِّرُوهُ أنفسكم ، مَن كان يحبُّ أن يَعلم منزلته عند الله ، فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فإن الله يُنزِلُ العبد منه حيث أنزله من نفسه »[1] .

ومن الشّرف الذي جعله الله للذاكرين : أنَّ الله تعالى يُناديهم يوم القيامة على رُؤوس الأشهاد . قال النبي ﷺ : « يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : سَيعلَمُ أهل الجمع مَن أهلُ الكَرَمِ ، فقيل : ومَنْ أهل الكرم يا رسول الله؟ قال : أهل مجالس الذكر »[2] .

ومن الشّرف الذي جعله الله للذاكرين : أنه لا تدخُل قلوبَهم الحَسرةُ ولا الأسىٰ على أوقاتهم التي ملؤوها بالذكر . لِمَا جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال : « ليس يَتَحَسَّرُ أهْلُ الجنة إلاَّ على ساعةٍ مرَّت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها »[3] .

ومن الشّرف الذي جعله الله للذاكرين : أنهم أهل الشكر . لما جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال : « إنَّ الله يقول : يابن آدم ، إنك إذا ذَكَرتني شكرتني ، وإذا نسيتني كفرتني »[4] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الإسناد .

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في « صحيحه » والبيهقي وغيرهم .

(٣) رواه الطبراني عن شيخه محمد بن إبراهيم الصورى . ورواه البيهقي بأسانيد أحدُها جيد .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » .

ومن الشَّرف الذي جعله الله للذاكرين : أنهم هُم المُجاهدون ، وأنهم هم الصالحون . لما جاء في الحديث أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ فقال : « أيُّ المجاهدين أعظم أجراً؟ قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً . قال : فأيُّ الصالحين أَعظَم أجراً؟ قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً » ، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، كُلُّ ذلك ورسول الله ﷺ يقول : « أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً ، فقال أبو بكر لعمر : يا أبا حفص ، ذهب الذاكرون بكلِّ خير ، فقال رسول الله ﷺ : أجل »(١) .

ومن الشَّرف الذي جعله الله للذاكرين : أنهم هُم الملهمون . لما جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال : « ما من يومٍ وليلة إلاَّ ولله عز وجل فيه صَدَقةٌ يمُنُّ بها على مَنْ يشاء من عبادِه ، وما مَنَّ اللهُ على عبدٍ بأفضلَ من أن يُلْهِمَهُ ذِكْرَه »(٢) .

ومن فَضائل الذَّاكِرينَ المشتغلين بالذكر بلا انقطاع ، ما جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال : مَررتُ ليلة أسري بي برجلٍ مُغيَّبٍ في نُور العرش . قُلت : من هذا ، أهذا ملَك؟ قيل : لا . قُلت : نبيٌّ؟ قيل : لا . قُلت : من هو ؟ قال : هذا رَجلٌ كان في الدنيا لسانُه رَطْبٌ من ذكرِ الله ، وقلبه معلَّقٌ بالمساجد ، ولم يَسْتَسِبَّ لوالديه »(٣) .

ومن شَرف هذه الأُمّة المحمدية : ما جعلهُ الله لها من الفَضل والثَّواب الدُّنيوي والأخروي لمن يأتي بالأذكار والأدعية النبوية .

فمن ذلك : أنَّ من قال حين يُصبح أو يمسي :

« اللهمَّ إني أصبحْتُ أُشهِدك وأُشهِد حَمَلةَ عرشك وملائكتَك وجميعَ

---

(١) رواه أحمد والطبراني .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلاً .

خلقِك أنّك أنت الله لا إله إلا أنتَ وحدَك لا شريكَ لك ، وأنَّ سيدَنا محمّداً عبدُك ورسولُك ، أعتقَ اللهُ رُبُعَهُ من النارِ ، ومن قالها مرّتين ، أعتق الله نصفَه من النارِ ، ومن قالها ثلاثاً ، أعتق الله ثلاثةَ أرباعِه من النار ، ومن قالها أربعاً ، أعتقه اللهُ من النارِ »[1] .

وفي روايةٍ : « من قالها أربعاً غُدوةً وأربعاً عشِيّةً ثم مات ، دخلَ الجنة »[2] .

ومن ذلك : أنَّ من قال ثلاثاً حين يُمسي : « أمْسَينا وأمسىٰ المُلْكُ لله والحمد لله كلُّه ، أعوذ بالله الذي يُمْسِكُ السماءَ أن تقَعَ على الأرضِ إلاَّ بإذنه من شر ما خلَق وذرَأ ومن شر الشيطان وشِرْكِه ، حُفِظ من كُلّ شيطانٍ وكَاهنٍ وَساحرٍ حتى يُصبح ، وإذا قالها حين يُصبح حُفِظ كذلك حتى يُمسي »[3] .

ومن ذلك : أنَّ فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتَين من آل عمران ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران : ١٨ـ١٩] و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٖ ﴾ [آل عمران : ٢٦ـ٢٧] .

هُنَّ معلَّقاتٌ بالعرشِ ما بينهن وبين اللهِ حِجابٌ ، قُلْنَ : يا ربِّ تُهبِطُنا إلى أرضِك وإلى مَن يعْصِيك قال الله تعالى : « إني حَلَفْتُ لا يَقرَؤُكُنَّ أحدٌ

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواها ابن عساكرَ .

(٣) أخرجه ابن السني .

من عبادي دُبرَ كلِّ صلاةٍ إلاَّ جعلتُ الجنّةَ مَأواهُ على ما كان منه ، وإلاَّ أسكَنْتُه حظِيرةَ القُدْسِ ، وإلاَّ نظَرْتُ إليه بعيْني المكْنونَةِ كُلَّ يومٍ سَبعين نظرةً ، وإلاَّ قضيْتُ له كلَّ يومٍ سبعين حاجةً أدناها المغْفِرةُ ، وإلاَّ أعَذْتُه من كُلِّ عدوٍّ ونصرتُه عليه »[1] .

ومن ذلك : أنه ما من عبدٍ يقول في صَباحِ كُلِّ يومٍ ، ومساءِ كلِّ ليلةٍ : « بسم الله الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِه شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ » ثَلاثَ مرّاتٍ ، إلاَّ لم يضرّهُ شيءٌ ولم تُصِبهُ فَجْأةُ بلاءٍ[2] .

ومن ذلك : أنَّ من قال حين يُصبحُ ، وحين يمْسي : « أعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التّامّات مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » لم يَضُرَّهُ شَيءٌ[3] .

ومن ذلك : أنَّ فاتحةَ الكتاب وآية الكرسي ، لا يَقرؤُهما عبدٌ في دارٍ ، فتصيبَهم ذلك اليومَ عينُ إنسٍ أو جنٍّ[4] .

ومن ذلك : أنَّ من قال حين يُصبح ، وحين يُمسي ثلاث مرات ، رضيتُ باللهِ رَبّاً وَبالإِسلامِ دِيناً وَبمُحَمَّدٍ نَبِيّاً وَرَسُولاً ، كان حقًّا على اللهِ أن يُرضيَه يومَ القيامة[5] .

ومن ذلك : أنَّ حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيْلُ ، أمانُ كلِّ خائفٍ[6] .

ومن ذلك : أنَّ من قَرأ هذه الآياتِ العشْرَ أول النهار ، لم يَقْرِبْهُ شيطانٌ

---

(١) أخرجه ابن السني .

(٢) أخرجه أبو داود وغيره .

(٣) رواه الطبراني . ورواه الترمذي وقال : « ثلاثاً » وقال : « مَن قالَه وكل به سبعون ألف ملك يصلّون عليه فإن مات مات شهيداً » .

(٤) رواه الديلمي وغيره .

(٥) أخرجه الإمام أحمد وغيره هكذا جمع بينهما الحافظ السيوطي في « الكلم الطيّب » ورواية أبي داود رسولاً فقط .

(٦) أخرجه أبو نعيم .

حتى يُمْسِيَ ، وإن قرأها حين يُمْسي لم يَقْرَبْهُ شيطانٌ حتى يُصبِحَ ، ولا يَرى شيئاً يَكْرَهُه في أهله ومالِه ، وإنْ قرأها على مجنونٍ أفاقَ وهُنَّ : أول سورة البقرة إلى المفلحون ، وآية الكرسي ، والآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة[1] .

ومن ذلك : « أنَّ من قرأ في ليلةٍ هذه الآيات الثلاثَ والثلاثين لم يَضُرَّهُ في تلك الليلة سَبُعٌ ضَارٍ ، ولا لصٌّ طَارِئٌ ، وعُوْفِيَ بنفسِه وأهلِه ومالِه حتى يُصْبِحَ »[2] . وهن : أول سورة البقرة إلى المفلحون ، وآية الكرسي ، وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة .

و : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف : ٥٤] إلى ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

و ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء : ١١٠] إلى آخر سورة الإسراء ،

و ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴾ [الصافات : ١ـ٢] إلى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١] .

و ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ﴾ [الرحمن : ٣٣] إلى ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن : ٣٥] .

و ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ ﴾ [الحشر : ٢١] إلى آخر سورة الحشر .

و ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴾ [الجن : ٣ـ٤] .

---

(١) رواه البيهقي .

(٢) أخرجه ابن النجار .

و ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾

[آل عمران : ٨] .

ومن ذلك : أنَّ من قال : « لا إله إلاّ الله قَبل كُلِّ شيءٍ ، لا إله إلاَّ الله بعد كُلِّ شيء ، لا إله إلاّ الله يبقىٰ ربُّنا ويفنىٰ كُلُّ شيءٍ ، عُوفيَ من الهَمِّ والحَزن »(١) .

ومن ذلك : « أنَّ من قال : أشْهَدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسوله ، وأنَّ عيسىٰ عبدُ الله وابنُ أمتِه ورسولُه وكلمتُه ألْقاها إلى مريم وروحٌ منه ، وأن الجَنّةَ حقٌّ والنارَ حق ، أدْخله اللهُ الجنّةَ على ما كان من عَملٍ من أبوابِ الجنّةِ الثمانيةِ أيّها شاء »(٢) .

ومن ذلك : أنَّ من قال : « سبحانَ الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك أشْهَدُ أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك وأتوب إليك ، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفِرْ لي وتُبْ علَيَّ إنه لا يَغفرُ الذنوبَ إلاَّ أنت ، ثلاث مرات في مجلس ذكر ، كان كالطابَع يُطْبَعُ عليه ، ومن قاله في مجلس لغوٍ ، كانت كفّارةً له »(٣) .

ومن ذلك : أنَّ من قال حين يُصبح : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْكُ وله الحمد يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت بيدِه الخيرُ وهو على كلّ شيء قديرٌ ، عَشْرَ مرات ، كتب الله له بكلِّ واحدةٍ قالها عشر حَسناتٍ ، ومحَا عنه بها عشر سَيِّئات ، ورفعه بها عشرَ درجات ، وكُنَّ له كعِتْقِ عشرِ رقابٍ ، وكُنَّ له مَسْلَحةً من أولِ النهارِ إلى آخره ، ولم يَعملْ

---

(١) أخرجه الطبراني .

(٢) أخرجه الشيخان .

(٣) أخرجه النسائي وغيره .

يومئذٍ عملاً يُقَاوِمهُنَّ ، فإن قالها حين يُمْسِي فكذلك »[1] .

ومن ذلك : أنَّ من قال : « اللهم فاطِرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغيب والشهادةِ إنِّي أعهَدُ إليك في هذه الحياةِ الدنْيا أنّي أشهَدُ أن لا إله إلا أنت وحدَك لا شريك لك وأن محمداً عبدُك ورسولُك ، فإنك إن تَكِلْني إلى نَفْسِي تُقَرِّبْني من الشرِّ وتباعِدْني من الخيرِ ، وإني لا أَثِقُ إلاَّ برحمتِك فاجعَلْ لي عندك عهْداً تُوَفِّينِيه يومَ القيامةِ إنك لا تُخْلِفُ الميعاد . قال الله عزّ وجلّ يومَ القيامة لملائكتِه : إن عبدي عهِدَ عندي عهْداً فأوْفُوه إياه ، فيُدْخِلهُ اللهُ الجنةَ »[2] .

ومن ذلك : أنَّ من قرأ آيةَ الكرسي وخَواتِيمَ سورة البقرة عند الكرْبِ ، أغاثه الله عزّ وجلّ[3] .

ومن ذلك : أن من قال : « لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لا إله إلاّ الله لا شريك له ، لا إله إلاَّ الله له الملك وله الحمد ، لا إله إلاّ الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، في يوم أو في ليلةٍ أو في شهرٍ ثم مات في ذلك اليومِ أو في تلك الليلة أو في ذلك الشهر ، غُفِر له ذنْبُه »[4] .

ومن ذلك : أن من قرأ ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ غافر : ٣] . ، وآية الكرسي حين يُصْبحُ ، حُفِظ بهما حتى يمسِيَ ، ومن قرأهما حين يمسي حُفِظَ بهما حتى يُصْبِحَ »[5] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وغيره .

(٢) أخرجه الإمام أحمد برجال الصحيح .

(٣) أخرجه ابن السني .

(٤) أخرجه النسائي .

(٥) أخرجه الترمذي وغيره .

ومن ذلك : أنَّ من عليه دَيْنٌ ولو كان مثل أُحدٍ ثم قال : « اللهم فارجَ الهمِّ كاشفَ الغمِّ مُجيبَ دعوةِ المُضْطَرِّين ، رَحْمـٰنَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهما ، أنت ترحمُني فارْحَمْني رَحْمَةً تُغْنِيني بها عن رَحْمَةِ مَنْ سواك ، لقَضاهُ الله عزّ وجلّ »[1] .

ومن ذلك : أنَّ كلماتٍ من قالهُنّ أوّلَ نهاره لم تُصِبْه مُصيبةٌ حتى يُمْسِيَ ، ومن قَالهنَّ آخر النهار لم تُصِبْه مُصيبةٌ حتى يُصبحَ : « اللهمّ أنتَ ربِّي لا إله إلاَّ أنتَ عليك توكّلْتُ وأنت ربُّ العرشِ العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يَكُنْ ، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، أعلَمُ أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأن الله قد أحاطَ بكل شَيءٍ علماً »[2] .

ومن ذلك : أنَّ من قرأ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران : ١٨ـ١٩] وأنا أشهَدُ بما شهد الله به وأستودِعُ الله هذه الشهادةَ ، وهي لِي عنده وديعةٌ ، جِيءَ به يوم القيامة فقيل : عَبْدي هذا عهِدَ إليَّ عهْداً وأنا أحقُّ مَنْ أوفىٰ بالعهد ، أدْخِلوا عبدي الجنَّةَ »[3] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه : ألا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ إذا قُلتَهن غُفِرَتْ ذنوبُك وإن كانتْ مثلَ زَبدِ البحرِ أو مثلَ عدد الذَّرِّ مع أنه مغفورٌ لك : لا إله إلاّ الله الحليمُ الكريم ، لا إله إلاّ الله العليمُ العظيم ، سبحان الله ربِّ السموات السبع ورب العرش الكريم ، والحمد لله رب العالمين »[4] .

---

(١) رواه الحاكم وغيره .
(٢) أخرجه ابن السني .
(٣) رواه أبو الشيخ .
(٤) أخرجه الإمام أحمد .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال لابن عباس رضي الله عنهما : « إذا أتيتَ سُلطاناً مهيْباً تخاف أن يسطُوَ بك فقل : الله أكبر الله أكبره الله أعزُّ مِنْ خلقِه جميعاً ، الله أعزُّ مما أخافُ وأحذَرُ ، أعوذ بالله الذي لا إله إلاَّ هو المُمْسِكُ السماءَ أن تَقَع على الأرض إلاّ بإذنِه من شَرِّ عبدِه فلان (ويسمِّي مَن يَخافُ شرَّه) وجنودِه وأتباعِه وأشْياعِه من الجِنِّ والإنس ، اللهم كُنْ لي جاراً من شَرِّهم ، جلَّ ثناؤُك وعَزَّ جارُك وتبارَك اسمُك ولا إله غيرك ثلاث مرات »[1] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : ألا أعلِّمُك دعاءً تدعو به ، فلو كان عليك أمثالُ الجبالِ من الدَّين قضاه الله تعالى . قال معاذٌ : قلتُ : بلى . قال : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٦-٢٧] رحمٰنَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهما ، تُعْطي من تشاء منهما وتَمنعُ من تشاء ، ارْحَمْني رحمةً تُغْنيني بها عن رحمةِ مَنْ سواك . اللهم أغْنِني من الفقرِ واقضِ عَنِّي الدَّينَ وتوفَّني في عبادتِك وجهادٍ في سبيلك »[2] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجابَ في هذه الآية : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٢٦-٢٧] »[3] .

---

(١) أخرجه الطبراني وغيره بسند صحيح .

(٢) أخرجه الطبراني .

(٣) أخرجه الطبراني .

ومن ذلك : أنَّ من قال كُلّ يومٍ مرةً : سبحانَ القائم الدائِمِ ، سبحان الحيّ القيومِ ، سبحان الحيِّ الذي لا يموت ، سبحان الله العظيم وبحمده ، سُبُّوحٌ قدُّوسٌ ربُّ الملائكة والرُّوحِ ، سبحانَ العلِيِّ الأعلى ، سبحانه وتعالى ، لم يمُتْ حتى يرىٰ مكانه من الجنَّةِ ، أو يُرىٰ له »[1] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « كلمتان خفيفتان على اللِّسانِ ثقيلتان في الميزان حبيبتَان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[2] .

ومن ذلك : ما جاء في قصة قَبيصة أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال : كبِرَتْ سِنِّي يا رسولَ الله ورَقَّ جِلدي ، وضعُفَت قُوَّتي ، وهنْتُ على أهلي ، وعَجزت عن أشياء كنتُ أعملها فعلِّمني كلماتٍ يَنْفَعُني الله بِهِنّ فأوجِزْ .

فقال النبي ﷺ : يا قَبِيْصَةُ ، قُلْ ثلاث مرات إذا صلّيتَ الغداةَ : سبحانَ الله وبحمدِهِ ، سبحان الله العظيم وبحمده ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العلي العظيم فإنك إن قُلْتَ ذلك ، أمِنْتَ بإذن الله من العَمىٰ والجُذامِ والبَرصِ ، وقل : اللهم اهْدِني من عندِك ، وأفِضْ علَيَّ من فضلِك ، وأسبغ عَليَّ رَحمتَك وأنزِلْ عَليَّ من بَركاتِك »[3] .

ومن ذلك : أنَّ من صلّىٰ الفجرَ في جماعةٍ وقعد في مُصلاّه وقرأ ثلاثَ آيات من أول سورة الأنعامِ ، وَكَّلَ اللهُ به سبعين مَلَكاً يسبِّحُونَ الله ويستَغْفِرونه إلى يومِ القيامة »[4] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر .
(٢) أخرجه الشيخان .
(٣) أخرجه ابن السني .
(٤) أخرجه الديلمي .

ومن ذلك : أنَّ من قال في دُبُرِ الصلاة بعد ما يُسلِّم هؤلاءِ الكلماتِ ، كتبها ملَكٌ في رَقٍّ فخُتِم بخاتَمٍ ، ثم رفَعها إلى يوم القيامةِ ، فإذا بعثَ اللهُ العبدَ مِنْ قبرِه ، جاءه الملَكُ ومعه الكتابُ فيقول : أين أهلُ العُهودِ حتى تُدْفَعَ إليهم .

والكلمات هي : اللهم فَاطرَ السموات والأرض ، عالمَ الغيب والشهادةِ الرحمنَ الرحيم ، إني أعهَدُ إليك في هذه الحياةِ الدنيا بأنَّك أنت الله لا إله إلاّ أنت وحدَك لا شريكَ لك ، وأن محمداً عبدُك ورسولك فلا تَكِلْني إلى نفسي فإنك إن تَكِلْني إلى نفسي تُقَرِّبْني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثِقُ إلاّ برحمتِك فاجعَلْ رحمتَك لي عهداً عندك تؤدِّيه إليَّ يومَ القيامة ، إنك لا تخلِفُ الميعاد »[1] .

ومن ذلك : أن من قرأ هذه الآيات أو حملَها لو نَزلَ عليه العذابُ مثل أُحدٍ ، لرفعه الله عنه ببركتها : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة : ٥١] إلى قوله : ﴿ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[2] [التوبة : ٥٩] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، أستغفرُ الله وأتوبُ إليه ، من قالها كُتِبَتْ كما قالَها ، ثم عُلِّقَتْ بالعرشِ لا يمْحوها ذنبٌ عمِلَهُ صاحبُها حتى يلقىٰ اللهَ تعالى يومَ القيامة ، وهي مختومةٌ »[3] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « ما يمنعُ أحدَكم إذا عَسُرَ عليه أمرُ معيشتِه أن يقولَ إذا خرج من بيته : بسم الله على نفسي ومالي ودِيني ،

---

(١) أخرجه الحكيم .
(٢) نقله الشرجي في فوائده .
(٣) أخرجه البزار .

اللهم رضِّني بقضائِك وبارِك لي فيما قَدَّرتَ لي ، حتى لا أحِبَّ تعجيلَ ما أخّرتَ ، ولا تأخيرَ ما عَجَّلت »[1] .

ومن ذلك : أنَّ من لزم قراءة : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٨-١٢٩] ، لم يمت هَدْماً ولا غرقاً ، ولا حَرْقاً ولا ضرباً بحديدةٍ »[2] .

ومن ذلك : أنَّ من قال حين يُصبحُ وحين يُمسي :

حسبي الله ، سبعَ مراتٍ ، كَفاهُ الله ما أهَمَّهُ من أمر الدُّنيا والآخرة[3] .

ومن ذلك : أنَّ من قال : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة : ١٢٩] بعد صلاة الصبح سبعَ مرّاتٍ ، كَفاهُ اللهُ يومَه ذلِك وإن لم يكُنْ صادقاً في توكُّلِه ، وإن قالها مَساءً فكذلك حتى يُصبِح .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « من سَرَّه أن يُنسَأ في عمرِه ويُنْصَرَ على عدُوِّه ويُوسَّعَ عليه في رزقِه ويُوْقَىٰ مِيْتةَ السوءِ فليقُلْ حينَ يُمْسي وحينَ يُصْبِحُ ثلاثَ مرات : سبحان الله مِلْءَ الميزانِ ومُنْتهىٰ العلْمِ ومبلَغَ الرِّضا وزِنةَ الْعَرْشِ »[4] .

---

(١) رواه ابن السني .
(٢) أخرجه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء .
(٣) أخرجه ابن السني .
(٤) أخرجه الديلمي .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها : « يا عائشةُ ، ألا أعلِّمُك كلماتٍ تعدِلُ أو تفْضُلُ تسبيحَ أهلِ السَّمواتِ والأرض؟ تقولِيْنَ : سبحان الله العظيمِ وبحمده أضعافَ ما يسَبِّحُه جميعُ خلقِه ، وكَما يُحِبُّ ويرضى ، وكما ينْبَغي له »[1] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال لبعض بناتِه : « قُولي حين تُصْبِحين سبحان الله وبحمده ولا قوة إلاّ بالله ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، أعلمُ أنَّ الله على كُلِّ شَيْءٍ قدير ، وأن اللهَ قدْ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً ، فإنَّ من قَالهنّ حين يُصبِحُ حُفِظ حتى يُمْسِيَ ، ومن قالهنّ حين يُمْسي حُفِظَ حتى يُصْبِحَ »[2] .

ومن ذلك : دَعوةُ ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت : « لا إله إلاّ أنت سبحانك إنِّي كُنْتُ من الظالمين ، لم يَدْعُ بها مُسلمٌ في شَيْءٍ قطُّ إلاَّ آسْتَجابَ اللهُ له »[3] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « إذا نزل بأحدِكم همٌّ ، أو غمٌّ ، أو سَقَمٌ فليقُلْ : الله الله ربِّي لا أُشْركُ به شيئاً ، ثلاثاً »[4] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال لأنس رضي الله عنه : « إذا طَلَبْتَ حاجةً فأحبَبْتَ أن تنْجَحَ فقُلْ : لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ العَلِيُّ العظيمُ ، لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له الحليمُ الكريمُ ، بسم الله الَّذي لا إله إلاَّ هو الحَيُّ الحكيمُ سبحانَ الله ربِّ العَرْشِ العظيمِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، كأنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُوْنَ لَمْ يَلْبَثُوا إلاّ ساعَةً مِنْ نَهارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إلاّ

---

(١) أخرجه الدارقطني .
(٢) أخرجه أبو داود .
(٣) رواه الإمام أحمد وغيره وصححه الحاكم .
(٤) أخرجه أبو داود .

الْقَوْمُ الْفَاسِقُوْنَ ، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها ، اللهم إني أسألك مُوْجبات رَحمتِك وعَزائِمَ مَغْفِرَتِك والغنيمةَ من كلِّ بِرٍّ والسَّلامةَ من كُلِّ إثمٍ ، اللهم لا تدَعْ لي ذنباً إلاَّ غفرْتَه ، ولا هَمًّا إلاّ فرَّجْتَه ، ولا دَيناً إلاَّ قضَيْتَه ، ولا حاجةً من حَوائج الدُّنيا والآخرةِ إلاّ قضَيْتَها برحمتِك يا أرحمَ الرّاحِمين ، اللهم أنتَ تحكُم بين عبادِك فيما كانوا فيه يخْتلِفون ، لا إله إلاّ الله العليُّ العظيم ، لا إله إلا اللهُ الحَلِيْمُ الكريمُ سبحانَ الله ربِّ السمواتِ السَّبْعِ وربُّ العرْشِ العظيمِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، اللهم كاشِفَ الغَمِّ مُفَرِّجَ الهَمِّ مُجيبَ دعْوَةِ المضْطَرِّيْنَ إذا دَعوْكَ ، رحمْنَ الدُّنيا والآخرةِ ورحيمَهُما فارْحَمْني في حاجَتي هذهِ بقضائِها ونجاحِها ، رَحْمَةً تُغْنِيني بها عَنْ رحمةِ مَنْ سِواك ، اللهم يا مُؤَنِّسَ كلِّ وحيدٍ ، ويا صاحِبَ كُلِّ فريدٍ ، ويا قريباً غيرَ بعيدٍ ، ويا شاهِداً غيرَ غائبٍ ، ويا غالباً غيرَ مغلُوبٍ ، يا حَيُّ ياقَيُّومُ يا ذَا الجلالِ والإكرامِ يا بديعَ السَّمواتِ والأَرْض ، اللهم أسْألُكَ بِاْسْمِك بسم الله الرحمن الرحيم الحيِّ القيُّومِ الذي لا تأخُذُه سِنَةٌ ولا نَومٌ ، وأسألُك باسمِك بسم الله الرحمن الرحيم الحَيِّ القيُّوم الَّذي عَنَتْ لَهُ الوُجُوهُ وخشَعَتْ له الأصْواتُ ووَجِلَتْ له القُلُوبُ أن تُصَلِّيَ على سيِّدِنا محمّدٍ وأن تقْضِيَ حاجَتي ـ ويسمِّي حاجته ـ اللهم إني أسألُك وأتوَجَّهُ إليك بنبيِّك سيِّدِنا محمّدٍ نبيِّ الرحمةِ ﷺ يا سيِّدَنا يا محمّدُ ، إني تَوَجَّهْتُ بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقْضىٰ ـ ويسمِّي حاجته ـ اللهم فشفِّعْه فِيَّ وشفِّعْني في نفْسي »[1] .

ومن ذلك : أن من حَفِظ عشرَ آياتٍ من أوَّلِ سورة الكهف ، عُصِمَ من فِتْنَةِ الدجّالِ[2] .

---

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه مسلم وغيره .

وكذلك من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف[١] .

ومن ذلك : أنَّ من قال حين يُصلي الغَداة : سبحان الله عدَدَ خلقِه ، سبحان الله رِضا نفسِه ، سبحان الله زِنَةَ عرْشِه ، والحمد لله مثلَ ذلك ولا إله إلا الله مثْلَ ذلك ، فذلك خيرٌ له من أن يَجْمَعَ ما بين المشرق والمغرب ويَدْأَبُ الملائكةُ يكْتُبون ولا يُحْصُون ما قال[٢] .

ومن ذلك : ما جاء أنَّ علياً رضي الله عنه سأل رسولَ الله شيئاً من الدنيا فقال : « والذي بعَثني بالحقِّ نبياً ، ما عنْدي قليلٌ ولا كثيرٌ ، ولكن أُعَلِّمكَ شيئاً أتاني به جبريلُ عليه السلام فقال : يا محمد ، هذه هدِيَّةٌ من الله تعالى إليك لم يُعْطَهَا أحدٌ قبلَكَ ، لا يدعو بها مَلْهوفٌ ولا مَكْروبٌ ولا عَبدٌ خَائفٌ من سُلطانٍ إلاّ فرَّجَ اللهُ عنه : اللهم يا عِمادَ مَنْ لا عمادَ له ، يا سَنَدَ من لا سندَ له ، يا ذُخْرَ مَنْ لا ذُخْر لَه ، يا غياثَ مَنْ لا غياثَ له ، يا كريمَ العفْوِ يا حسَنَ التجاوُزِ يا كاشفَ البلاء يا عظيمَ الرجاءِ يا عونَ الضُّعفاءِ يا مُنْقِذَ الغرْقىٰ يا مُنْجِي الْهلْكَىٰ ، يا مُحْسِنُ يا مُجَمِّلُ يا مُنْعِمُ يا مُفَضِّلُ، أنت الذي سَجَدَ لك سَوادُ اللَّيلِ ونُورُ النهارِ وضوءُ القمرِ وشُعاعُ الشمسِ ودَوِيُّ الماء وخفِيقُ الشَّجَرِ ، يا الله لا شريكَ لكَ يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ ، ثم تدْعُو بحاجتِك ، فلا تَقومُ من مقامِك حتى تُقْضىٰ لك ولا تعلِّموها السُّفهاءَ »[٣] .

ومن ذلك : أنَّ من قرأ مِنْ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون : ١] عشرَ آياتٍ ، بنىٰ اللهُ له بيتاً في الجنَّةِ[٤] .

---

(١) رواه مسلم وغيره .
(٢) أخرجه ابن عساكر .
(٣) أخرجه أبو الفتح المقدسي .
(٤) رواه ابن مردويه .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « ما مِنْ عبْدٍ يبْسطُ كفَّيه في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثم يقولُ : اللهم إلهي وإلهَ إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، وإلهَ جبريلَ وميكائيل وإسْرافيلَ ، أسألُك أن تسْتَجيبَ دعوَتي فإنِّي مُضطَرٌّ ، وتعْصِمَني في ديني فإنّي مُبْتَلىً ، وتنالَني برحمتِك فإنّي مُذْنِبٌ ، وتَنفِيَ عنّي الفقْرَ فإنـي مِسْكِينٌ ، إلاَّ كـان حقّـاً علـى الله أن لا يَـرُدَّ يـديـه خائبَتَيْن »[1] .

ومن ذلك : أنَّ من قال حينَ يُصْبِحُ : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الروم : ١٧ـ١٩] أدركَ ما فاته في يومِه ذلك ، ومن قال حين يمسي أدرَك ما فاتَه في ليلتِه[2] .

وفي روايةٍ : « مَنْ قال حين يُصْبِحُ ثلاثَ مرَّاتٍ : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ [الروم : ١٧] إلى آخرها ، لم يَفُتْهُ خَيرٌ كان قَبْلَهُ من اللَّيلِ ، ولم يُدْرِكْه يومَه شرّ ؛ ومن قالها حين يُمْسي مثلهُ »[3] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « ما أصاب مُسْلماً قطُّ همٌّ ولا حُزْنٌ فقال : اللهم إنّي عبدُك وابنُ عبدِك ، وابنُ أمتِك في قَبْضَتِك ، ناصيَتي بيدِك ماضٍ فِيَّ حُكْمُك ، عدْلٌ فِيَّ قضاؤُك ، أسألُك بكلِّ اسمٍ هُوَ لكَ سمَّيتَ به نفسَك ، أو أنزَلْتَه في كتابك أو علَّمْتَه أحداً من خلقِك أو اسْتَأْثَرْتَ به في علمِ الغيبِ عندَك أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قَلْبِي ونورَ

---

(١) أخرجه ابن السني .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواها الحافظ ابن حجر .

بصَري وجَلاءَ حُزْني وذَهابَ همِّي وغمِّي ، إلاَّ أذهبَ اللهُ همَّه وأبْدَلَه مكانَ حُزنِه فرَجاً »[1] .

ومن ذلك : ما جاء في قصَّةِ رجُلٍ جاء إلى النبي ﷺ فسلَّمَ ، فلما جَلَس قال : الحمد للهِ حمْداً كثيراً طيِّباً مبارَكاً فيه ، كما يُحِبُّ ربُّنا أن يُحْمَدَ ويَنْبَغي له ، فقال رسول الله ﷺ : « كيف قلت »؟ فَردّ عليه كما قال . فقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيدِه لقد ابتَدرَها عشرةُ أمْلاكٍ كلُّهم حَريصٌ على أن يَكْتُبَها ، فما دَرَوْا كيفَ يكْتُبونها لكثرةِ ثَوابِها حتى رَفَعُوها إلى ذي العزَّةِ فقال : اكْتُبوها كما قال عبدي ، وَعَلَيَّ جزاؤه بها »[2] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « إذا شَجاكَ شيطانٌ أو سلطانٌ فقل : يا من يَكْفي عن كُلِّ أحدٍ ولا يكفي عنه أحدٌ ، يا أحدَ مَنْ لا أحدَ له ، يا سَنَدَ مَنْ لا سندَ له ، انقطَعَ الرَّجاءُ إلاَّ مِنْكَ نَجِّني مِمّا أنا فيه ، وأعِنِّي علىٰ ما أنا عليه مما قد نَزَل بي بجاهِ وجهِك الكريم ، وبحَقِّ سيِّدنا محمد ﷺ آمين آمين »[3] .

ومن ذلك : أنَّ من قال : « الحمد لله الذي تواضَعَ كلُّ شيءٍ لعظَمتِه ، والحمد للهِ الذي ذَلَّ كلُّ شيءٍ لعِزَّتِه ، والحمدُ لله الذي خَضَع كلُّ شيءٍ لمُلْكِه ، والحمد لله الَّذي اسْتَسْلَمَ كلُّ شيءٍ لقُدْرَتِه ، يطلبُ ما عند الله ، كَتَبَ اللهُ له بها أَلْفَ حسَنَةٍ ورفَعَ له بها أَلْفَ درجةٍ ، وَوُكِّل به سبعونَ ألفَ مَلكٍ يستَغْفِرون له إلى يومِ القيامةِ »[4] .

ومن ذلك : ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : « لما أهْبَطَ اللهُ آدَمَ إلى

---

(١) أخرجه الحاكم .
(٢) أخرجه الإمام أحمد برجال ثقات .
(٣) أخرجه الديلمي .
(٤) أخرجه الطبراني .

الأرضِ ، جاءَ الكعبةَ وصلّى ركعَتين ، فألْهَمَه الله هذا الدُّعاءَ : اللهُمَّ إنَّكَ تعلمُ سريرَتي وعلانِيَتي فاقْبَلْ مَعْذِرَتي ، وتعلَمُ حاجَتي فأَعْطِني سُؤْلي ، وتعلَمُ ما في نفْسي فاغفِرْ لي ذنبي ، اللهم إنّي أسألُك إيماناً يُباشِرُ قَلْبي ويقيناً صادِقاً حتى أعْلَمَ أنَّه لا يُصِيبُني إلاّ ما كَتَبْتَ لي ورَضِّني بما قَسَمْتَ لي . فأوحى الله إليه : يا آدم ، قد قَبِلتُ توبتَك وغَفرْتُ لك ذنبَكَ ، ولم يدعُني أحَدٌ بهٰذا الدعاءِ إلاّ غفَرْتُ له ذَنْبَه ، وكفيْتُه المُهِمَّ من أمْرِه ، وزَجَرْتُ عنه الشَّيطانَ واتَّجَرْتُ له مِنْ وراءِ كُلِّ تاجرٍ ، وأقبلتْ إليه الدنيا رَاغمةً وإن لم يُرِدْها »(١) .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « إذا تخوَّفَ أحدُكم السُّلطانَ فليقل : اللهم ربَّ السمواتِ السَّبْعِ وربَّ العَرْشِ العظيمِ ، كُنْ لي جَاراً مِنْ شَرِّ فُلان بن فلان وشرِّ الجنِّ والإِنْسِ وأتباعِهم ، أن يَفْرُطَ عَليَّ أحدٌ منهم أو أن يَطْغىٰ ، عَزّ جارُك وجلَّ ثناؤُك ولا إله غيرُك »(٢) .

ومن ذلك : أنَّ من قرأ خَواتيمَ الحشر من ليلٍ أو نهار ، فقُبِض في ذلكَ اليومِ أو الليلةِ ، فقد أَوْجَبَ الجنة(٣) .

ومن ذلك : ما جاء أنَّ النبي ﷺ دخلَ المسجد ذاتَ يومٍ ، فإذَا هو برجُلٍ من الأنصارِ يقال له : أبو أُمامةَ ، فقال : « يا أبا أمامةَ ، ما لي أراكَ جَالساً في المسجد في غيرِ وقتِ صلاةٍ؟ قال : همومٌ لَزِمَتْني وديونٌ يا رسول الله ، قال : أفَلا أُعَلِّمُك كلاماً إذا قلتَه اذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ وقَضىٰ عنك دَيْنَك ، قلتُ : بلى يا رسول الله ، قال : قل إذا أصبَحْتَ وإذا أمسَيْتَ : اللهم إني أعوذُ بك من الهَمِّ والحزَنِ ، وأعوذ بك من العجْزِ

---

(١) أخرجه الطبراني .
(٢) أخرجه الطبراني .
(٣) رواه البيهقي .

والكسَلِ ، وأعوذ بك من الجُبْنِ والبُخْلِ ، وأعوذ بك من غَلَبة الدَّين وقهرِ الرجالِ »[1] .

ومن ذلك : أنَّ من قال حين يُصبح وحين يُمْسي : اللهم أنت ربي لا إله إلاَّ أنت خلقْتني وأنا عبدُك ، وأنا على عَهْدِك ووعْدِك ما ٱستَطَعْتُ ، أعوذُ بِكَ من شرِّ ما صَنَعْتُ ، أبوءُ لك بنِعمتِك عَليَّ وأبوءُ بذنْبي ، فٱغفِرْ لي فإنه لا يغفِرُ الذّنوبَ إلاَّ أنت فمات مِنْ يومِه أو ليلتِه دخلَ الجنَّةَ »[2] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال لأنس رضي الله عنه : « ألا أعلِّمُك ما علَّمَني جبريلُ ، إذا كانت لك حَاجةٌ إلى بخِيلٍ شحيحٍ أو سلطانٍ جائرٍ أو غريمٍ فاحشٍ تَخافُ فُحْشَهُ ، فقل : اللهم إنك أنت العزيزُ الكبيرُ ، وأنا عبدُك الضَّعيفُ الذَّليلُ الذي لا حول له ولا قوّةَ إلاّ بك ، اللهم سَخّرْ لي فلاناً كما سَخَّرْتَ فرعونَ لموسى ، ولَيِّنْ لي قلبَه كما ليَّنْتَ الحديدَ لدَاودَ ، فإنه لا ينطِقُ إلاَّ بإذْنِك ، ناصِيَتُهُ في قَبْضَتِك ، قلبُهُ في يدِك ، جَلَّ ثناءُ وجهِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين »[3] .

ومن ذلك : أنَّ من قال عَشْرَ كلِماتٍ عندَ دبُرِ كلِّ صَلاة غَداةٍ ، وجَدَ الله عندهُنّ مُكْفِياً مُجْزِياً ، خَمسٌ للدنيا وخَمسٌ للآخرة : حسبي الله لدَيْني ، حسبي اللهُ لما أهَمَّني ، حسبي الله لمن بَغىٰ عَلَيَّ ، حسبي الله لمن حَسَدني ، حسبي الله لِمَنْ كادَني بسُوءٍ ، حسبي الله عندَ الموتِ ، حسبي الله عند المَسْألَةِ في القَبْرِ ، حسبي الله عند المِيزان ، حسبي الله عِنْدَ الصراطِ ، حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكّلْتُ وإليه أُنيبُ »[4] .

---

(١) أخرجه أبو داود .
(٢) أخرجه الإمام أحمد وغيره .
(٣) أخرجه الديلمي .
(٤) أخرجه الترمذي في « نوادر الأصول » .

ومن ذلك : ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « خُذوا جُنَّتَكُمْ . قلنا : يا رسول الله ، أمن عدوٍّ حضَرَ؟ فقال : خذوا جُنَّتكم من النارِ ، قُولوا : سبحان اللهِ والحمدُ للهِ ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حولَ ولا قوة إلاّ بالله ، فإنَّهُنَّ يأتِيْنَ يومَ القيامةِ مستَقْدِمَاتٍ ومُنْجِيات ومُجَنِّباتٍ ، وهُنّ الباقياتُ الصالحاتُ »[1] .

ومن ذلك : أنَّ قولَ : « اللهم إنك خلاَّقٌ عظيمٌ ، إنك سميعٌ عليم ، إنك غَفور رحيمٌ ، إنك ربُّ العَرْشِ العظيمِ ، اللهم إنَّكَ أنْتَ البَرُّ الجَوَادُ الكريمُ اغفِرْ لي وارْحَمْني وعافِني وارزُقْني واسْتُرْني وأجُرْني وارْفَعْني وَلا تُضِلَّني وأدْخِلْني الجنَّةَ برحمتِك يا أرْحمَ الراحمين . يجْمَعُ خيرَ الدنيا والآخرةِ » كما جاء في الحديث[2] .

ومن ذلك : ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : أمانٌ لأمتي من الغَرقِ إذا ركِبوا أن يقْرَؤوا : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرَىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود : ٤١] ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] [الزمر : ٦٧] » .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « لو أنَّ رجلاً مُوْقِناً قرأها على جبلٍ لزالَ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[4] [المؤمنون : ١١٥-١١٨] » .

---

(١) رواه الطبراني بسند صحيح .

(٢) أخرجه الديلمي .

(٣) رواه ابن السني .

(٤) رواه أبو نعيم .

ومن ذلك : أنَّ من قرأ في مُصْبَحٍ أو مُمْسىً : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء : ١١٠] إلى آخر السورة ، لم يَمُتْ قلبُه ذلكَ اليومَ ، ولا في تلك الليلةِ[١] .

ومن ذلك : أنَّ هذا الدعاء يُذْهِبُ الفزَعَ ، كما جاء في الحديث : « أعوذُ بكلِماتِ الله التَّامَّاتِ من غَضَبِه وعقابِه ، ومن شرِّ عبادِه ، ومن همزَاتِ الشَّياطينِ وأَنْ يَحْضُرون »[٢] .

ومن ذلك : ما جاء عنه ﷺ أنه قال : « ما مِنْ رجلٍ يدْعُو بهذا الدعاءِ في أوَّلِ لَيْلِهِ وأوَّلِ نهارِه ، إلاَّ عَصَمه الله من إبليسَ وجُنودِه : بسم الله ذِي الشأنِ عظيمِ البُرهانِ شدِيدِ السُّلطان ما شاء اللهُ كانَ ، أعوذُ باللهِ من الشَّيْطانِ[٣] .

ومن ذلك : أنَّ من سأل الجنَّةَ ثلاثاً قالت الجنةُ : اللهم أدْخِلْهُ الجنَّةَ ، ومَنِ ٱسْتَجارَ مِنَ النارِ ثلاثاً ، قالتِ النَّارُ : اللهم أجِرْهُ مِنَ النَّارَ[٤] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال لِعَلِيٍّ رضي الله عنه : قُلْ إذا أصبَحْتَ ثلاثاً وإذا أمْسَيْتَ ثلاثاً : بسم الله الرحمن الرحيم لا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله العلِيِّ العظيمِ ، فإنها شِفاءٌ من تسعةٍ وتسعين داءً ، أيسَرُها الهمُّ »[٥] .

ومن ذلك : أنَّ قول : « سبحانَك لا إله إلاَّ أنت يا ذا الجلالِ والإكرامِ » من الدعوات المَضْمُونَةِ الإجَابة .

كما جاء في الحديث أنَّ سعداً رضي الله عنه دعا على كَلْبٍ فأهْلَكه ،

---

(١) رواه الديلمي .
(٢) أخرجه الترمذي .
(٣) أخرجه ابن عساكر .
(٤) أخرجه الترمذي وغيره .
(٥) أخرجه المُستغفِري .

فقال له النبي ﷺ : « كيفَ دعوتَ عليه؟ » فقال : سبحَانَك ... إلخ،أهلِكْ هٰذا الكلْبَ . فقال ﷺ : « يا سعدُ ، لقد دَعوت بيومٍ وساعةٍ بكلماتٍ ، لو دعوتَ بها علىٰ مَنْ في السموات والأرضِ ، لاسْتُجِيْبَ لك فأبْشِرْ يا سعد »[1] .

ومن ذلك : أنَّ من قال : « اللهم اكْفِنِي بحلالِك عن حرامِك ، وأغْنِني بفَضْلِك عَمَّنْ سوَاك ، لو كان عليه مِثْلُ ثبيرٍ دَيْناً ، لأدّاهُ اللهُ عنْهُ »[2] .

ومن ذلك : أنَّ النبي ﷺ قال : « ما قال عَبدٌ : اللهم ربَّ السمواتِ السبْعِ وربَّ العرْشِ العظيمِ اكْفِني كلَّ مُهِمٍّ من حيثُ شِئْتَ وكيف شئْتَ وأنَّى شئْتَ ومن أينَ شئْتَ ، إلاَّ أذهَبَ اللهُ تعالى هَمَّه »[3] .

ومن فضائل هذه الأُمّة المحمدية : أنها مَأمورةٌ بطلب العَافية والدعاء بسلامَة البدن وتمام الصحة ، ولا شك أنَّ هذا غَايةُ ما يتمنّاهُ الإِنسان ويشتهيه ، وبهذا صَارت العادة عبادةً وانقلب المألوف إلى معروف ، والأمر المحبوبُ إلى النفس مشتهى عادةً والمطلوب طبيعةً ، هو الأمر المحبوبُ المطلوبُ إلى الله سبحانه وتعالى والمطلوب شريعةً ، وفي هذا غَايةُ العناية بهذه الأُمّة المحمدية .

جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ أي الدعاء أفضل؟ قال : « سَلْ رَبَّكَ العافِيةَ والمُعَافَاةَ في الدنيا والآخرَةِ . ثم أتاه في اليوم الثاني فقال : يا رسولَ الله ، أيُّ الدعاء أفضلُ؟ فقال له مثلَ ذلك . ثم أتاه في اليوم

(١) أخرجه الطبراني .
(٢) أخرجه الحاكم وصححه .
(٣) أخرجه الخرائطي .

الثالث فقال له مثل ذلك ، قال : فإذا أُعْطِيْتَ العافية في الدُّنيا وأُعْطِيْتَها في الآخرةِ ، فقَدْ أَفْلَحْتَ »[1] .

ومعنى : (العافية) ، أن تسلم من الأسقام والبلايا ، وهي الصحة وضد المرض . (والمعافاة) : أن يُعافيك الله من الناس وَيُعافيهم منك : أي يُغنيك عنهم ويغنيهم عنك ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم ، وقيل : هي مُفاعلةٌ من العفو وهو أن يعفو عن الناس ويعفوا عنه ، والعفوُّ اسمٌ من أسماء الله تعالى ، وهو فَعُولٌ من العفو ، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه . اهـ .

وقد قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر ثم بكى ، فقال : قام فينا رسول الله ﷺ عامَ أول على المنبر ثم بكىٰ ، فقال : « سَلوا الله العفْوَ والعافيةَ ، فإنَّ أحداً لم يُعْطَ بعدَ اليَقين خيراً من العافيةِ »[2] .

وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال : « قل اللَّهُمَّ اغْفِر لي وارْحَمْني وعافِني وارزُقْني . ويجمع أصابعه إلاَّ الإبهام . فإنَّ هؤلاءِ تَجْمَعُ لك دنياك وآخِرتَكَ »[3] .

وأوصىٰ ﷺ عمّه العباس قائلاً : « يا عباسُ يَا عَمَّ النبي ﷺ ، أكْثِرْ من الدعاءِ بالعافيةِ »[4] .

وأخبر أنَّ سؤال العافية هو من أحب الدعاء إليه سبحانه ، قال النبي ﷺ : « ما سُئِل اللهُ شيئاً ، أَحَبَّ إليه من العافيةِ »[5] .

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) رواه الترمذي والنسائي .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري .
(٥) رواه الترمذي وابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح الإسناد .

وفي سبيل المُحافظة على العافية واستمرارها ، أمر ﷺ من رأىٰ مبتلىً أن يحمد الله ويشكره على نِعْمةِ العافية ، وأخبر أنه بحمده وشكره يُحفظ من ذلك البلاء فقال : « مَنْ رَأى صاحِبَ بلاءٍ فقال : الحمدُ للهِ الذي عافانِي مما ابتلاكَ به وفَضَّلَني على كثيرٍ ممَّنْ خَلَقَ تفضيْلاً ، لم يُصِبْهُ ذلكَ البلاءُ »[1] .

* * *

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والبزار والطبراني .

فَوائِدُ الصَّلاةِ على النبي عليه أَفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام

مما أكرم الله به هذه الأُمَّة المحمدية من الفضل والشرف : ما جعلهُ من الثواب الكبير والأجر العظيم لمن يُصلّي وَيُسلّم على سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ .

والصَّلاةُ والسلام على نبينا محمد ﷺ ، ذِكرٌ من الأَذكارِ التي يُثاب العبد على لفظها ومعناها .

فَالمُشتَغِلُ بها يُثاب على مُجرّدِ تَرديد ألفاظها ، كما يُثاب من يُردِّدُ لفظَ التهليل والتكبير والتحميد والتسبيح ، وليس كلامنا في مقدار الثَّواب بالمقارنة بين هذا وهذا ، وإنما مقصودنا هو أن نقول : إن المشتغل بالصَّلاة والسَّلام على المصطفىٰ مثابٌ على مُجرد تكرار ألفاظ الصلاة والسلام ، كما يُثاب من يُردد ألفاظ التهليل والتسبيح والتحميد ، فهو ذِكرٌ مُتعبَّدٌ بلفظه ومعناه ، ولذلك كان بعضُ السلف يُلزِمُ نفسه بعدد مخصوصٍ مُحدّدٍ يأتي به من الصلاة والسلام عليه يَلتزمُ به ويتقيَّدهُ .

ومَعلومٌ أنه لا شيء في ذلك ما دام أنه لا يعتقدُ أنه مَشروعٌ وَارِدٌ عن النبي ﷺ ، بل يعلم أنَّ ذلك من نفسه أو من غيره ، لأنّ القضيّة في الحقيقة إنما هي في نسبة شيء إلى النبي ﷺ ، والحالُ أنه لم يَرد عنه فهذا لا نَرضاهُ بل وَنُحاربه ، ونعتقد أنه بِدعةٌ سَيئةٌ خَبيثةٌ لا يَرضاها النبي ﷺ .

أمّا من يُلزم نفسه شيئاً عالماً بأنه منه وإليه ، مُبرِّأً مقام النبوّة عنه غير مُعتقدٍ فيه سُنّيّةً ، أو مشروعيةً لعينه ، فلا شيء في ذلك ألبتة .

وقد كان بعضُ السَّلف يفعلُ هذا ، فقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : يا زَيدُ بنَ وهبٍ ، لا تَدعْ إذا كان يومُ الجمعة أن تُصَلِّيَ يومَ الجمعة على النبي ﷺ ألفَ مرة تقول : « اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ » .

وَنذكُرُ هُنا جملةً من فَوائد الصلاة والسلام على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، مما ذَكرهُ العلماء وخصوصاً العلامة ابن القيم ، والحافظ ابن حجر الهيتمي مع التهذيب والتلخيص .

الأُولى : امتثالُ أمر الله سبحانه وتعالى .

الثَّانيةُ : مُوافقتهُ سبحانه وتعالى في الصلاة عليه ﷺ ، وإن اختلفت الصلاتان ، فَصلاتُنا عليه دُعاءٌ وَسُؤال ، وصَلاةُ الله تعالى عليه ثَناءٌ وتَشريف .

الثَّالثةُ : مُوافقةُ ملائكته فيها .

الرَّابعةُ : حُصول عَشر صَلواتٍ من الله على المُصلّي مرة .

الخَامسةُ : أنه يُرفعُ له عشر درجات .

السَّادسة : أنه يُكتب له عشر حسنات .

السَّابعةُ : أنه يُمحىٰ عنه عشر سيئات .

الثَّامنةُ : أنه يُرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه ، فهي تُصاعد الدعاء إلى عند رب العالمين ؛ وكان مَوقوفاً بين السماء والأرض قبلها .

التَّاسعةُ : أنها سببٌ لشفاعته ﷺ إذا قَرنها بسؤال الوسيلة له ، أو أفردها .

العَاشِرةُ : أنها سببٌ لِغُفرانِ الذُّنوب .

الحَاديةَ عَشرة : أَنها سببٌ لِكفاية الله العبدَ ما أَهمّهُ .

الثَّانيةَ عَشرة : أنها سببٌ لِقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة .

الثَالثةَ عَشرة : أنها تَقُوم مقامَ الصدقة لذي العُسرة .

الرَّابعةَ عَشرة : أنها سببٌ لقضاءِ الحَوائج .

الخَامسةَ عَشرة : أنها سببٌ لصلاة الله على المصلي ، وصَلاةِ ملائكته عليه .

السَّادسةَ عَشرة : أنها زَكاةٌ للمصلي وَطهارةٌ له .

السَّابعةَ عَشرة : أنها سببٌ لتبشير العَبد بالجنة قبل موته ، ذكرهُ الحافظ أبو موسى في كتابه ، وذكر فيه حديثاً .

الثَّامنةَ عَشرة : أنها سببٌ للنجاةِ من أَهوال يوم القيامة ، ذَكرهُ أبو موسى وذكر فيه حديثاً .

التَّاسعةَ عَشرة : أنها سببٌ لردِّ النبي ﷺ الصلاة والسلام على المُصلي وَالمُسَلّم عليه .

العِشرون : أنها سببٌ لِتذكر العَبد ما نُسِّيه .

الحَادية وَالعُشرون : أنها سببٌ لِطيب المجلس ، وأَنْ لا يَعُود حَسرةً على أهله يوم القيامة .

الثَّانية وَالعشرون : أنها سببٌ لنفي الفَقر .

الثَّالثة وَالعشرون : أنها تنفي عن العبد اسم البخل . إذا صلّىٰ عليه عند ذكره ﷺ .

الرَّابعة وَالعشرون : نَجاتُه من الدعاء عليه برغْمِ الأنف إذا تَركها عند ذكره ﷺ .

الخَامسة وَالعشرون : أنها تَرمي صاحبها على طريق الجنة ، وتُخطىءُ بتاركها عن طريقها .

السَّادسة والعِشرون : أنها تُنجي من نَتن المجلس الذي لا يُذكر فيه الله ورسوله ويحمد ويثنىٰ عليه فيه ويصلّىٰ على رسوله ﷺ .

السَّابعة وَالعشرون : أنها سببٌ لتمام الكَلام الذي ٱبتُدِىءَ بحمد الله والصلاةِ على رسوله .

الثَّامنة وَالعشرون : أنها سببٌ لِوُفورِ نُورِ العبد على الصراط ، وفيه حديثٌ ذَكرهُ أبو موسى وغيره .

التَّاسعة وَالعشرون : أنه يَخرجُ بها العبد عن الجفاء .

الثَّلاثُون : أنها سببٌ لإبقاء الله سبحانه وتعالى الثناء الحَسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض ، لأنّ المصلي طَالبٌ من الله أن يثني على رسوله وَيُكرمه وَيُشرفه ، والجزاءُ من جنس العمل ، فلا بدّ أن يحصلَ للمصلي نَوعٌ من ذلك .

الحَادية وَالثلاثُون : أنها سببٌ للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه ، لأنَّ المُصلي دَاعٍ ربه أن يُبارك عليه وعلى آله ، وهذا الدُّعاء مستجابٌ ، والجَزاءُ من جنسه .

الثَّانية وَالثلاثُون : أنها سببٌ لنيل رحمة الله له ، لأنَّ الرحمة إمّا معنى الصلاة كما قاله طائفة ، وإمّا من لوازمهَا وَمُوجباتهَا على القول الصحيح ، فَلا بدّ للمُصلي عليه من رحمةٍ تَنالهُ .

الثَّالثة وَالثلاثُون : أنها سببٌ لدوام مَحبتهِ للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها ، وذلك عِقدٌ من عُقود الإيمان الذي لا يتم إلاَّ به ، لأنَّ العبد كُلما أكثر من ذِكر المحبوب واستحضاره في قلبه ، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبّهِ ، تَضاعف حُبّه له وتزايدَ شوقه إليه واستولى على

جميع قلبه وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار مَحاسنه بقلبه ، نقص حُبّه من قلبه ، ولا شيء أقر لعين العبد المحبِّ من رُؤيةِ مَحبوبه ، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه ، فإذا قوي هذا في قلبه ؛ جرىٰ لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وتكون زيادةُ ذلك ونقصانه ، بحسب زيادة الحُبِّ ونقصانه في قلبه ، والحِسُّ شاهدٌ بذلك حتى قال الشعراء بذلك :

عَجِبْتُ لِمَن يَقول ذَكرتُ حبِّي   وَهل أنسىٰ فأذكر مَنْ نَسيتُ

فَتعجَّب هذا المحبُّ ممن يقول : ذَكرتُ محبوبي ، لأنَّ الذكر يكون بعد النسيان ولو كَمُلَ حبُّ هذا ، لما نَسي مَحبوبه .

الرَّابعة وَالثلاثُون : أنَّ الصلاة عليه ﷺ سببٌ لمحبته للعبد ، فإنها إذا كانت سبباً لزيادةِ محبّة المصلي عليه له ، فكذلك هي سببٌ لمحبَّته هو للمصلي عليه ﷺ .

الخَامسة وَالثلاثُون : أنها سببٌ لهداية العَبد وحياة قلبه ، فإنه كُلما أكثر الصَلاة عليه وذكره ، استولت مَحبتهُ على قَلبه حتى لا يبقى في قلبه معارضةٌ لشيء من أوامره ، ولا شكٌّ في شيءٍ مما جاء به ، بل يَصيرُ ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه ، لا يَزالُ يقرؤهُ على تَعاقب أحواله ويقتبس الهُدىٰ والفَلاح وأنواع العلوم منه ، وكلما ازداد في ذلك بَصرةُ وقوة مَعرفته ، ازدادت صَلاتُه عليه ﷺ .

السَّادسة وَالثلاثُون : أنها سببٌ لعَرض اسم المصلي عليه ﷺ وذكره عنده كما جاء من قوله ﷺ : « إنَّ صلاتكم مَعروضَةٌ عَلَيَّ » ، وقوله : « إنَّ اللهَ وكَّلَ بقبرِي ملائكةً يُبلِّغُوني عَنْ أمتي السَّلامَ » وكفى بالعبد نُبلاً أن يذكر اسمه بين يدي رسول الله ﷺ ، وقد قيل في هذا المعنى :

ومَنْ خطَرَتْ منه ببالكَ خَطرةٌ   حقيـقٌ بـأنْ يَسمُـو وأنْ يتقـدَّمـا

السَّابعة وَالثلاثُون : أنها سببٌ لتثبّت القدَم على الصراط والجواز عليه لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رَواهُ عنه سعيد بن المسيب في رُؤيا النبي ﷺ « وَرَأيتُ رجُلاً مِنْ أمتي يَزْحَفُ على الصراطِ ويَحْبُو أحياناً ويتَعلَّقُ أحياناً ، فجاءتْهُ صَلاته علَيَّ ، فأقامَتْه علىٰ قدَميه وأنقذته »[1] .

الثَّامنة وَالثلاثُون : أنَّ الصلاة عليه ﷺ أداءٌ لأقل القليل من حقه وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا ، مع أنَّ الذي يَستحقُّه من ذلك لا يحصى علماً ولا قدرة ولا إرادة ، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه .

التَّاسعة وَالثلاثُون : أنها مُتَضمِّنةٌ لذكر الله وشكره ، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله ، فَالمُصلي عليه ﷺ قد تَضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله وسؤاله أن يَجْزيه بصلاته عليه ما هو أهله ، كما عرَّفنا ربنا وأسماءه وصفاته وهدانا إلى طريق مرضاته وعرَّفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه ، فهي مُتضمنةٌ لكل الإيمان ، بل هي متضمنةٌ للإقرار بوجود الرب المدعو ، وعلمه ، وسمعه ، وقدرته ، وإرادته ، وصفاته ، وكلامه ، وإرسال رسوله ، وتصديقه في أخباره كلها ، وكمال محبته ، ولا ريب أنَّ هذه أصولُ الإيمان ، فالصلاة عليه ﷺ مُتَضمنةٌ لعلم العبد ذلك وتصديقه به ومحبته له ، فكانت من أفضل الأعمال .

* * *

---

(١) رواه أبو موسى المديني وبنى عليه كتابه في « الترغيب والترهيب » وقال : هذا حديث حسن جداً .

فَضلُ الحُبِّ في الله وَالبُغْضِ في الله

ومن مناقب هذه الأُمّة ومزاياها : ما جَاء من الفضل الكبير والخير الكثير لمن يُحب أَخاهُ المسلم لله لا غَرض ولا هَوىً سوىً ذلك ، فإذا تَحقق بذلك زاد إيمانه وقوي يَقينُه حتى كأنه يُشاهد بعَينه حَقائق الإيمان ويشعر بأنواره الفَياضة في قلبه ويدرك إدراكاً خاصاً لايجدُه إلاّ من تحقّق بذلك المعنى .

وهذا معنى قوله ﷺ : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوةَ الإيمان : مَنْ كانَ اللهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِوَاهُما ، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْداً لايُحِبُّهُ إلاَّ للهِ ، وَمَنْ يَكْرَهُ أنْ يَعُودَ في الْكُفْرِ بَعْدَ أنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ ، كما يَكْرَهُ أن يُقْذَفَ في النَّارِ » .

وَالمحبةُ ينَالُ بها صاحبها في الآخرة أنه يُنادي عليه المولى جلّ شأنه على رُؤوس الأشهاد فيقول : « أيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلالي يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي »(١) .

وَالمحبةُ في الله يكون بها صَاحبها في الآخرة تحت ظلِّ عرش الله يوم لا ظلّ إلاَّ ظله ، كما جاء في الحديث :

« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّه ، قال : ومنهم رَجُلان

---

(١) رواه البزار بإسناد حسن .

تحَابَّا في اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيه وتفرَّقَا عَلَيْهِ » ، الحديث .

وَالمحبُّ الصَّادق المُخلص يَنالُ منزلةً عاليةً في الجنة ، تَزيدُ على مَنزلة محبوبهِ إذا لم يُبادله نفس الشعور . فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ أَحَبَّ رجُلاً للهِ فقالَ : إنِّي أُحِبُّكَ للهِ ، فدَخَلا جَمِيْعاً الجنةَ ، فكان الذي أَحَبَّ أرْفَعَ منزلةً من الآخَرِ أُلْحِقَ بِالَّذي أَحَبَّ للهِ »[1] .

وَالمحبُّ الصَّادقُ يستحقُ أن يُبشر بمحبةِ الله له على لسان رسول خاص له ، فقد جاء عن رسول الله ﷺ : « أنَّ رَجُلاً زارَ أخاً لَهُ في قريةٍ أخرى ، فأرْصَدَ اللهُ على مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً ، فلما أتى عَلَيه قالَ : أيْنَ تُرِيْدُ؟ قال : أُرِيدُ أخاً لي في هذِه القريةِ قالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّها قال : لا ، غَيْرَ أنِّي أَحْبَبْتُهُ في اللهِ قال : فإنِّي رسولُ اللهِ إليكَ بأنَّ اللهَ قَدْ أحَبَّكَ كما أَحْبَبْتَهُ فِيه »[2] .

وَالمُتحَابُّونَ هُم جُلساء الله يوم القيامة عن يمين العرش ، على مَنابرَ من نُورٍ ليسوا بأنبياء ولكن يغبطهم الأنبياء والشهداء .

قال رسول الله ﷺ : « يا أيُّها الناسُ ، اسْمَعُوا واعْقِلُوا إنَّ للهِ عزَّ وجلَّ عِباداً ليسُوا بأنْبِيَاءَ ولا شُهداءَ ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَداءُ على منازِلِهِمْ وقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ . فَجَثَىٰ رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ ، وألوىٰ بيده إلى النبي ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، نَاسٌ من النَّاسِ ليسُوا بأنبياءَ ولا شهداءَ يَغْبِطُهم الأنبياءُ والشهداءُ عَلى مَجالِسِهِم وقُرْبِهِمْ مِن الله ، انْعَتْهُمْ لنا ، حِلّهُمْ لنا ـ يعني صِفهم لنا شَكِّلْهم لنا ـ ، فسُرَّ وجهُ النبي ﷺ بسؤالِ الأَعْرابِي، فقال رسول الله : هُمْ ناسٌ من أفْناءِ الناسِ ونوازِعِ القبائِلِ ، لم تَصِلْ بينهم أرحامٌ متقارِبَةٌ ، تَحَابُّوا في الله وتَصَافُوا ، يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ

---

(١) رواه البزار بإسناد حسن .

(٢) رواه مسلم .

القيامَةِ منابِرَ مِنْ نُورٍ فيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجوهَهم نُوراً وثيابَهُمْ نُوراً ، يَفْزَعُ الناسُ يومَ القيامةِ ولا يَفْزَعُونَ ، وهُمْ أولياءُ اللهِ لا خوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يحزَنونَ »[1] .

والمتحابون في الله لهم في الجنة غُرَفٌ من زَبرجدٍ على عُمدٍ من ياقوت ، لها أبوابٌ مفتحةٌ تُضيء كما يُضيء الكوكب الدريُّ[2] .

« ولَهُمْ غُرَفٌ يُرىٰ ظَواهِرُهَا مِنْ بَواطِنِها وَبَواطِنُها من ظَواهِرِها »[3] .

وقد شَهد ﷺ لمن أحَبَّ لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله ، بأنه قد اسْتَكْمَلَ الإيمانَ[4] .

ومن شَرفِ المحبة الصَّادقة : أنها تَجبر الكسر ، وتأخذُ بيد الضعيف فتلحقه بالأقوياء ، وَتُقدِّم المتأخِّر إلى الصفِّ الأول ، فيلبَسُ ثوباً يتأهّلُ به لينقلبَ من حَالٍ إلى أحسن حال ، ببركة تَشبههِ بأهل الكمال من أفاضل الرجال . وإليك هذه الأحاديث التي تُؤيد هذا المعنى :

عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : متى الساعة؟ قال : « وما أَعْدَدْتَ لَها؟ قال : لا شَيْءَ إلاّ أنّي أُحبُّ اللهَ وَرَسولَهُ . قال : أَنْتَ مع مَنْ أَحْبَبْتَ » ، قال أنس : فما فَرِحْنا بِشَيْءٍ فَرَحَنا بقولِ النبي ﷺ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » ، قال أنس : فأنا أُحِبُّ النَّبيَّ ﷺ وأبا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وأرجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبّي إِيَّاهُمْ[5] .

وفي روايةٍ : أنَّ رجلاً من أهل البادية أتىٰ النبي ﷺ فقال :

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن . والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٢) رواه البزار عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٣) رواه الطبراني في « الأوسط » عن بريدة مرفوعاً .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) رواه البخاري ومسلم .

يا رسولَ الله ؛ متى الساعةُ قائمةٌ؟ قال : « وَيْلَكَ ، وما أعدَدْتَ لها؟ قال : ما أعدَدْتُ لها إلاّ أنّي أُحبُّ الله ورسولَهُ ، قال : إنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قال : ونحنُ كذلك؟ قال : نَعَمْ ، فَفَرِحْنا يَوْمَئِذٍ فَرَحاً شَدِيْداً »[١] .

وَرواهُ الترمذي ولفظه قال : « مَا رأيتُ أصحاب رسول الله ﷺ فرحوا بشيء أشد منه ، قال رجلٌ : يا رسول الله ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الرَّجُلَ على العَمَلِ مِنَ الخيرِ يَعْمَلُ به ولا يعمَلُ بِمِثْله . فقال رسول الله ﷺ : المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ، كَيْفَ ترىٰ في رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً ولم يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فقال رسول الله ﷺ : المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »[٢] .

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : « يا رسولَ الله ؛ الرَّجُلُ يُحِبُّ القومَ ولا يستطيعُ أن يَعْمَلَ بِعَمَلِهِمْ ، قال : أنْتَ يا أبا ذَرٍّ مع مَنْ أحببْتَ . قال : فإني أُحِبُّ اللهَ ورسولَه! قال : فإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . قال : فأعادَهَا أبو ذَرٍّ فأعادَها رسول الله ﷺ »[٣] .

* * *

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه أبو داود .

الخِصَالُ المُكَفِّرَةُ لِلذُّنُوبِ

ومن شَرف هذه الأُمّة المحمدية : أنَّ الله سُبحانه وتعالى فَتح لها من أبواب الخير والبر ما يغْفِرُ لها الذَّنب وَيستُر لها العَيب ، وبعضُ تلك الأعمال فيه ضمانةُ المغفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة .

فمن تلك الأعمال : إسباغُ الوضوء ، قال رسول الله ﷺ : « لا يُسْبغُ الوضوءَ عَبْدٌ ، إلاَّ غَفَرَ اللهُ لهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبه وَما تأخَّرَ »[1] .

ومن ذلك : إجابةُ المؤذن : « قال رسول الله ﷺ : مَنْ قالَ حينَ يَسْمعُ المُؤذِّنَ : أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، رَضِيتُ باللهِ رَبّاً ، وبمحمد رسولا ، وبالإسلامِ دِيْناً ، غُفِرَ له ذنبه »[2] .

وفي مُستخرج أبي عَوانة الإسفراييني على « صحيح مسلم » من رواية سعد بن أبي وقاص : « غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تأخّرَ » فقال رجلٌ متعجباً : يا سعدُ ، ما تقدَّمَ من ذَنْبِه وما تأخَّرَ؟ فقال : هكذا سمعتُه من رسول الله ﷺ .

ومن ذلك : صَلاةُ التَّسابيحِ ، وفيها أنَّ من فَعلها يُغفر له ذَنبُه أولُه

---

(١) أخرجه النسائي والبزار في « مسنده » ، وأصل الحديث في « الصحيح » لكن ليس فيها وما تأخر .

(٢) رواه مسلم .

وآخرُه ، قَديمُه وَحديثُه ، خَطؤُهُ وَعمدُهُ ، صَغيرُه وَكبيرُه ، سِرُّه وعَلانيتُهِ .

وقد ذكرنا هذه الصلاة في موضعٍ آخر من هذا الكتاب .

ومن ذلك : التّأمينُ في الصَّلاة ، فقد قال ﷺ : « إذا أمَّنَ الإمامُ فأمِّنُوا ، فإنّ الملائِكةَ تُؤَمِّنُ ، فَمَنْ وافَقَ تأمينُهُ تأمينَ المَلائِكَةِ ، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه »[1] .

وفي « مصنف ابن وهب » : « غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » .

قال الحافظ ابن حجر : هكذا رويناهُ في المجلس الثاني من « أمالي » عبد الله الجُرجاني .

ومن ذلك : صلاة الضحى : فقد رُويَ : « أنَّ من صلاّها غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر ، إلاَّ القِصَاصَ » .

قال ابن حجر : إنَّ إسنادَهُ ضعيفٌ جداً .

ومن ذلك : القراءة بعد الجمعة .

فقد رُويَ عن النبي ﷺ قال : « من قرأ إذا سَلَّمَ الإمامُ مِنْ صلاةِ الجُمُعَةِ قَبْلَ أن يَثْنِيَ رِجْلَهُ فاتحةَ الكتابِ ، وقل هو الله أحَد ، وقُلْ أعوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ، وقل أعوذ برب الناسِ سبعاً سبعاً ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ ، وأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ بِعَدَدِ مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ »[2] .

وفي « مصنف ابن أبي شيبة » عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما : « من قَرأ بعدَ صلاةِ الجمعةِ فاتحةَ الكتاب ، وقل هو الله

---

(١) أخرجه مسلم . وهو عند البخاري ومالك وأصحاب السنن .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : هكذا رواه أبو الأسعد القشيري وفيه ضعف .

أحدٌ ، وقُلْ أعوذ بربِّ الفَلَقِ ، وقل أعوذُ بِربِّ الناسِ ، حُفِظَ ما بينَه وبين الجمعةِ الأخرى » .

وذكر أبو عبيد مثله من غير ذكر الفاتحة ، وقال : « حُفِظَ أو كُفِيَ من مجلسه ذلك إلى مثله » .

ومن ذلك : فَضلُ القِيام في رمضان .

فقد جاء : « أنَّ من قام في رمضَانَ إيماناً واحتساباً ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه »[١] .

وفي روايةٍ : « ما تقدم من ذنبه وما تأخر »[٢] .

ومن ذلك : فَضلُ القِيام ليلة القَدر .

فقد جاء في « الصحيح » : « أنَّ من قَامها غُفر له ما تقدم من ذنبه » ، وفي رواية : « ما تقدم من ذنبه وما تأخر »[٣] .

ومن ذلك : فَضلُ صِيام عَرفة .

فقد جاء في « صحيح مسلم » عن النبي ﷺ : « أنَّ صيامَ يومِ عرفَةَ ، يُكَفِّرُ ذُنوبَ السَّنَةِ الماضيةِ والمستقبَلَةِ » .

وفي روايةِ الحافظ أبي سعيد النقاش ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من صام يوم عَرفة ، غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه : « الخِصالِ المُكفِّرة لِلذُّنوب » .

ومن ذلك : الإهلالُ من المسجد الأقصى .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائي .

(٣) رواه الإمام أحمد والطبراني في « الكبير » .

فقد جاء في الحديث عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال : « مَنْ أَهَلَّ بحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الأَقْصىٰ إلى المَسْجِدِ الحرامِ ، غُفِرَ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأَخَّرَ ، أو وَجَبَتْ لهُ الجَنَّةُ » شك عبد الله . ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » وقال فيه : « غُفِرَ له ما تقدَّم من ذَنْبِه وما تأخَّرَ ، ووجَبَتْ له الجنةُ » .

ومن ذلك : ما جَاء في فَضل الحجّ الخالص .

جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا خَرَجَ الحاجُّ من بيتِه كانَ في حِرْزِ الله تعالى ، فإن ماتَ قبل أنْ يَقْضِيَ نُسُكَهُ وقع أجرُهُ على اللهِ ، وَإِنْ بَقِيَ حتَّى يَقْضِيَ نُسُكَهُ ، غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تأَخَّرَ . وإنفاقُ دِرْهَمٍ في ذلك الوجْهِ ، يَعْدِلُ أَلْفَ أَلْفٍ فيما سِواهُ في سبيل الله » .

وفي روايةٍ : « من قَضىٰ نُسُكَهُ وسَلِمَ المسلمونَ من لِسانِه ويَدِه ، غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذَنْبه وما تأَخَّرَ » .

ومن ذلك : الصَّلاةُ خَلف مقام إبراهيم عليه السلام .

فقد ذكر القاضي عياض في « الشفا » : أنَّ مَنْ صَلّى خَلْفَ مقامِ إبراهيمَ ركعتينِ ، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأَخَّرَ ، وحُشِرَ يومَ القيامةِ من الآمِنِيْنَ[1] .

ومن ذلك : قِراءةُ سورةِ الحشر وتعليم الرجل ولده القرآن ، وفي ثبوتهما خلافٌ كبيرٌ بين المحدثين .

ومن ذلك : فَضلُ التَّسبيح والتهليل والتكبير .

---

(١) رواها الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه : « الخصال المكفِّرة للذنوب » ولم يذكروا تخريجاً لها .

فقد روي : « أنَّ من سبَّحَ مِائَةً وحَمِدَ مِائَةً وكبَّرَ مائة ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّر »[١] .

ومن ذلك : « أنَّ من قادَ مَكْفُوفاً أربعينَ خَطْوَةً ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِه وما تأخَّرَ »[٢] .

ومن ذلك : فَضلُ السَّعي في حَاجةِ المُسلم .

وقد جاء في الحديث : « أنَّ من سَعىٰ لأخيهِ المسلم في حاجةٍ ، قُضِيَتْ لَهُ أو لم تُقْضَ ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ ، وكُتِبَ له بَراءتانِ : بَراءةٌ من النارِ ، وبراءةٌ من النفاقِ » والحديث بشواهده يَصلحُ للاعتبارِ .

ومن ذلك : ما جاء في فَضل المُصافحةِ عن النبي ﷺ حيث قال : « ما مِنْ عبدَيْنِ مُتَحَابَّيْنِ في الله ـ وفي رواية ـ ما مِن مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ وَيُصَلِّيَانِ على النبي ﷺ ، إلاَّ لَمْ يَفْتَرِقا حَتّى يُغْفَرَ لَهُما ذنوبُهُما ما تقدَّمَ منها وما تأخَّرَ »[٣] .

ومن ذلك : ما جَاء في فَضلِ الحَمد عَقب الأكل .

فقد جاء في الحديث : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « من أكَلَ طعاماً ثم قال : الحمدُ لله الذي أطعَمَني هذا الطعامَ ورزَقَنِيهِ من غيرِ حَوْلٍ منِّي ولا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن حجر : رواه ابن حبان في فوائده [قلت] وقد رواه أحمد والنسائي بألفاظ مختلفة .

(٢) قال الحافظ ابن حجر : قال ابن منده : وهو غريب ، وقال الإمام أحمد وابن معين وأبو داود : رواته ثقات .

(٣) أخرجه ابن حبان ورواه أيضاً الإمام أحمد والبزَّار وأبو يعلى باختلاف بعض ألفاظه عن أنس ورجال أحمد رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وثّقه ابن حبان ولم يضعّفه أحد قاله الهيثمي .

قُوَّةٍ ، غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخَّرَ »[1] .

ومن ذلك : فَضلُ التَّعمير في الإسلام .

فقد رُويَ أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إذا بَلَغَ المرءُ المسلِمُ أربعين سَنَةً ، صَرَفَ اللهُ عَنْهُ ثلاثةَ أنواعٍ من البلاءِ : الجنونَ والجُذامَ والبَرَصَ ، فإذا بَلَغَ خَمْسِيْنَ سَنَةً خَفَّفَ اللهُ عَنْهُ ذنوبَهُ ، فإذا بلَغَ سِتِّيْنَ سنةً رزَقَهُ اللهُ الإِنابَةَ إليه ، فإذا بَلَغَ سبعين سنة أَحَبَّته الملائكةُ » ـ وفي رواية : أهلُ السماءِ ـ فإذا بلَغَ ثمانين سَنَةً أُثبِتَتْ حسَناتُه ومُحِيَتْ سَيِّئَاتُه ، فإذا بَلَغَ تِسْعِين سنةً غَفَرَ اللهُ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ ، وسُمِّيَ أسيرَ اللهِ في أرْضِه ، وشُفِّعَ لأهلِ بَيْتِه » والحديث بِطُرقهِ يَصلحُ للاعتبار .

* * *

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن غريب قال الحافظ ابن حجر في كتابه « الخصال المكفرة للذنوب » : إسناده حسن .

سَعَةُ رَحمةِ الله لهذهِ الأُمّةِ بفَتحِ أَبوابِ التَّوبةِ

ومن شرف هذه الأُمّة وفضلها : ما جعله الله تعالى لها من سعة أبواب رحمته ، وعظيم تفضّله بفتح أبواب التوبة والترغيب فيها ، والحثّ على المبادرة إليها .

قال ﷺ : « إنَّ اللهَ عز وجل يَبْسُطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مُسِيءُ النهارِ ، ويبْسُطُ يدَه بالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيْءُ الليلِ ، حتى تطلُعَ الشمسُ من مغرِبها »(١) .

وقال ﷺ : « من تابَ قبل أن تطلُعَ الشمسُ من مغرِبها ، تابَ اللهُ عليه »(٢) .

وقال ﷺ : « إنَّ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ لَباباً مَسِيرةُ عَرْضِه أربعون عاماً أو سبعون سَنَةً فَتَحه الله عزّ وجلّ للتَّوبةِ يومَ خلقَ السماواتِ والأرض فلا يُغْلِقُهُ حتى تطلُعَ الشمسُ منه »(٣) .

وقد فَتَح لنا ﷺ باب الرجاء وَحُسنِ الظَّنِّ بالله سبحانه وتعالى بقوله : « لو أَخطَأْتُمْ حتَّى تَبْلُغَ خطاياكم السَّماءَ ثم تُبْتُمْ لتابَ اللهُ عليكم »(٤) .

---

(١) رواه مسلم والنسائي .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذي : والبيهقي واللفظ له وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

(٤) رواه ابن ماجه .

وقوله ﷺ : « كُلُّ ابنِ آدَمَ خَطَّاءٌ ، وخير الخطَّائين التَّوَّابُونَ »[1] .

وقوله ﷺ : « إنَّ عبداً أصابَ ذنباً فقال : يا ربِّ ، إنِّي أَذْنَبْتُ ذنباً فاغْفِرْه لي فقال له ربُّه : علِم عَبْدي أنَّ له ربًّا يَغْفِرُ الذنبَ ويأْخُذُ به ، فغَفَر له ، ثم مكثَ ما شاء الله ثم أصاب ذَنْباً آخَرَ وربما قال : ثم أذْنَب ذنباً آخر فقال : يا رب ، إني أذنبت ذنباً آخر فَاغفِرهُ لي . قال ربه : عَلمَ عبدي أنَّ لهُ ربّاً يغفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ به ، فغفَر له . ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال : ثم أذْنَب ذنباً آخر فقال : يا رب ، إني أذنَبْتُ ذنباً فاغفِرْهُ لي ، فقال ربه : عَلمَ عبدي أنَّ له رباً يغفِرُ الذنبَ ويأخذ به ، فقال ربه : غفَرْتُ لعبدي فَلْيعمَلْ ما شاء »[2] .

ومعنى قوله : « فليعمل ما شاء » ، أي أنه بعد هذا العفو المُتكرر وتلك المغفرة المتتابعة ، سيحصل عنده بفضلِ الله من الحَياءِ ما يمنعُه عن المُخالفة ويحجزهُ عن المعصية ، وذلك ببركة استغفاره وتوبته . وهذا يَدلُّ على فَضلِ الاستغفار والتوبة ، وأن مُلازمتها والحرصَ عليها والاشتغال بها ، تَعُود على العبد بخيراتٍ كبيرةٍ وبركاتٍ عظيمةٍ . منها : عَظيمُ حَيائه من الله الذي يُعِفّهُ عن المعاصي والمخالفات ، حتى لو قيل له فرضاً : افعل ما شئت من المعاصي ، فإنه لا يفعل . هذا هو المعنى الذي وَقع في قلبي ، وقيل غيرُ ذلك .

ومن خصائص هذه الأُمّة : أنَّ التوبةَ الصادقة تَرفعُ العبد إلى أعلى درجات الكمال ، وأرفع مراتب الجلال ، فيعلو ويعلو ، بل قد يَزيدُ على كثيرٍ من أرباب الأعمال وَالمُجاهدات .

عن عمران بن حُصين رضي الله عنه : أن امرأةً من جُهينةَ أتت

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

رسول الله ﷺ وهي حُبْلى من الزِّنا ، فقالت : يا رسولَ اللهِ ، أصَبْتُ حدّاً فأقِمْهُ عليَّ ، فدعا نبيُّ الله ﷺ وَلِيَّها فقال : أحْسِنْ إليها ، فإذا وَضَعَتْ فَأْتِني بها ، ففَعَل ، فأمرَ بها نبيُّ الله ﷺ فشُدَّتْ عليها ثِيابُها ، ثم أَمرَ بها فرُجِمت ، ثم صَلّىٰ عليها ، فقال له عُمر : تُصَلّي عليها يا رسول الله وقد زَنَتْ؟ قال : لقد تابَتْ توبةً لو قُسِّمَتْ بين سبعينَ من أهلِ المدينةِ لَوَسِعَتْهُم ، وهل وجدْتَ أفضل من أن جَادَتْ بنفْسِها لله عز وجل؟ »[1] .

ومن مَزايا هذه الأُمّة : أنَّ العبد إذا تاب ، أنسىٰ اللهُ تعالى الملائكةَ الذين يُحْصُون سيِّئاتِه ذنوبَه ، وأنسىٰ جوارحَه وآثارَه ذلك ، حتى يلْقىٰ الله تعالى يومَ القيامةِ وليس عليه شاهدٌ من الله بذنبٍ »[2] .

وقد جاء في الحديث : « التَّائبُ من الذنْبِ ، كمن لا ذَنْبَ له »[3] .

« بل إن مُجرد الندم ، تَوبة »[4] . وجاء عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما عَلم الله من عبدٍ ندامةً على ذنبٍ ، إلاَّ غَفَر له قبل أن يسْتَغْفِرَه منه »[5] .

وقد بَشّر الله سبحانه وتعالى هذه الأُمّة بقبول التوبة والترغيب في عدم اليأس وقذف الرجاء والأمل في قلوب العُصاة فقال : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقال في الحديث : « والَّذي نفسِي بيدِه ، لو لم تُذْنِبوا وتستَغْفِروا

---

(١) رواه مسلم .
(٢) جاء ذلك في حديث رواه الأصبهاني .
(٣) رواه ابن ماجه والطبراني .
(٤) رواه ابن حبان في « صحيحه » .
(٥) رواه الحاكم .

لذهَب اللهُ بكم ولَجاء بقومٍ يُذْنِبون فيسْتَغفِرون اللهَ ، فيغفِرُ لهم »[1] .

وأخبر ﷺ أنَّ المولى عز وجل يَفرحُ بتوبة عبده أشدَّ الفَرَح فقال : قال الله عزّ وجلّ : « أنا عندَ ظنِّ عبدي بي ، وأنا معَه حيثُ يذْكُرُني . واللهِ لَلّٰهُ أفرحُ بتوبةِ عبدِه مِنْ أحدِكم يَجِدُ ضالَّتَهُ بالفَلاةِ ، ومَنْ تقَرَّبَ إليَّ شِبْراً تقرَّبْتُ إليه ذراعاً ومن تقرَّبَ إليَّ ذراعاً تقرَّبْتُ إليه باعاً ، وإذا أقبَلَ إليَّ يمشِي أقبلْتُ إليه أُهَرْوِلُ »[2] .

وَمعلومٌ أنَّ هذا التقربَ المشار إليه بالشبر والذراع والباع والمشي والهرولة ، ليس على حَقيقتِه المُتصوَّرة في الذهن البشري ، والدَّليل على ذلك : ما جاء في الحديث الآخر ، وهو أنَّ النبي ﷺ بعد أن نقَل هذا الحديثَ قال : « واللهُ أعْلىٰ وأجَلُّ ، والله أعْلىٰ وأجلُّ ، واللهُ أعلىٰ وأجلُّ »[3] .

فقوله : « والله أعلىٰ وأجلُّ » أكبرُ دَليلٍ ، وَأعظمُ بُرهانٍ على أنَّ حقيقة اللفظ المتبادرة إلى الذهن ، غير مُرادةٍ قطعاً .

ومعنى الحديث : أنَّ الله تعالى يَرضىٰ بتوبة عبده وَيفرحُ أشدَّ مما يَرضىٰ ويَفرحُ رَجلٌ ضَاعت عليه نَاقته بصحراء منقطعة ، ثم وجدها وعليها طعامه وشرابه ومتاعه ، وكان قد يئس منها يأساً استسلم معه إلى الموت . وَيصوّر ﷺ شدَّة فرح هذا الرجل بقوله : ثم قال من شدَّة الفَرَحِ : « اللَّهُمَّ أنت عبدي وأنا ربُّك ، أخطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفرحِ »[4] .

وجاء في الحديث عن أبي طويل شطْب الممدود أنه أتىٰ النبي ﷺ

---

(١) رواه مسلم وغيره .
(٢) رواه مسلم واللفظ له والبخاري بنحوه .
(٣) رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن .
(٤) رواه مسلم .

فقال : « أرَأيت مَنْ عمِلَ الذنوبَ كلَّها ولم يترُكْ منها شيئاً وهو في ذلك لم يترُكْ حاجَةً ولا داجةً إلاّ أتاها ، فهل لذلكَ منْ توبةٍ؟ قال : فهل أَسلَمْتَ؟ قال : أمّا أنا ، فأشهَدُ أن لا إله إلاّ الله وأنك رسول الله . قال : تفعلُ الخيراتِ وتترُكُ السَّيئاتِ ، فيجعلُهُنّ الله لك خيراتٍ كلَّهُنَّ . قال : وغَدَراتي وفَجَراتي؟ قال : نعم . قال : الله أكبرُ . فما زال يُكبِّرُ حتى تَوارىٰ »[1] .

* * *

(١) رواه البزار والطبراني .

ومعنى قوله : ولم يترك حاجة ولا داجة أي الحاجة الصغيرة والحاجة الكبيرة .

ومعنى غدراتي : أي أفعالي الذميمة التي نقضت فيها العهد وخنت .

ومعنى فجراتي : ارتكابي المعاصي وفعلي الموبقات .

ومعنى : حتى توارى : أي اختفى عن أعين الناظرين .

فَضلُ البُكاءِ مِن خَشيةِ الله

ومن شَرف هذه الأُمّة المحمدية : ما جَاء في فَضلِ البُكاء من خَشية الله ، وقد أخبر ﷺ أنَّ الباكي من خَشية الله هو من السَّبعة الذين يُظلُّهم الله تعالى في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلاَّ ظلُّه ، وأنه لا يُعذّب يوم القيامة .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : عينانِ لا تمسهما النارُ : عَينٌ بكتْ من خشيةِ الله ، وَعينٌ باتتْ تحرُسُ في سبيلِ اللهِ »[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بَكىٰ من خشيةِ اللهِ ، حتَّى يعودَ اللَّبَنُ في الضَّرْع ، ولا يجْتمع غُبارٌ في سبيلِ الله ودخان جهنَّمَ »[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ [النجم : ٥٩ـ٦٠] بَكىٰ أصحاب الصُّفّة حتى جَرت دموعهم على خدودهم ، فلما سمع رسول الله ﷺ حِسَّهم ، بَكىٰ

---

(١) رواه الترمذي. وقوله : « تحرس في سبيل الله » أي ظلَّت طول ليلها يقظة ساهرة ترقب جيوش الأعداء على كثب وتحفظ مكامن جيوشها .

(٢) رواه الترمذي والنسائي والحاكم. ومعنى « ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم » أي أن من جاهد في سبيل الله ، وحضر المعارك وجاهد لا يشم دخان النار أبداً .

معهم ، فبكينا ببكائه فقال رسول الله ﷺ : « لا يَلِجُ النارَ مَنْ بَكىٰ من خَشْيَةِ اللهِ ، ولا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مُصِرٌّ على معصِيَةٍ ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ الله بقومٍ يُذْنِبُونَ ، فَيَغْفِرُ لهم »[1] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : كل عَينٍ باكيةٌ يومَ القيامةِ ، إلاَّ عينٌ غَضَّتْ عن محارمِ الله ، وعَينٌ سَهرت في سبيلِ اللهِ ، وَعينٌ خرجَ منها مثلُ رأسِ الذُّباب من خشيةِ الله عز وجل »[2] .

عن مُسلم بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا اغْرَوْرَقَتْ عينٌ بمائها ، إلاَّ حرَّم اللهُ سائرَ ذلك الجسدِ عَنِ النارِ ، ولا سالَتْ قطرةٌ على خَدِّها ، فيرهَقَ ذلك الوجْهَ قَتَرٌ ولا ذِلَّةٌ ، ولو أنَّ باكياً بكىٰ في أُمَّةٍ من الأممِ رُحِمُوا ، وما من شَيءٍ إلا له مقدارٌ وميزانٌ ، إلاَّ الدَّمعة فإنه تُطْفَأُ بها بِحارٌ من نارٍ »[3] .

وقد أخبرنا ﷺ أنَّ تلك الدُّموع التي تَكونُ بسبب الخوف من الله ، هي أَحبُّ إلى الله سبحانه وتعالى ، فقال : « ليس شَيءٌ أحبَّ إلى اللهِ ، مِنْ قَطْرَتَيْنِ وأثَرَيْنِ ، قَطْرَةِ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وقطرةِ دَمٍ تُهْراقُ في سبيل الله ، وأمّا الأثَران : فأثرٌ في سبيل الله ، وأثرٌ في فَريضةٍ من فرائضِ اللهِ عزَّ وجلَّ »[4] .

* * *

---

(١) رواه البيهقي .
(٢) رواه الأصبهاني .
(٣) رواه البيهقي . قوله « يرهق » : أي يغطى بشدة . وقوله « قتر » : دخان صاعد .
(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن .

فَضلُ حُسن الظَّنّ بالله وَعظِيمُ الرّجاءِ فيه

ومن فَضائل هذه الأمّة المحمدية : ما جعلهُ الله تعالى لها من الثّواب العظيم والأجر الكبير على حُسن الظَنّ به ، وَعظيم الرجاءِ في فَضله .

جاء في الحديث القُدسي : أنَّ الله تعالى يقول : ﴿يا ابْنَ آدمَ ، إنَّكَ ما دعوتَني ورجوتَني غفَرْتُ لك علىٰ ما كان منكَ ولا أُبالي ، يا ابنَ آدمَ ، لو بلَغتْ ذنوبُك عَنانَ السماءِ ثم استغْفَرْتَني غفرتُ لك ، يا ابنَ آدمَ ، لو أَتيتَني بقُرابِ الأرْضِ خَطايا ثم لقيتَني لا تشركُ بي شيئاً ، لأتَيْتُكَ بها مغفرة﴾[1] .

وجاء : « أنَّ حُسْنَ الظنِّ ، من حُسْنِ العبادةِ »[2] .

وَحُسن الظن بالله ، مُحَتَّمٌ عند الموت . لذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « لا يَموتَنَّ أحدُكم ، إلاَّ وهو يُحْسِنُ الظنَّ بالله عز وجلّ »[3] .

ودخل النبي ﷺ على شابٍّ وهو في الموت فقال : « كيف تَجدُك؟ قال : أرجو الله يا رسولَ الله ، وإني أخافُ ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : لا يجتمعان في قَلبِ عَبدٍ في مثلِ هذا الموطِنِ ، إلاّ أعطاهُ الله ما يَرْجُو ، وأمَّنَهُ مما يخافُ »[4] .

---

(١) رواه الترمذي. وقوله : « قراب الأرض » أي ما يقارب ملأها .

(٢) رواه أبو داود. وابن حبان .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذي. وابن ماجه وابن أبي الدنيا .

وعن حَيّان أبي النَّضر قال : خَرجتُ عائداً ليزيد بن الأسود ، فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يُريد عيادته ، فَدخلنا عليه . فلما رأى واثلةَ ، بسط يده وجعل يُشير إليه ، فأقبل واثلةُ حتى جلس ، فأخذ يَزيدُ بكفَّيْ واثلة فجعلهما على وجهه . فقال له واثلة : كيف ظنكَ بالله؟ قال : ظني بالله ِوالله ِحَسنٌ . قال : فأبشِرْ ، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « قال الله جلّ وعلا : أنا عندَ ظَنِّ عبدي بي ، إنْ ظَنَّ خيراً فله ، وإن ظنَّ شرّاً فله »[1] .

ومعنى قوله : « أنا عند ظن عبدي بي » ، أي : أحقِّق له ما يَظنهُ فيَّ من قَبول رجعتِه ومغفرةِ خطيئته ، وإجابة دعوته .

وَمعلومٌ أنَّ العبد لا يَحصُل له ذلك إلاَّ إذا كَمُل فيه حُسن ظنه بربّه ، فإذا كَمُلَ حُسن ظنه بربّه ، حصل منه ما يُناسب ذلك من صِدق الإقبال وصحة التوبة ، وكثرة الاستغفار والدعاء ، وَطرق أبواب الخير ، فهذا كلهُ من ثمرات حُسن الظن ، وإذا حصل ذلك منه ؛ كيف لا يكون عنده مَولاهُ؟ وكيف لا يُحقق ظنَّه وَرجاءه؟ .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « والذي لا إلهَ غيرُه ، لا يُحسِنُ عبدٌ بالله ِالظنَّ ، إلاَّ أعطاهُ ظَنَّهُ ، وذلك لأنَّ الخيرَ في يدِه »[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أمَرَ اللهُ عز وجل بعبدٍ إلى النارِ ، فلما وقَف على شفَتِها التفَتَ فقال : أما والله يا ربِّ ، إن كان ظنّي بك لَحَسَنٌ ، فقال الله عز وجل : رُدُّوه أنا عند حُسْنِ ظنِّ عبدي بي »[3] .

* * *

---

(1) رواه أحمد وابن حبان في « صحيحه » والبيهقي .

(2) رواه الطبراني .

(3) رواه البيهقي .

مُضَاعفَةُ ثَوابِ العَامِلينَ في زَمانِ الفِتنة

ومن شَرف هذه الأُمّة المحمدية : أنَّ العمل الصالح يَتضاعَفُ ثَوابه عند فَساد الزمان ، حتى إنّ العامل في زمن الفِتنة ، له أجر خمسين رجلاً يعملونَ مثل عمله .

قال ﷺ : « ائْتَمِروا بالمعروفِ وانْتَهُوا عن المنكر حتى إذا رأيتَ شحًّا مُطاعاً وهوىً مُتَّبعاً ودنيا مُؤْثَرَةً وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ بِرَأْيِه ، فعليكَ بنفسِك ودَعْ عنك العوامَّ ، فإنَّ من ورائِكم أيامَ الصَّبرِ ، الصبرُ فيهِنَّ مثلُ القَبضِ على الجمْرِ ، للعاملِ فيهن مثلُ أجرِ خمسين رجُلاً يَعملُونَ مثلَ عملِه »[1] .

وفي روايةٍ : « قيل : يا رسول الله ، أجر خمسين رجلاً مِنّا أو منهم؟ قال : أجرُ خمسين منكم »[2] .

وقوله في الحديث : « فإن من ورائكم أيام الصبر » الحديث ، أي : أنَّ كَبح جِماح النفس عن المعاصي صَعبٌ مرٌّ ومحرقٌ مثل القَبض على النار ، ولكنّ في ذلك ثواباً لمن أتقى الله واجتنب صُحبة الفُسّاق والأشرار ، فَالعابدُ يُعطيه الله أجر خمسين ممن عمل مثله .

وجاء عنه ﷺ : « أن العبادةَ في زمنِ الفتنةِ ، تُساوي في الثَّوابِ الهجرةَ إليه »[3] .

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وأبو داود بزيادة .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه مسلم .

فَضلُ الغَنيِّ الشَّاكرِ وَالفَقيرِ الصَّابرِ

ومن شَرف هذه الأُمّة المحمدية : أنَّ الفَضل والثَّواب يشملُ الغَنيّ الشاكر والفقير الصابر ، فأمّا الغنيّ : فَبإنفاقهِ السَّخي وإحسانه إلى إخوانه ، يُقرض هذا وَيجبرُ كَسر هذا ، وَيسُدّ دَين هذا ، ويَبذلُ في سبيل الإِسلام وَنُصرة الدِّين وَمُساعدةِ المجاهدين .

وأما الفقير : فَبصبرهِ وَقناعته وَرِضاه ، مع تَوفُّر دواعي الشر عنده من الحِقد والحَسدِ والطَّمعِ والاعتراض والقلق ، وارتكاب المحرمات من السَّرقة والربا والخِداع وأكل أموال الناس بالباطِل وغير ذلك ، وَيحتمل أنه طَرق أبوابَ الدنيا وَحاول الوُصُولَ ونافسَ الفُحول ، ولكنه لم يُفلح ولم يَنجح ، كما هو المشاهد من الواقع الناطق المحسوس . فكم من الفُقراء لم يُقَصّروا في الأخذِ بالأسباب ، بذلوا وسعهم وأتعبوا فكرهم في الاحتيال ، فباؤوا بالفشل وَسُوءِ الحَال . فَهؤُلاءِ بَشَّرهم سيدنا رسول الله ﷺ ببشاراتٍ تُعوِّضهم ما فَاتهم ، وَتجمعُ لهم ما ذَهب عنهم ، وَتجبرُ خَاطرهم المنكسر في الدنيا بخير الآخرة ، لأنَّ الله تعالى أكرَمُ من أن يَجمع عليهم خَسارتين ، وَيُتْعِسَهم مرتين .

ولذلك يقول ﷺ : « اطَّلعْتُ في الجنةِ فرأيتُ أكثَرَ أهلِها الفقراءَ »[1] .

---

(١) رواه أحمد .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : « هل تدْرُون أوّلَ مَنْ يدخُلُ الجنةَ مِنْ خلقِ الله عزّ وجلّ؟ قالوا : اللهُ ورسولُه أعلمُ . قال : الفُقراء المهاجرون الذين تُسَدُّ بهم الثُّغورُ ، وتُتَّقىٰ بهم المَكارِهُ ، ويموت أحدُهم وحاجتُه في صدرِه لا يَستطيعُ لها قضاءً . فيقول الله عزّ وجلّ لمن يشاءُ من ملائكتِه : ائتُوهم فَحيُّوهم ، فتقول الملائكة : ربَّنا نحنُ سُكّانُ سمائِك وخِيرَتُك من خلْقِك ، أفتأمُرنا أن نأتِيَ هؤلاء فنسلِّمَ عليهم؟! قال : إنهم كانوا عِباداً يعبدُونني ولا يشركون بي شيئاً ، وتُسَدُّ بهم الثُّغورُ وتُتَّقىٰ بهم المَكارهُ ، ويموت أحدهم وحاجتُه في صدرِهِ لا يستطيع لها قضاءً . قال : فتأتيهم الملائكةُ عند ذلك ، فيدخلون عليهم من كُلِّ بابٍ ، سلامٌ عليكم بما صبَرْتم فنِعْمَ عُقْبىٰ الدارِ »[1] .

عن ثَوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ حوضي ما بين عَدْن إلى عمَّانَ ، أكوابُه عددُ النجومِ ، مَاؤُه أشَدُّ بياضاً من الثلْجِ وأحلىٰ من العسلِ ، وأكثرُ الناسِ وُروداً عليه فُقَراءُ المهاجرين ، قلنا يا رسول الله ، صِفْهُم لنا ، قال : شُعْث الرؤُوسِ ، دُنْسُ الثيابِ ، الذين لا ينكِحون المتنعِّماتِ ولا تُفْتَح لهم السُّدَد ، الذين يُعْطون ما عليهم ولا يُعطَون ما لهم »[2] .

---

(١) رواه أحمد والبزار وابن حبان .

قوله : « تسد بهم الثغور » أي يكونوا عرضة لصد هجمات الأعداء ، وحصوناً قوية منيعة لرد الخصوم الكفّار الفجّار .

(٢) رواه الطبراني وابن ماجه والترمذي بنحوه .

قوله : « شعث الرؤوس » أي رؤوسهم متغيِّرة متلبِّدة .

قوله : « دنس الثياب » أي ملابسهم بالية قذرة .

قوله : « المتنعمات » أي السيدات المترفة اللاتي لا يساعدن على تقوى الله =

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يجتمعون يوم القيامة فيقال : أين فقراءُ هذه الأُمّةِ؟ قال : فيقال لهم : ماذا عمِلْتم؟ فيقولون : ربَّنا ابْتُلِينَا فصَبرْنا ، ووليّتَ الأموالَ والسلطانَ غيرنَا ، فيقول الله جل وعلا : صدقْتُم ، قال : فيدخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ الناسِ ، ويبقىٰ شِدَّةُ الحسابِ على ذوي الأموالِ والسلطانِ ، قالوا : فأين المؤمنون يومئذ؟ قال : يُوضَعُ لهم كَراسِيُّ من نورٍ ، ويظَلَّل عليهم الغمامُ يكون ذلك اليومُ أقصرَ على المؤمنين من ساعةٍ من نهار »[1] .

وعن سعيد بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنَّ فُقراءَ المسلمين يزفُّون كما تزفُّ الحمامُ ، فيقال لهم : قِفوا للحسابِ ، فيقولون : واللهِ ما تركْنا شيئاً نُحاسَبُ ، فيقول الله عزّ وجلّ : صدَقَ عبدي ، فيدخُلُون الجنَّةَ قبلَ الناسِ بسبعينَ عاماً »[2] .

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « كنت عند رسول الله ﷺ يوماً فطلعت الشمسُ فقال : يأتي قومٌ يومَ القيامةِ نورُهم كنورِ الشمْس ، قال أبو بكر : نَحن هُم يا رسول الله؟ قال : لا ، ولكم خيرٌ كثيرٌ ، ولكنهم الفقراءُ المهاجرون الذين يُحْشَرون من أقطارِ الأرضِ »[3] ، الحديث .

وعن حارثة بن وَهْب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ

= ومعنى قوله : « ولا تفتح لهم السدد إلخ » أي يؤدون الواجب وحقوق الناس كاملة وحقوقهم مهضومة وأموالهم يطمع الناس فيها لتسامحهم ولعكوفهم على العبادة .

(١) رواه الطبراني وابن حبان .

(٢) رواه الطبراني وابن حبان .

(٣) رواه أحمد والطبراني .

يقول : « ألا أخبِرُكم بأهلِ الجنَّةِ؟ كلُّ ضَعيفٍ مُسْتَضْعَفٍ ، لو يُقْسِمُ على الله لأَبَرَّه . ألا أخبركم بأهلِ النارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُستكبرٍ »[1] .

وقد بيّن ﷺ حقيقة الغنى وحقيقة الفقر بقوله لأبي ذرٍّ رضي الله عنه :

« يا أبا ذرٍّ ، أتَرىٰ كثرةَ المال هو الغِنىٰ؟ قُلت : نعم يا رسول الله ، قال : فَترى قِلّة المالِ هو الفقرُ؟ قُلت : نعم يا رسول الله ، قال : إنَّما الغِنىٰ غنىٰ القلبِ ، والفقرُ فقرُ القلب » الحديث .

عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه : « أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا صلّى بالناس ، يَخِرُّ رجالٌ من قامَتِهم في الصلاة من الخَصاصةِ ، وهم أصحاب الصُّفَّةِ ، حتى يقولَ الأعرابُ : هؤلاء مَجانِينُ أو مَجانُوْنَ . فإذا صَلّى ﷺ انصرف إليهم فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله ، لأَحْبَبْتُمْ أنْ تزْدادوا فَاقةً وحَاجةً »[2] .

* * *

(١) رواه النسائي وابن حبان .

(٢) رواه الترمذي وابن حبان .

فَضلُ الزُّهدِ في الدُّنيا والإِقبالِ على الآخرةِ

ومن فَضلِ هذه الأُمّة : ما بشّر به ﷺ المُقبلين على طَاعة الله المُشمّرين في رضاه وطلب جنته ، المسارعين إلى مغفرته ورحمته ، الراغبين في الآخرة ، المعرضين عن الدنيا ، بشَّرهم بالغنىٰ وجمع الشَّمل ومحبّةِ الناس ومودّتهم لهم ، وتيسير أمرهم وتسخير الدنيا لهم ، وكفايةِ الله لهم .

جَاء في الحديث القدسي : « يا ابنَ آدمَ ، تَفرَّغْ لعبادتي أمْلأْ قلبَك غِنىً ، وأَمْلأْ يديك رِزقاً . يا ابنَ آدمَ ، لا تُباعِدْ مني أمْلأْ قلبك فقْراً ، وأملأْ يديك شُغلاً »[1] .

وبقوله ﷺ : « تفرَّغوا من هُمومِ الدنيا ما استطعْتُم ، فإنه مَنْ كانت الدنيا أكْبرَ هَمِّه ، أفْشىٰ الله ضَيْعتهُ وجعلَ فقْرَه بينَ عينيه ؛ ومن كانت الآخرةُ أكبرَ همِّه ، جمعَ اللهُ عزّ وجلّ له أمورَهُ وجعل غِناهُ في قلبه ؛ وما أقبلَ عبدٌ بقلبه إلى الله عزّ وجلّ ، إلاّ جعَل اللهُ قلوبَ المؤمنين تَفِدُ إليه

---

(١) رواه الحاكم .

قوله : « أملأ قلبك غنى » أي قناعة وبسطة ورخاء وسعة .

وقوله : « أملأ يديك شغلاً » أي أجعل أعمالك كثيرة بلا فائدة وأسلط عليك الدنيا تسخرك بجشعها .

بالوُدِّ والرحمة ، وكان الله عزّ وجلّ إليه بكلِّ خيرٍ أسْرَعَ »[1] .

وبقوله ﷺ : « من كَانت الدُّنيا نِيَّتَهُ ، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أمْرَهُ وجَعَلَ فَقْرهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَلَمْ يَأْته مِن الدنيا إلاَّ ما كُتِب له ، ومن كانت الآخرة نيَّته ، جَمع الله له أَمرهُ وجعَل غِناهُ في قلبه ، وأتتْهُ الدنيا وهي رَاغِمةٌ »[2] .

وأعلم ؛ أنه لَيس المُراد من هذهِ الأحاديث حثَّ الناس على ترك العمل والسعي في الدنيا والأخذ بالأسباب ، لا ! .

بل إنَّ العمل والسعي في طلب الدنيا في اعتبار الإسلام ، عِبَادةٌ ما دام أنه يَحفظ به نفسه وأهله وماله ، وَينفعُ إخوانه .

والمقصودُ المعتبرُ عند ذوي البصائر هو ذَمُّ المقبلين على الدنيا إقبالاً يقطعهم عن الآخرة ، بحيثُ تتمكّن من قلوبهم فَتعظم عندهم حتى يَعزّ عليهم إنفاقها ، ويؤلمهم إخراجها ، وتملأ عليهم فراغهم ، حتى تقطعهم عن أهم الواجبات الشخصية والفرائض العينيّة .

وهذا معنى قوله في الأحاديث السابقة : « فإنه من كانت الدنيا أكبر هَمّه » ، أي : نهاية ما يرجو من كَدِّه . وَيُقابله قوله : « ومن كانت الآخرة أكبر هَمّه » ولم يقل : هَمَّهُ ـ ليبينَ أنَّ من اشتغل بشيء من الدنيا للمقاصد المحمودة ، فَعملهُ مَحمودٌ خارجٌ عن المذمّة .

وعلى هذا تُحمل جَميع ألفاظِ الأحاديث الواردة في هذا الباب ، كقوله ﷺ : « مَنْ كانتِ الآخِرَةُ هَمَّه ، جَعلَ اللهُ غِناه في قَلْبه وجَمَعَ له شَمْلَه وأَتَته الدُّنيا وهي راغِمَةٌ ، ومن كانتِ الدُّنيا هَمَّه ، جعلَ اللهُ فقْرَه بينَ عَيْنَيه وفرَّقَ عليه شَمْلَه ولم يَأْتِه من الدنيا إلاَّ ما قُدِّر له »[3] .

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » والبيهقي في « الزهد » .

(٢) رواه ابن ماجه والطبراني .

(٣) رواه الترمذي .

ومعنى قوله : « جعلَ الله فقره بين عينيه » أي : أنه مهما سعىٰ وجمعَ فإنه لا يَرىٰ نفسه إلاَّ فقيراً ، ومهما اجتهد في الدنيا وَتعب ، فإنهُ لا يرىٰ نَفسهُ إلاَّ مُقصِّراً ، ومهما سَهِر وَكدّ ، فإنه يَرىٰ أنه لا زَال مُحتاجاً ، فَيواصِل كَدّهُ وجهدهُ وتَعبهُ مع هذا الشعور والإحساس ، حتى لا يَستقرَّ له بَالٌ ، ولا تَهدأ له نَفسٌ ، ولا يطمئنَّ له قَلبٌ ، ولا تثبتَ له غايةٌ ، بل يجري في هذه الدنيا كالحمار حتى أنه لا يستفيدُ هو من دُنياه هذه بفائدةٍ تَجمعُ عليه نفسه وتقرّ له عينه ، وبهذا يكون قد خَسر الدنيا والآخرة .

* * *

فَضلُ الصَّبرِ على البَلايا

ومن فضائل هذه الأُمّة وشرفها : ما جعله الله تعالى لها من الفَضلِ والثَّوابِ على الصَّبر .

عن أبي مالك الأَشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الطُّهُوْرُ شَطْرُ الإِيمانِ ، والحمدُ للهِ تَمْلأُ المِيزانَ ، وسُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ أو تملأُ ما بين السماءِ والأرضِ ، والصَّلاةُ نورٌ ، والصَّدَقَةُ برهانٌ ، والصَّبرُ ضياءٌ ، والقرآنُ حُجَّةٌ لك أو عليك . كلُّ النّاسِ يَغْدُو فبائِعٌ نفْسَه فمُعْتِقُها ، أو مُوْبِقُها »[1] .

قال العلقمي : قال النووي : مَعناهُ : الصَّبرُ المحبوبُ في الشَّرع ، وهو الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته ، والصبر أيضاً على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا . والمراد : أنَّ الصبر المحبوبَ لا يزالُ صَاحبهُ مستضيئاً مهتدياً مستمرّاً على الصواب .

قال إبراهيم الخوّاص : الصَّبرُ هو الثبات على الكتاب والسُّنّة .

وقال الأستاذ أبو علي الدَّقاق : حقيقة الصبر أن لا يَعترض على المقدور ، فأما إظهارُ البلاء لا على وجه الشكوىٰ ، فلا يُنافي الصبر .

---

(١) رواه مسلم .

قال تعالى في أيوب : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ﴾ [ص : ٤٤] مع أنه قال : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

ومعنى : « والقرآن حجّةٌ لك » أي : تنتفعُ به إن تَلوته وعملتَ به ، « أو عليك » إن أَعرضت عنه .

ومعنى : « كل الناس يغدو » أي : يَتوجّهُ نحو ما يُريد .

وقوله : « فمعتقها أو موبقها » أي : فَمبعِدُها من النار أو مهلكها .

قال العلقمي : مَعناهُ : أنَّ كُلّ إنسانٍ يسعى بنفسه ، فمنهم من يَبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتِّباعهما فيوبقها ـ أي يُهلكها ـ كأنه قيل : ما حالُ الناس بعد ذلك؟ فَأجيب : كُلّ الناسِ كذا وكذا .

وقد أخبر ﷺ أنَّ الصابر من المهتدين الآمنين .

قال النبي ﷺ : « مَنْ أُعْطِيَ فشَكَرَ ، وابْتُلِيَ فصَبَرَ ، وظَلَمَ فاسْتَغْفَرَ ، وظُلِمَ فغفَرَ . ثم سَكَتَ . فقالوا : يا رسول الله مَا لَهُ؟ قال : أولئك لَهُمُ الأمنُ وهم مُهْتَدُون »[1] .

والصبرُ هو بَابُ الفَرج قال النبي ﷺ : « الصَّبْرُ مِعْوَلُ الْمُسْلِمِ »[2] .

والصبرُ على البلاء كفّارةٌ وطُهرة للعبد .

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : مَا ابْتَلىٰ اللهُ عَبْداً ببلاءٍ وهو على طريقةٍ يَكْرَهُها ، إلاَّ جَعَلَ اللهُ ذلك البلاءَ

---

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه رزين . وقوله : « معول المسلم » : أي الذي يعتمد عليه ويستعين به في إزالة همومه .

كَفَّارَةً وطُهُوراً ما لَمْ يُنْزِلْ مَا أصابَهُ من البلاءِ بغيرِ اللهِ عزّ وجلّ ، أو يَدْعُو غيرَ اللهِ في كَشْفِه »[1] .

ومن فضائل هذه الأمّة : أن شدة البلاء على الواحد منا بحسب قوّة الدِّين .

عن ابن المسيِّب عن أبيه عن سعد قال : « سُئل رسول الله ﷺ : أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال : الأنبياءُ ثم الأمْثَلُ فالأمثَلُ ، يُبْتَلىٰ الناسُ على حسَبِ دِينِهم ، فمَنْ ثَخُنَ دِينُهُ اشتَدَّ بلاؤُه ، ومن ضَعُفَ دينُه ضعُفَ بلاؤُه ، وإن الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ البَلاءُ حتّىٰ يَمْشِيَ فِي الناسِ مَا عليهِ خَطِيئَةٌ »[2] .

أمّا في الآخرة : فقد جاء في حقّ أهل البلاء من الثواب ، ما يتمنّىٰ معه أهل العافية أن لو انغمسوا في البلاء انغماساً .

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يُؤْتَىٰ بالشهيدِ يومَ القيامةِ فيُوقَفُ للحسابِ ، ثم يُؤْتَىٰ بالمُتَصَدِّقِ فيُنْصَبُ لِلْحِسَابِ ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِأهْلِ البَلاءِ فلا يُنْصَبُ لهم مِيزانٌ ولا يُنْصَبُ لهم دِيوَانٌ ، فيُصَبُّ عليهم الأجْرُ صَبّاً ، حتّى إنّ أهْلَ العافِيَةِ لَيَتَمَنَّوْنَ في المواقِفِ أنّ أجْسَادَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمقَارِيضِ مِنْ حُسْنِ ثَوابِ الله »[3] .

وقد بَشّر الله سبحانه وتعالى المؤمن المبتلىٰ بما يَطمئنُ قلبه ويُسلّيهِ وَيُثبّته وَيُواسيهِ .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً أو أرادَ أنْ يُصَفِّيهُ ، صَبَّ عليهِ البَلاءَ صَبّاً ، وثَجَّهُ عليه ثَجّاً ، فإذا دَعَا

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا .

(٢) رواه ابن حبان .

(٣) رواه الطبراني في « الكبير » .

العبدُ قال : يا رَبَّاهُ ، قال الله : لَبَّيْكَ يا عَبْدِي ، لا تَسْأَلُني شيئاً إِلاَّ أَعْطَيْتُكَ ، إمَّا أنْ أُعَجِّلَهُ لكَ ، وإمّا أَنْ أَدَّخِرَهُ لك »[1] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ يُرِدِ اللهُ به خَيْراً ، يُصِبْ مِنه »[2] .

وبَشَّر الله المبتلىٰ الصابر بمنزلةٍ في الجنة لا يُدركها إلاَّ بذلك البلاء ، فقال ﷺ : « إنَّ العَبْدَ إذا سَبَقَتْ لهُ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ فَلَمْ يَبْلُغْها بِعَمَلٍ ، ابْتَلاهُ اللهُ في جَسَدِهِ أو مَالِهِ أو في وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَرَ على ذَلِكَ ، حتَّى يُبَلِّغَهُ المَنْزِلَةَ الَّتي سَبَقَتْ لَهُ من اللهِ عزَّ وجلَّ »[3] .

والبَلاءُ ٱختبارٌ من الله سبحانه وتعالى لِيُظهر الصَّافي الصَّادق من غيره . ولذلك جاء منه ﷺ أنه قال : « إنَّ الله لَيُجَرِّبُ أَحَدَكُمْ بالبلاءِ كَما يُجَرِّبُ أَحَدُكُمْ ذَهَبَهُ بالنارِ ، فمِنْهُ ما يَخرُجُ كالذهب الإِبْرِيْزِ ، فَذَاكَ الذي حماهُ اللهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ ، ومنه ما يَخرُجُ دُونَ ذلك ، فذلِكَ الذي يَشُكُّ بعضَ الشكِّ ، ومنه ما يخرجُ كالذهبِ الأسوَدِ ، فذَاكَ الذي ٱفْتَتَنَ »[4] .

فإذا أُصِيْبَ بمصيبةٍ في مالهِ أو نَفْسِه وكَتَمَها ولم يَشْكُها إِلى الناسِ ، كانَ حقًّا على اللهِ أنْ يَغْفِرَ لَهُ[5] .

وإذا كثُرَتْ ذنوبُ العبدِ ولم يكن له ما يُكفِّرها ، ابتلاه الله بالحزن ليُكَفِّرَها عنه[6] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا .
(٢) رواه مالك والبخاري : قوله « يصب منه » : يوجّه إليه مصيبة .
(٣) رواه أحمد وأبو داود وأبو يعلى والطبراني في « الكبير » و« الأوسط » .
(٤) رواه الطبراني في الكبير .
(٥) جاء هذا في الحديث المرفوع الذي رواه الطبراني .
(٦) جاء هذا في حديث رواه أحمد .

ولا غَرابة في صَبر الصابرين على شِدّة البلاء تطلُّعاً إلى ما عند الله ، مما هو خيرٌ وأبقى .

فقد جاء في الحديث عن عطاء بنِ أبي رباح رضي الله عنه قال : قال لي ابنُ عباس رضي الله عنهما : ألا أُرِيَكَ امرأةً من أهلِ الجَنَّةِ؟ فقلتُ : بَلىٰ . قال : هٰذِه المَرْأةُ السَّوْداءُ أَتَتِ النبي ﷺ فقالت : إني أُصْرَعُ وإنّي أتَكَشَّفُ ، فَادْعُ الله لي . قال : إن شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّة ، وإن شِئْتِ دعوتُ الله أن يُعَافِيَكِ؟ قالتْ : أَصْبِرُ ، فقالتْ : إنّي أتَكَشَّفُ فادْعُ اللهَ لي أنْ لا أتكَشَّفَ ، فدعا لَها »[1] .

ومن البشائر العظمىٰ التي بَشّر بها ﷺ المبتلىٰ : أنَّ الله تعالى يَتكرّمُ عليه فَيجزي له ثَواب عمله الذي كان يَعملهُ قبل مرضه .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ابْتَلىٰ الله عزَّ وجلَّ العبدَ المُسْلِمَ بِبَلاءِ في جَسَدِهِ ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ لِلملَكِ : أُكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الذي كان يَعْمَلُ ، وإن شَفاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ ، وإن قَبَضَهُ غَفَرَ له ورَحِمَهُ »[2] .

وَرُوِيَ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « عَجَبٌ للمؤمِنِ وجَزَعِه من السَّقَمِ ، ولو كان يَعلَمُ ما لَهُ من السَّقَمِ أحبَّ أن يكون سقِيماً الدهرَ ، ثم إنَّ رسول الله ﷺ رفعَ رأسه إلى السماء فضحِكَ ، فقيل : يا رسول الله ، مِمَّ رفَعْتَ رأسك إلى السماء فضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ : عَجِبْتُ من مَلَكَيْنِ كانا يلتمسان عبداً في مُصَلًّى كانَ يُصَلّي فيه ، فلم يجداهُ فرجَعا فقالا : يا ربَّنا ، عَبْدُكَ فلانٌ كنّا نَكْتُبُ له في يومِه وليلَته عملَه الذي كانَ يَعْمَلُ ، فوجدْناه حَبَسْتَهُ في حِبالِك (أي

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد .

(٢) رواه أحمد .

أمرضْتَه) . قال الله تبارك وتعالى : أُكْتُبُوا لعبدي عمَلَه الذي كان يعمَلُ في يومِه وليلَتِه ولا تَنْقُصُوا منه شيئاً ، وعَليَّ أَجْرُهُ ما حَبَسْتُهُ ، وله أجرُ ما كانَ يعمَلُ[1] .

وَبشّر الله سبحانه وتعالى العبد الذي فَقد بصرهُ بالجنة إذا رَضي وَحمد .

عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنّ الله عزَّ وجلَّ قال : إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدي بِحَبِيْبَتَيْهِ (أي عيْنيه) فصَبرَ ، عوَّضْتُه مِنْهُما الجنَّة »[2] .

وعن عائشة بنت قُدامة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « عَزِيزٌ على الله أن يَأخُذَ كَرِيْمَتَيْ مُؤْمِنٍ ، ثُمَّ يُدْخِلَهُ النارَ »[3] .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ابْتُليَ عبدٌ بعدَ ذَهابِ دِينِه بأشَدَّ من ذهابِ بَصَرِه ، ومن ابْتُلِيَ بِبَصَرِه فصَبرَ حتّى يَلْقىٰ الله ، لَقِيَ الله تبارك وتعالى ولا حِسَابَ عَلَيه »[4] .

وعن بُريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لن يُبْتَلىٰ عبْدٌ بشيءٍ أشدَّ عليه من الشِّرْكِ بالله ، وَلَنْ يُبْتَلىٰ عَبْدٌ بشيءٍ بعد الشِّرْكِ بالله أشدَّ عليهِ مِنْ ذهابِ بَصَرِهِ ، ولن يُبْتَلىٰ عبدٌ بذهابِ بَصَرِه فصَبَر ، إلاَّ غَفَرَ اللهُ له »[5] .

وقد بشّر الله تعالى المريضَ ببشاراتٍ كَثيرةٍ منها : أنه إذا قال :

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في « الأوسط » .
(٢) رواه البخاري والترمذي .
(٣) رواه أحمد والطبراني .
(٤) رواه البزار .
(٥) رواه البزار .

« لا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبَرُ لا إله إلا الله وحده ، لا إله إلا الله لا شريكَ له ، لا إله إلا الله له المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ لا إله إلا الله ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله ، ثم ماتَ في ذلك اليومِ أو في تلك اللَّيْلَةِ أو في ذلك الشَّهْرِ غفر له ذَنْبُه »[1] .

ومنها : أنه إذا قال : « لا إلهَ إلاَّ أنتَ سُبْحانَكَ إنّي كنتُ من الظالمينَ ، ودعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك ، أُعْطِيَ أجرَ شهيدٍ . وإن بَرأ ، برأ وقد غُفِرَ له جميعُ ذنُوبه »[2] .

وجاء عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « من قال : لا إله إلاّ الله والله أكبر ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ فقال : لا إله إلاَّ أنَا وأنا أكْبَرُ ، وإذا قال : لا إله إلاَّ هو وَحْدَه ، قال : يقول : لا إله إلاَّ أنا وَحْدي ، وإذا قال : لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له ، قال : يقول : صدَقَ عبدي لا إله إلاَّ أنا وحدي لا شريكَ لي ، وإذا قال : لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريك له ، له المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ ، قال : يقول لا إله إلاَّ أنا لي المُلْكُ ولي الحمدُ ، وإذا قال : لا إله إلاّ الله ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله ، قال : لا إله إلاّ أنا ولا حول ولا قوة إلاَّ بي ، وكان يقول : من قالها في مرضه ثم مات ، لم تَطْعَمْهُ النارُ »[3] .

ومنها : أنه إذا قال : « سبحانَ المَلِكِ القُدُّوسِ الرحمٰن الدَّيّانِ ، لا إله إلاّ أنتَ مُسَكِّنِ العُروقِ الضّارِبَةِ ، ومُنِيمِ العُيونِ السّاهِرَةِ ، شَفاهُ الله تعالى »[4] .

---

(١) رواه النسائي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ .
(٢) رواه الحاكم عن سعد بن مالك عن مالك عن النبي ﷺ .
(٣) رواه الترمذي وابن ماجه والنسائي وابن حبان والحاكم .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا .

ومنها : أنَّ دَعوتَهُ مُستجابةٌ ، ولذلك قال النبي ﷺ : « إذا دَخلتَ على مريضٍ فَمُرْهُ يدْعُو لَكَ ، فإنَّ دُعاءَه كَدُعاءِ المَلائِكَةِ »[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « عُوْدُوا المَرضىٰ ومُروهم فليَدْعوا لكم ، فإنَّ دَعوة المريضِ مُسْتَجَابَةٌ وذنْبُه مغفورٌ »[2] .

وقال ﷺ : « لا تُرَدُّ دعوةُ المَرِيْضِ حَتّى يَبْرَأَ »[3] .

* * *

(١) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا .

فَضلُ عِيادَةِ المَرضَىٰ

ومن فضائل هذه الأُمّة : ما جعلهُ الله تعالى من الثَّواب العظيم والأجر الكريم على عِيادة المريض .

قد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « مَنْ عادَ مريضاً ناداه مُنادٍ من السماء : طِبْتَ وطابَ مَمْشاكَ ، وتَبوَّأْتَ مِنَ الجنَّةِ مَنْزِلاً »(١) .

وعن ثَوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنَّ المُسْلِمَ إذا عادَ أخاهُ المُسْلِمَ ، لم يَزَلْ في خُرفَةِ الجنَّةِ حتّى يَرْجِعَ . قيل : وما خُرْفَةُ الجنةِ؟ قال : جَناها » .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنّ المُسْلِمَ إذا عادَ أخاهُ المُسْلِمَ ، لم يَزَلْ في خُرفَةِ الجنَّةِ حتّى يَرْجِعَ . قيل : ومَا خُرْفَةُ الجنةِ؟ قال : جَناها »(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فأحْسَنَ الوُضُوءَ وعادَ أخاهُ المُسْلِمَ مُحْتَسِباً ، بُوعِدَ مِنْ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفاً . قلتُ : يا أبا حَمْزَةَ ، ما الخَرِيفُ؟ قال : العَامُ »(٣) .

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان .

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذي : قوله : « خرفة الجنة » أي ما يُجتنىٰ من نخلها .

(٣) رواه أبو داود .

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوَةً إلاَّ صَلَّىٰ عليهِ سَبْعُونَ ألفَ مَلَكٍ حتَّى يُمْسِيَ . وإن عادَ عَشِيَّةً إلاَّ صَلّىٰ عَليهِ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ حَتّى يُصْبِحَ ، وكانَ لهُ خَريفٌ في الجنَّةِ »[1] .

وَرُوِيَ عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيُّما رجُلٍ يعودُ مريضاً ، فإنَّما يَخُوضُ في الرَّحْمَةِ ، فإذا قَعَدَ عِنْدَ المريض ، غَمَرتْه الرَّحْمَةُ . قال : فقلتُ : يا رسولَ الله ، هذا للصَّحِيْحِ الذي يَعُودُ المريضَ ، فَما للمَرِيْضِ؟ قال : تُحَطُّ عنه ذُنُوْبُه »[2] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن عاد مريضاً لم يَزَلْ يَخُوضُ في الرَّحْمَةِ حتّى يَجْلِسَ ، فإذَا جلَس اغْتَمَسَ فيها »[3] .

ومن خصائص هذه الأُمّة الحميدة ومزاياها العديدة : ما جعلهُ الله تعالى من الثَّواب لمن مَات غريباً منهم .

فمن ذلك : أنه يُعطىٰ في الجنة مكاناً خاصّاً زائداً على غيره بمقدار ما بين مولده وبين مكان مَوته .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : مات رجلٌ بالمدينة ممّن وُلِدَ بها ، فَصلّىٰ عليه رسول الله ﷺ ثم قال : « يا ليتَهُ مات بغيرِ مولِدِه ، قالوا : ولِمَ ذَاكَ يا رسولَ اللهِ! قال : إنَّ الرَّجُلَ إذا ماتَ بغيرِ مَولِده ، قِيْسَ بينَ مولِدِه إلى مُنْقَطَعِ أثرِه في الجنَّة »[4] .

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه أحمد ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني في « الصغير » و« الأوسط » .

(٣) رواه مالك بلاغاً ، وأحمد ورواته رواة الصحيح والبزار وابن حبان والطبراني .

(٤) رواه النسائي واللفظ له . وابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » .

ومنها : أنَّ الذي يموتُ غريباً ، فإنه شَهيد .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « موتُ غُرْبَةٍ شهادةٌ »[1] .

قال رسول الله ﷺ ذات يوم : « ما تعُدُّون الشهيدَ فيكم؟ قلنا : يا رسول الله ، مَنْ قُتِل في سبيل الله قال : إنَّ شُهداءَ أُمَّتي إذاً لَقلِيلٌ ، مَنْ قُتِل في سبيل الله فهو شَهيدٌ ، والمتَردِّي شهيدٌ ، والنُّفَساءُ شهيد ، والغَرِيْقُ شهيد ، والسِّلُّ شهيدٌ ، والحريقُ شهيد ، والغريبُ شهيد »[2] .

* * *

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) رواه الطبراني .

فَضلُ القِيام بأُمورِ الموتىٰ وشَفاعةُ المُصلِّينَ لهم وإنَّ خِيارَ هذهِ الأُمّةِ شُهداء الله في الأَرض

ومن الفضائل التي أخبر بها ﷺ : ما جاء في فَضل تَغْسيلِ الموْتىٰ وتكفينهم ، وحفرِ القُبور لهم والصَّلاةِ عليهم .

فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال : « مَنْ غسَّل مَيتاً فكتَم عليه ، غَفرَ اللهُ له أربعين كَبيرةً ، ومَنْ حَفَر لأخِيه قبراً حتى يُجِنَّه (أي يَدفنَه) ، فكأنَّما أسْكنَه مَسكناً حتى يُبْعَث »[1] .

وفي روايةٍ : « مَنْ غسَّل ميتاً فكَتمَ عليه غَفر اللهُ له أربعين مرةً ، ومَنْ كفَّن ميتاً كَسَاهُ الله من سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ في الجنة ، ومَنْ حفَر لميتٍ قبراً فأجَنَّه فيه ، أجْرَى اللهُ له من الأجرِ كأجرِ مسكن أسْكَنه إلى يومِ القيامة »[2] .

وفي روايةٍ : « مَنْ حَفَر قبراً بَنَى اللهُ له بيتاً في الجنة ، ومَنْ غَسَّل ميتاً ، خَرج من ذنوبه كيومِ ولَدتْه أمُّه ، ومَنْ كفّنَ ميتاً كَسَاهُ الله من حُلَل الجنة ، ومَنْ عَزَّىٰ حَزِيناً ألْبسَهُ الله التَّقْوىٰ وصَلَّىٰ على رُوحِه

(١) رواه الطبراني في « الكبير » .
(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » .

في الأزْوَاح ومَنْ عَزّىٰ مُصَاباً كساهُ الله حُلّتَين من حُلَل الجنة لا تَقُومُ لهما الدنيا ، ومَنْ تَبع جَنازةً حتي يُقضَى دَفْنُها كَتَب اللهُ له ثلاثةَ قَرارِيط ، القِيراطُ منها أعظَمُ من جبل أُحُدٍ ، ومن كفَل يتيماً أو أرْملةً أظَلَّه اللهُ في ظِلِّه وأدْخلَه الجنة »(١) .

وجاء في فَضل تَشييعِ الجنائز : « أنَّ مَنْ شَهِد الجَنازةَ حتى يُصلَّىٰ علَيها ، فَله قِيراطٌ ، ومَنْ شهِدَها حتى تُدْفنَ ، فله قِيْراطان . قيل : وما القِيْراطانِ؟ قال : مِثلُ الجَبَلَيْن العَظِيْميْن »(٢) .

وقد أكرم الله تعالى الميتَ من هذه الأُمّة بأن جعل صَلاة مَنْ يُصلي عليه شفَاعةً له .

يقول ﷺ : « ما مِنْ مَيتٍ يُصلّي عليه أُمّةٌ من المسلمين يَبْلُغون مِائةً كُلّهم يَشْفَعون له ، إلاّ شُفِّعُوا فيه »(٣) .

وقال ﷺ : « ما مِن رجُلٍ يُصلّي عَليه مِائةٌ ، إلاّ غَفَر الله له »(٤) .

وعن مالك بن هُبيرةَ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما مِنْ مُسْلمٍ يَموت فيُصلّي عليه ثَلاثةُ صُفُوفٍ من المسلمين ، إلاّ أوْجبَ ـ أي استَحقّ دخولَ الجنة ـ »(٥) .

وكان مالكٌ رحمه الله إذا استقبل أهل الجنازة ، جَزّأهم ثَلاثة صُفوفٍ لهذا الحديث .

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

(٣) رواه مسلم والنسائي والترمذي .

(٤) رواه الطبراني في « الكبير » .

(٥) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي .

وَرُوِيَ عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ عَزَّى مُصاباً ، فلَهُ مِثلُ أجْرِ صاحِبِه »[1] .

وعن كريب : أن ابن عباس رضي الله عنهما مات له ابنٌ بقُدَيد أو بعُسْفان فقال : يا كُرَيْبُ ، أُنْظُر ما اجتمَعَ له من الناس؟ قال : فخَرجْتُ فإذا نَاسٌ قد اجتَمعوا فأخبَرتُه ، فقال : تقول هُمْ أربعُون؟ قال : قلتُ نَعم ، قال : أَخرِجوه . فإني سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : ما من رَجُلٍ مُسلمٍ يَمُوتُ فيقوم على جَنازتِه أربعُون رجُلاً لا يُشركون بالله شيئاً ، إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فيه »[2] .

وأكرمَ الله سبحانه وتعالى هذه الأُمّة أيضاً ، فجعَل ألسِنةَ الخِيَارِ منهم علامات على الخير ، وَدلائل على الهُدى ، وشَهادةً صادقةً على حُسن الحَال وخَيرِ المآل .

عن أنس رضي الله عنه قال : « مُرَّ بجَنازة فأُثنِيَ علَيها خيرٌ ، فقال نبيُّ الله ﷺ : وجَبتْ وجَبَتْ وجَبتْ ، ومُرَّ بجنازةٍ فأُثْنِي عليها شرٌّ ، فقال نبيُّ الله ﷺ : وجَبتْ وجَبتْ وجَبتْ . فقال عمر : فِدَاكَ أبي وأمّي ، مُرّ بجنازة فأُثنِي عليها خيْرٌ فقلتَ : وجَبتْ وجَبتْ وجبَتْ ، ومرَّ بجنازة فَأُثنِيَ عليها شرٌّ فقلت : وجَبتْ وجَبتْ وجَبتْ . فقال رسول الله ﷺ : مَن أَثْنَيْتُم عليه خيراً وجَبتْ له الجَنّةُ ، ومن أثنيْتُم عليه شرّاً وجَبتْ لَه النارُ . أَنْتُم شُهداءُ اللهِ في الأرض »[3] .

وفي روايةٍ : قال النبي ﷺ : « أيُّما مُسْلمٍ شَهِدَ له أربعةُ نَفرٍ بخَيْرٍ

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .

(٣) رواه البخاري ومسلم واللفظ له والترمذي والنسائي وابن ماجه .

أدخَلَه اللهُ الجَنّةَ ، قال : فقُلْنا : وثَلاثةٌ؟ فقال : وثَلاثَةٌ . فقلنا : واْثنان؟ قال : واثنانِ . ثم لَمْ نسأَلْهُ عن الواحِد »[1] .

وفي روايةٍ : قال النبي ﷺ : « ما من مُسْلمٍ يَمُوتُ فيَشْهَدُ له أربعةٌ أهلُ أبياتٍ من جِيرانِه الأدْنَيْنَ إنّهم لا يَعْلَمُون إلاّ خَيْراً ، إلاَّ قال الله : قَدْ قبِلْتُ علمكُم فيه ، وغَفرْتُ له ما لا تَعْلمون »[2] .

* * *

(١) رواه البخاري .

(٢) رواها أبو يعلى وابن حبان في «صحيحه».

تَعْريفُ الأُمّة المُحمّدِيّة بأمورِ البَرزخ

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأُمّة : أنه حَصل عندها العلمُ الكَامل بما سيكون في البَرزخ وما يجري في ذلك العالم ، حتى صار الأمر المُغيَّب كالمشهُود المرئي .

عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ العبْدَ إذا وُضِع في قبرِه وتَولَّى عنه أصْحَابُه ، وإنّه لَيسمَعُ قَرْعَ نِعالِهم إذا انصرفوا ، أتاهُ مَلَكانِ فَيُقْعِدَانِه فيقُولان له : مَا كُنْتَ تَقولُ في هذا النبي مُحَمَّدٍ؟ فأمَّا المُؤْمِنُ فيقولُ : أشْهَدُ أنه عبدُ اللهِ ورَسُولُه . فَيُقال له : أُنْظُرْ إلى مَقْعَدِك من النار ، أبْدَلَكَ اللهُ به مَقْعَداً من الجنةِ ، قال النبي ﷺ : فيراهُما جميعاً ، وأمّا الكافرُ أو المنافقُ فيقولُ : لا أدرِي كُنْتُ أقولُ ما يَقولُ الناسُ فيه ، فيُقالُ : لا دَرَيْتَ ولا تَليْتَ ، ثم يُضرَب بِمِطْرَقةٍ من حَديدٍ ضرْبَةً بين أُذُنَيْه ، فيَصِيحُ صَيْحةً يَسْمَعُها مَنْ يَلِيْه إلاَّ الثَّقلَيْن »(١) .

وقد صَرَّح ﷺ في روايةٍ أُخرى بما يُؤيِّد ما لهذه الأُمّة من الكَرامة ، إذ خَصّها بالحديث الذي لم يَرِدْ على لسان نبيٍّ من قَبْلُ ، ومَيّزها بما أطْلعَهَا عليه من ذُلك الغيْبِ المكْنون .

فقال بعد أن ٱستعاذَ بالله من فتنةِ الدجال ومن فتنة عذاب القبر : « أمّا

---

(١) رواه البخاري واللفظ له ومسلم .

فِتْنةُ الدَجَّالِ ؛ فإنّه لم يكن نبيٌّ إلاَّ حَذَّر أُمَّتَه ، وسأُحَدِّثكُم بحديثٍ لم يُحَذِّرْه نبيٌّ أمَّتَهُ ، إنَّه أَعْوَرُ وإنّ الله ليس بأعْوَر ، مكتوبٌ بينَ عينَيْه كافِرٌ ، يقرَؤهُ كلُّ مؤمنٍ ، فأمّا فِتنةُ القبرِ فبِي يُفْتَنون وعَنِّي يُسْألون ، فإذا كانَ الرجُلُ الصالح أُجلِسَ في قبره غيْرَ فزِعٍ ولا مَشعوفٍ ثم يُقال له : فما كُنْتَ تقول في الإسلامِ؟ فيقول : الله ربي فيقالُ : ما هٰذا الرَّجُلُ الذي كان فيكم؟ فيقول : محمّدٌ رسولُ الله جاء بالبَيِّنَاتِ من عندِ اللهِ فَصَدَّقْنَاه ، فتُفرَج له فُرْجَةٌ قِبَل النار فيَنظُر إليها يُحَطِّم بعْضُها بعضاً ، فيقال له : أُنْظُرْ إلى ما وقَاكَ الله ، ثم تُفْرَج له فُرْجَةٌ إلى الجنة فيَنْظُر إلى زَهْرَتِها وما فيها فيُقال له : هٰذا مَقْعَدُك منها ، ويقال : علىٰ اليَقين كُنْتَ وعَليه مُتَّ ، وعليه تُبْعَث إن شاء الله . وإذا كان الرجُل السُّوءُ أُجْلِس في قَبره فَزِعاً مَشعوفاً فيُقال له : فما كنتَ تقولُ . فيقول : سمِعْتُ الناسَ يقولون قولاً فقُلْتُ كما قالُوا ، فيُفرَج له فُرجَةٌ إلى الجنة ، فيَنظُر إلى زَهْرتها وما فيها فيقال له : انظُرْ إلى ما صَرَف اللهُ عنك ، ثم يُفْرَج له فرجةٌ قِبَل النارِ فيَنْظُرُ إليها يُحَطِّمُ بعضُها بعضاً ويقال : هٰذا مَقْعدُك منها ، على الشَّكِّ كنتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبعَثُ إن شاء الله ، ثم يُعَذَّبُ »[1] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إنّ الميّتَ إذا وُضِع في قَبره إنَّه يَسْمع خَفْقَ نِعالِهم حين يُوَلُّون مُدْبِرين ، فإنْ كان مُؤمناً ، كانت الصلاةُ عند رأسِه وكان الصيامُ عن يمينِه وكانت الزكاةُ عن شماله وكان فِعلُ الخيرات من الصَّدقةِ والصِّلةِ والمعروف والإحسانِ إلى الناس عند رِجْلَيه ، فيُؤتَىٰ مِنْ قِبل رأسِه فتقول الصلاة : ما قِبَلي مَدْخلٌ ، ثم يُؤتىٰ عن يَمِينِه فيقول الصِّيامُ : ما قِبَلي مَدْخَلٌ ، ثم يُؤتَىٰ عن يَساره فتقول الزكاةُ : ما قِبَلي مَدْخَلٌ ، ثم يُؤتَىٰ من قِبَلِ رِجْليه فيقول فِعلُ الخيرات

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح .

من الصدقةِ والصلة والمعروف والإحسانِ إلى الناس : ما قِبَلي مَدْخلٌ ، فيقال له : اجلِسْ ، فَيَجلِس قد مُثِّلتْ له الشَّمسُ وقد أُدنِيَتْ للغُروبِ فيُقال له : أرأيتَك هٰذا الذي كان قِبَلكم ما تَقولُ فيه وماذَا تَشْهَدُ عليه؟ فيَقُول : دَعُوني حَتّى أُصَلِّيَ ، فيقولون : إنّك ستَفْعَلُ ، أَخْبِرنَا عما نَسألك عنه ، أرأيتَك هذا الرَّجُل الذي كان قِبَلكُمْ ماذا تَقُول فيه وماذَا تَشْهَدُ عليه؟ قال : فيقول : محمّدٌ أشْهَدُ أنه رسول الله ﷺ وأنّه جاءَ بالحقِّ من عندِ الله فيُقال له : على ذلك حَيِيْتَ وعلى ذلك مُتَّ وعلى ذلك تُبعَث إن شاء الله ، ثم يُفتَح له بابٌ من أبواب الجنة فيقال له : هٰذا مَقعَدُك منها وما أعدَّ اللهُ لك فيها ، فيَزْدادُ غِبْطةً وسُرُوراً . ثم يُفْتَح له بابٌ من أبوابِ النّارِ فيقال له : هٰذا مَقْعدُك منها وما أعدّ اللهُ لك فيها لو عَصيْتَه ، فيَزْدادُ غِبْطةً وسُروراً ، ثم يُفْسَحُ له في قبرِه سَبْعُونَ ذراعاً ، ويُنوَّر لَهُ فيه ويُعَاد الجسدُ كما بدَأ منه ، فتُجعَل نسَمتُه في النَّسيم الطَّيِّبِ وهي طَيرٌ تَعلُقُ في شجرِ الجنّة . فذلك قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] الآية . وإنّ الكافِرَ إذا أُتِي من قِبلِ رأسِه لم يُوْجَد شَيءٌ ، ثم أُتِي عن يَمينه فلا يُوجَدُ شَيْءٌ ، ثم أتِي عن شماله فلا يُوْجَدُ شيءٌ ، ثم أُتِيَ من قِبَلِ رِجْلَيه فلا يُوجَد شيءٌ . فيقال له : اجلِسْ ، فيَجلِس مَرْعُوباً خائفاً . فيقال : أرأيتَكَ هذا الرجلَ الذي كان قِبَلكم ، ماذا تَقُول فيهِ وماذا تشْهَد عليه؟ فيقول : أيُّ رَجلٍ ، ولا يَهتدي لاسمِه ، فيقال له : محمدٌ . فيقول : لا أدْرِي ، سَمعتُ الناسَ قالُوا قولاً فقلتُ كما قالَ الناسُ . فيقال له : على ذلك حَيِيْتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبْعَثُ إن شاء الله ، ثم يُفتَح له بابٌ من أبْوَابِ النار . فيقال له : هذا مَقْعَدُك من النار وما أَعَدَّ الله لك فيها ، فيزدَادُ حَسْرةً وثُبُوراً ، ثم يُفتَح له بابٌ من أبواب الجنة ، فيقالَ له : هٰذا مَقعدُك منها وما أعدَّ اللهُ لك فيها لو أطعتَهُ ، فيزدادُ حسْرةً وثُبُوراً ، ثم يُضيَّق عَليه قَبرُه حتى تَختلِفَ فيه أضلاعُه ،

فتِلْك المعيشةُ الضَّنْكَةُ التي قال الله : ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1] [طه : ١٢٤] .

وفي روايةٍ للطبراني : « يُؤتَىٰ الرَّجُلُ في قبرِه ، فإذا أُتي مِنْ قِبَلِ رأسه دفعَتْه تلاوةُ القرآن ، وإذا أُتِي من قِبَل يدَيْه دفعَتْه الصَّدقةُ ، وإذا أُتي من قِبلِ رِجْلَيه دفعه مَشْيُه إلى المساجد » .

* * *

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » وابن حبان في « صحيحه » واللفظ له .

البعثُ وَأهوَالُ يَومِ القِيَامة

ومما أكرم الله تعالى به الأُمّة المحمدية : أنَّ النبي ﷺ أخبرنا بما يَجري في البَعث وفي أهوال يوم القيامة ، فأخبرنا عن الصُّور الذي يُنفخ فيه ، وأنه قَرنٌ مثلُ البُوق ، والنفخُ فيه هو عبارةٌ عن صَيْحَةِ إسرافيل ، وأخبرنا عن إسرافيل وأنه له أربعةُ أجنحةٍ ، جَنَاحان في الهواء وجَناحٌ قد تَسَرْبَلَ به ، وجَناحٌ على كَاهله والقلمُ على أُذنه ، فإذا نَزل الوحْيُ كتَب القَلمُ ثم دَرست الملائكة ، ومَلَكُ الصُّورِ جاثٍ على إحدى رُكبَتيه وقد نَصَب الأُخرى فَالْتَقَمَ الصُّور يَحْنِي ظَهْرَهُ ، وقد أُمِر إذا رَأىٰ إسرافيلَ قد ضَمَّ جناحَهُ أن يَنفُخَ في الصُّورِ[١] .

وأخبر أنَّ الساعة تأتي بغتةً فَجْأةً ، وأقسم على ذلك فقال : « تَطْلُع عليكم قَبل الساعة سَحابَةٌ سوداءُ من قِبل المَغْرب مثلُ التُّرْسِ ، فلا تَزال تَرْتفِع في السَّماء وتَنْتشر حتى تَمْلأ السماء ، ثم ينادِي مُنادٍ : يا أيُّها الناسُ ، أتَى أمرُ اللهِ فلا تَسْتعجِلُوه . قال رسول الله ﷺ : فوَالّذي نفسي بيدِه ، إنَّ الرَّجُلَين يَنشُرانِ الثَّوبَ فلا يَطْوِيَانِه ، وإنَّ الرّجُل لَيَمْدُرُ حَوْضَه ، فلا يَسْقي منه شيئاً أبداً ، والرجُل يَحلُب ناقَتَه فلا يَشْربهُ أبداً »[٢] .

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .

(٢) رواه الطبراني بإسناد جيد .

مدَرَ الحوضَ : أي طَيّنه ، لئلا يَتشرّبَ منه الماء .

وأخبر عن النَافِخيْنِ فقال : « إنهما في السماءِ الثانية رأسُ أحدِهما بالمَشْرِق ورِجْلاه بالمغرب ، أو قال : رأسُ أحَدِهما بالمَغْرِب ورِجْلاه بالمشرِق ، يَنْتَظِرَانِ مَتى يُؤْمَران أن يَنْفُخَا في الصُّوْرِ ، فيَنْفُخانِ »[1] .

وأخبر أن الناس يُحْشرون حُفاةً عُراةً غُرْلاً[2] . قد ألْجَمهُمْ العَرقُ وبلغَ شُحومَ الآذانِ . فقالت أُمّ سَلمة وعائشة رضي الله عنهما متعجِّبتَين : يَنظرُ بَعْضُنا إلى بَعضٍ؟ فقال ﷺ : « الأمرُ أَشدُّ من أن يُهِمَّهُمْ ذٰلك ، فقد شُغِلَ كُلٌّ بنفسِه ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[3] [عبس : ٣٧] » .

وأخبر أنَّ الكافر يُحْشَر على وجهِه مسحُوباً مُستدلاً بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ﴾ [الفرقان : ٣٤] فتعجّبَ أنسٌ من ذٰلكَ ، فقال له ﷺ : « أليس الذي أمْشاهُ على الرِّجْلَيْنِ في الدنيا قادِرٌ على أن يُمْشِيَه على وَجْهِه؟ قال قتادةُ حين بلَغه : بَلىٰ ، وعِزّةِ ربِّنا »[4] .

وتَحدّث ﷺ عن صُوَرٍ متعدِّدةٍ لحشرِ الناس يومَ القيامة : « فمنهم من يُحْشَر راكباً طاعِماً كاسياً ، ومنهم من تَسْحَبُهم الملائكةُ على وُجُوهِهِم وتَحْشُرهم النَّار . ومنهم من يَمشُون ويَسْعَون »[5] ، « ومنهم من يُحشَر على صُورَ الذَّرِّ (أي النمل الصغير) يَطَؤهُم الناسُ بأقدامِهم فيُقال : ما بَالُ هؤلاءِ في صُوَر الذَّرِّ؟ فيقال : هؤلاءِ المُتكَبِّرون في الدنيا »[6] .

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد .

(٢) الغُرْل بضم الغين وإسكان الراء جمع أغرل وهو الأقلف . والقلفة هو الزائد الذي يقطع من الحشفة بعد الولادة فهذا يردُّه الله تعالى على الناس بعد البعث .

(٣) رواه الطبراني .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه النسائي .

(٦) رواه البزار .

وفي روايةٍ : « يُحشَر المتكبِّرون يومَ القيامة أمثالَ الذَّرِّ في صُوَر الرِّجال ، يَغْشَاهُم الذُّلُّ من كُلِّ مكانٍ ، يُسَاقُون إلى سِجْنٍ في جهنم يُقال له : بُوْلَسْ ، تعْلُوهُم نَارُ الأَنْيار يُسْقَون من عُصَارةِ أهلِ النار طِيْنَةِ الخَبَال »[1] .

« ومنهم من يُحشَر راغِباً ، ومنهم من يُحشر رَاهِباً ، واثنان على بَعِير ، وثلاثةٌ على بَعيرٍ ، وأربعةٌ على بعيرٍ ، وعَشرةٌ على بعيرٍ ويَحشر بَقيّتَهم النارُ ، تَقِيْلُ معهم حَيْثُ قَالُوا ، وتَبيتُ معهم حيث باتُوا ، وتُصْبِح معهم حيث أصبَحُوا . وتُمْسِي معهم حيث أَمْسَوا »[2] .

« ومنهم من يَغرَقون يوم القيامة حتى يذهَب في الأرض عرَقُهم سبعين ذراعاً ، وإنه يُلْجِمُهُم حتى يَبْلُغ آذانَهم »[3] .

وأخبر أنَّ الشمسَ تدنُو من الناس فيَغْرَقون « فمن الناس من يَبلُغ عَرَقُهُ عَقِبَيه ، ومنهم من يبلُغ نصْفَ الساق ، ومنهم من يَبْلُغ إلى رُكْبَتَيْه ، ومنهم من يَبلُغ إلى العَجُز ، ومنهم من يَبلُغ الخاصِرَةَ ومنهم من يَبْلُغ منكبَيْه ، ومنهم من يَبْلُغ عُنقَه ، ومنهم من يبلُغ وسَطَه وأشار بيدِه أَلْجَمَهَا فَاهُ ، رأيت رسول الله ﷺ يُشير هكذا ، ومنهم من يُغَطِّيْهِ عَرَقُه ، وَضربَ بيدِه وأشار وأَمَرَّ يَدَه فوقَ رأسِه من غير أن يُصيبَ الرأسَ دَوْرُ راحَتَيْه يميناً وشمالاً »[4] .

« وتَبْلُغ الشدَّةُ في ذلك اليوم بالعبد مَبْلَغاً عظِيماً حتى أنّه لَيقول :

---

(١) رواه النسائي والترمذي ، قوله طينة الخبال : أي طينة الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالجنون المؤثِّر في العقل والفكر .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم .

يا ربِّ ، أرِحْني ولَوْ إلىٰ النار ، فإرْسَالُك بي إلى النار أهْوَنُ إليّ مما أجِدُ ، وهو يَعْلَمُ ما فيها مِن شدّةِ العذاب ، وذلك اليوم مِقدَارُهُ خمسون ألفَ سنةٍ ، ولكنه يُخفَّف على المؤمن حتى يكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة ، ويُنادَىٰ فُقَراء هٰذه الأمةِ ومَساكينُها فيَقُومون ، فيُقال لَهم : ماذا عمِلْتم؟ فيقولُون : ربَّنا ابْتَلَيْتَنا فَصبَرْنا ، ووَلَّيتَ الأموالَ والسلطانَ غَيْرَنا ، فيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : صدَقْتُمْ ، فيدخلون الجنةَ قَبل الناس وتبقىٰ شِدّةُ الحِساب على ذَوِي الأَموالِ والسُّلطان ، قالوا : فَأَيْنَ المؤمنون يومَئذٍ؟ قال : تُوضَع لهم كَراسِيٌّ من نُورٍ ويُظَلّل عليهم الغَمام ، يكون ذَلك اليومُ أقْصرَ علىٰ المؤمِنينَ من ساعَةٍ من نَهارٍ »[١] .

وَتختلفُ أحوالهم في ذلك المقام باختلافِ أعمالهم :

« فمنهم مَن يكونُ نُورُهم مِثلَ الجَبَلِ العَظِيم يَسْعى بين يَدَيْه ، ومنهم من يُعْطَىٰ نُورَه أصغَرَ من ذٰلك ، ومنهم من يُعطىٰ مثل النخلة بيده ، ومنهم من يُعطىٰ أصغر من ذلك حتى يكونَ آخِرهُم رجُلاً يُعْطَىٰ نُورَه على إبهامِ قَدَمِه يُضِيءُ مَرّةً ويُطْفَأ مرّة ، فإذَا أضاءَ قدَمُه قَدِم ، وإذا أُطْفِيءَ قَامَ ، قال : والربُّ تباركَ وتعالى أمامَهُم ، حتى يَمُرَّ بهِم إلى النّار فيَبْقَى أثرُهُ كحَدِّ السَّيْف . قالَ : فيَقولُ : مُرُّوا فيَمُرّون على قَدْرِ نُورِهم ، منهم مَن يَمُرّ كطَرْفَةِ العَيْن ، ومنهم من يَمُرّ كالبَرْقِ ، ومنهم من يَمُرّ كالسَّحاب ، ومنهم من يَمُرّ كانْقِضَاض الكوكبِ ، ومنهم من يَمُرّ كالرِّيْحِ ، ومنهم من يَمُرّ كشَدّ الفَرس ، ومنهم من يَمُرّ كشَدِّ الرَّجْل حتى يَمُرَّ الذي يُعطَىٰ نُورَه على ظَهْر قدَمَيه ، يَحْبو على وَجْهِه ويَدَيه ورِجلَيْه تُجَرُّ يَدٌ وتُعلَّقُ يَدٌ ، وتُجَرُّ رِجْلٌ وتُعلَّقُ رِجْلٌ وتُصِيب جَوانِبَه النارُ ، فلا يَزالُ كذٰلك حتى يَخْلُص ، فإذا خَلَص وَقَف عليها فقال : الحمد لله الذي أعطَاني ما لم يُعْطِ أحداً إذْ أنْجاني مِنها بعد إذْ رَأيتُها .

---

(١) رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه .

قال : فينطلقُ به إلىٰ غَدِيرٍ (أي نهرٍ) عند بابِ الجنةِ فَيغْتَسل فيَعُودُ إليه رِيحُ أهلِ الجنة وألْوَانُهم ، فيَرى ما في الجنةِ مِنْ خَلَلِ البابِ فيقولُ : ربِّ أدْخِلْنِي الجنَّةَ ، فيقولُ اللهُ : أتَسْأَلُ الجنة وقد نَجَّيْتُكَ من النّار؟ فيقول : رَبِّ اجعَلْ بيني وبينَها حِجَاباً حَتَّى لا أسْمَع حَسِيسَها (أي صَوْتَها) قال : فَيدخُل الجنّةَ ويَرى أو يُرفَع له مَنزِلٌ أمَام ذلك كأنَّ ما هو فيه بالنسبة إليه حُلمٌ . فيقولُ : رَبِّ ، أعْطِني ذلك المَنْزِل ، فيقولُ : لعلّك إن أُعطِيتَه تَسْأَلُ غيرَه؟ فيقول : لا وَعِزّتِك لا أسْألُ غَيْرَه ، وأيُّ مَنْزِلٍ أحْسَنُ منهُ ، فيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُهُ ويَرىٰ أمامَ ذلك مَنزِلاً كأنَّ ما هُوَ فيه بالنسبةِ إليه حُلُمٌ قال : رَبِّ ، أَعْطِني ذلك المَنْزِلَ ، فيقول الله تبارَكَ وتعالى له : لعلّكَ إنْ أُعطِيْتَه تَسْألُ غَيْرَه؟ فيقول : لا وَعِزّتِكَ ، وأيُّ مَنْزِلٍ أحسَنُ منه . فيُعْطَاه فَيَنْزِلُهُ ، ثم يَسْكُتُ .

فيقول الله جلّ ذِكْرهُ : مَا لَكَ لا تَسْأَلُ؟ فيقولُ : ربِّ قد سَألْتُك حتّى استَحْيَيْتُكَ ، فيقول الله جَلّ ذِكْرهُ : ألَمْ تَرْضَ أنْ أُعطِيَك مِثْلَ الدنيا مُنْذُ خَلَقْتُها إلىٰ يوم أَفْنَيْتُها وعشرةَ أضعافه؟ فيقول : أتَهزَأُ بي وأنتَ ربُّ العِزَّة؟ قال : فيقولُ الربُّ جلّ ذِكرُه : لا ، ولٰكِنِّي علىٰ ذَلك قادِرٌ ، فيقولُ : ألحِقنِي بالنَّاسِ ، فيقولُ : اِلْحَقْ بالناس قال : فيَنْطلِقُ يَرْمُلُ في الجنّة حتّى إذا دَنا من الناس ، رُفِع لَه قَصْرٌ من دُرّةٍ فَيخِرُّ سَاجِداً ، فيقولُ له : ارْفَعْ رأسك مَا لَكَ؟ فيقول : رأيتُ رَبِّي أو تراءىٰ لي رَبِّي فيُقال : إنما هُو مَنْزِلٌ من مَنازِلك قال : ثم يأتي رجُلاً فَيتهيَّأُ للسُّجُودِ له ، فيُقال له : مَهْ (أي اكفُفْ) . فيقول : رأيتُ أنّكَ ملَكٌ مِنَ الملائكة ، فيقول : إنما أنا خَازِنٌ من خُزَّانِك وعَبْدٌ من عَبيدِك تَحت يَدِي ألْفُ قَهْرَمانٍ (هو كالخازن والوكيلِ والحافظ لما تحت يده) على ما أنا عليه ، قال : فيَنْطلِق أمامَه حتّى يَفتَح له بابَ القَصْر . قال : وهو من دُرّةٍ مُجَوّفَةٍ سَقَائِفُها وأبوابُها وأغلاقُها ومَفَاتِيحُها منها ، يَسْتَقْبِله جَوْهَرةٌ خَضْرَاءُ مبطّنة بحَمراءَ فيها

سبعُون باباً ، كلُّ بابٍ يُفْضِي إلى جَوْهَرةٍ خَضْراءَ مُبَطَّنةٍ (أي لها بِطانةٌ) كلُّ جوهرةٍ تُفْضي إلى جَوهَرةٍ على غيرِ لونِ الأُخرىٰ ، في كلّ جوهرةٍ سُررٌ وأزْوَاجٌ ووَصائِفُ أدناهُنّ حَوْرَاءُ عَيْناءُ علَيْها سبعون حُلَّةً ، يُرَىٰ مُخُّ سَاقِها مِنْ وَرَاءِ حُلَلِها ، كَبِدُها مِرْآتُهُ وكَبِدُهُ مِرْآتُها ، إذَا أعْرَضَ عنْهَا إعْرَاضَةً ، ازْدَادَتْ في عينه سبعين ضِعْفاً عما كانَتْ قبلَ ذلك فَيقُولُ لها : واللهِ لَقَد ازددْتِ في عَيني سبعِين ضِعْفاً ، وتَقولُ له : وأنت لقد ازدَدْتَ في عيني سبعين ضِعْفاً ، فيقال له : اَشْرِفْ (تَقرَّبْ وامْلِكه) فَيُشْرِفُ . فيقال له : مُلْكُك مَسِيرةُ مِائةِ عامٍ يَنْفذُهُ بَصرُكَ . قال : فقال له عُمرُ : ألا تَسْمعُ ما يُحَدِّثُنا ابنُ أمِّ عَبدٍ يا كَعْبُ عن أدْنىٰ أهلِ الجنةِ مَنزلاً ، فكيفَ أعلاَهم؟ قال : يا أَميرَ المؤمنين : مَا لا عَيْنٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعت »[1] . الحديث .

* * *

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ له والحاكم .

تَعريفُ الأُمّةِ المُحمدِية بأُمورِ الحَشر والنَّشر

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأمة المحمدية أيضاً : أن أطلعها على أمور الحساب وما يجري في هذا الباب .

« فقد أخبر أن كلَّ عبدٍ لا بُدَّ أن يُسْأَلَ عن أربعٍ لا مَحَالَةَ ، عن عُمْره فيما أفْناهُ ، وعن عِلْمِه ما عمِل به ، وعن مالِه من أيْنَ اكتسبَه وفيما أنفقه ، وعن جِسْمِه فيما أبْلاه »[1] .

« يُخرَجُ لابن آدَمَ يومَ القيامة ثَلاثةُ دَوَاوِينَ : دِيْوانٌ فيهِ العَملُ الصَّالح ، ودِيوانٌ فيه ذُنُوبُه ، وديوانٌ فيه النِّعَمُ مِن الله علَيْه ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لأصْغَرِ نِعْمةٍ ، أحسِبُه قال : في دِيوانِ النِّعم : خُذِي ثَمنَكِ من عملِه الصَّالح . فتَسْتوعِبُ عَملَه الصالح ، ثم تَنحّى (أي تنصرف) وتقول : وَعِزَّتِك ما استوفَيْتُ ، وتَبْقَى الذُّنُوبُ والنِّعَم ، وقد ذهَب العَملُ الصَّالحُ . فإذا أرادَ الله أن يَرْحمَ عبداً قال : يا عَبْدِي ، قد ضَاعَفْتُ لك حَسَناتِكَ وتجاوَزْتُ عن سَيِّئَاتِكَ ، أحْسِبُه قال : ووَهَبْتُ لك نِعمي »[2] .

وقد بَيّن ﷺ مَقامَ نِعَمِ الله سبحانه وتعالى بالنسبة لعمل العبد ، وَأنَّ عَملَ العبد لا يُساوِي شيئاً في مُقَابَلَةِ أقلِّ نِعْمةٍ من النِّعم الإلهيّةِ .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما : « أنَّ رجُلاً من الحَبشة أتىٰ النبي ﷺ

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه البزار .

فقال : يا رسولَ الله ، فُضِّلتم علينا بالألْوان والنبوّة ، أفرأيْت إن آمَنْتُ بمثْلِ ما آمَنْتَ به ، وعمِلتُ بمثلِ ما عمِلْتَ به ، إنِّي لَكَائِنٌ مَعك في الجَنَّةِ؟ فقال النبي ﷺ : « نَعَمْ ، ثم قال النبي ﷺ : مَنْ قال لا إله إلا الله كانَ له بها عَهْدٌ (أي مِيْثَاقُ تَوْحِيْدِه) عند الله ، ومَنْ قالَ : سبحانَ الله كُتِبَ له مِائةُ ألفِ حَسَنةٍ . فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، كيف نَهْلِكُ بعْدَ هٰذا؟ فقال النبي ﷺ : والذِي نفْسِي بيدِه ، إنَّ الرَّجُل لَيَجِيْءُ يوْمَ القيامة بعَمَلٍ لو وُضِعَ علىٰ جَبلٍ لأثْقَلَه ، فتَقُوم النِّعْمةُ من نِعم اللهِ فتكادُ تَسْتَنْفِدُ (أي تَرْجَحُ كِفَّةُ النِّعمة) ذلك كُلَّه ، لولا ما يتفضَّلُ اللهُ من رحمتِه ، ثم نَزَلَتْ : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان : ١] إلى قوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] . فقال الحَبشِيّ : يا رسُولَ الله ، وهل تَرىٰ عَيْني في الجنة مِثْلَ ما تَرىٰ عيْنُك؟ فقال النبي ﷺ : نَعمْ ، فَبكىٰ الحَبشيُّ حتى فاضَتْ نَفْسُه (أي خَرجَت رُوْحُه) . قال ابن عمر : فأنا رأيْتُ رسول الله ﷺ يُدْلِيه في حُفْرَتِه »[1] . (أي يُدخِلُه في قَبْره) .

قِصّةُ العَابدِ المُغترِّ بِعبادَتِهِ

عن جابر رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « قال جبريلُ : يا محَمَّدُ ، والذِي بعَثَكَ بالحَقِّ إن لله عَبداً من عِبادِه عبَدَ الله خمسَمِائةِ سنةٍ على رَأسِ جَبلٍ في البَحْرِ ، عَرْضُهُ وطُوْلُه ثَلاثُونَ ذِراعاً في ثَلاثِين ذِراعاً والبحرُ محيطٌ به أربعَةُ آلافِ فرْسَخٍ من كُلِّ ناحِيةٍ ، وأخْرَجَ له عَيْناً عَذْبَةً بعَرْضِ الأصْبُع تَفِيْض بماءِ عَذْبٍ فيَسْتَنْقِع (أي يجتمع) في

---

(١) رواه الطبراني .

أسْفَلِ الجبَل ، وشَجَرةُ رُمّانٍ تُخرِج له في كلِّ ليلة رُمّانَةً يتعبّد يَوْمَه . فإذا أمْسَىٰ نَزَل فأصابَ من الوَضُوء وأخَذ تلك الرُمّانَةَ فأكلَها ، ثم قَامَ لِصَلاتِه . فسأل رَبَّه عند وقتِ الأَجَل أن يَقْبِضَه سَاجِداً وأن لا يَجْعَلَ للأرضِ ولا لشيءٍ يُفْسِدُه علَيْه سَبيلاً حتى يَبْعَثَه الله وهو ساجدٌ .

قال : ففعَلَ ، فنحْنُ نَمرُّ عليه إذا هَبطْنَا وإذا عَرَجْنا فنَجِدُ لَه في العلم أنه يُبْعَثُ يومَ القيامة فيُوقَفُ بَيْنَ يَدَي الله فيَقُولُ لَهُ الربُّ : أدْخِلُوا عَبْدي الجنّةَ بِرَحْمَتِي فيقول : رَبِّ ، بل بعَمَلِي . فيقولُ : أدْخِلوا عَبْدي الجنة برحمتي فيقولُ : ربِّ ، بل بعَمَلِي . فيقولُ الله : قايِسُوا عَبْدِي بنعْمتِي عَلَيْه وبعَمَلِهِ ، فتُوْجَد نِعْمةُ البَصَر قد أحَاطَتْ بعبادةِ خَمْسِمائةِ سنةٍ ، وبَقِيَتْ نِعْمَةُ الجَسَد فَضْلاً عَلَيْه فيقول : أدْخِلوا عَبْدِي النار ، فيُجَرُّ إلى النار . فيُنادِي : رَبِّ ، بِرَحْمتِك أَدْخِلْني الجنَّةَ . فيقول : رُدُّوهُ ، فيُوقَفُ بين يَدَيْهِ .

فيَقولُ : يا عَبْدِي ، مَنْ خَلَقك ولم تَكُ شَيْئاً؟ فيقول : أنْتَ يا رَبِّ . فيقولُ : مَنْ قَوَّاكَ لعبادتي خمسَمائةِ سَنَةٍ؟ فيقول : أنتَ يا ربِّ . فيقول : مَنْ أنْزَلَك في جَبلٍ وسَط اللُّجّةِ ، وأخرَج لك الماءَ العَذْبَ من الماءِ المالِح ، وأخرَجَ لك كلَّ ليلةٍ رُمّانةً وإنما تَخْرُجُ مَرّةً في السَّنَة ، وسَألْتَه أن يَقبِضكَ ساجِداً ففَعَلَ؟ فيقول : أنْتَ يا رَبِّ . قال : فَذَلِكَ بِرَحْمتي وبرَحْمَتِي أُدْخِلُكَ الجنة . أدْخِلوا عبدِي الجَنَّة . فَنِعْمَ العَبْدُ كُنتَ يا عبْدِي . فأدخَلَه اللهُ الجَنّةَ . قال جبريلُ : إنَّما الأَشْيَاءُ برحْمَةِ اللهِ يا مُحَمَّدُ »[١] .

---

(١) رواه الحاكم .

بَقيّةُ ما أَخْبر ﷺ مِن أُمورِ الحَشر والنَّشر

« وأخبر أنه اقتصَّ للخَلْقِ بعْضِهم من بعضٍ ، حتى إنَّه ليقتَصُّ للشَّاةِ التي لا قَرْنَ لها من التي لها قرْنٌ إذا نَطَحتْها في الدُّنْيا . وحَتّى للذَّرّة من الذَّرّة ، وللعبْدِ مِنْ مَالكِه . ثم يُنادِيهم الحَقُّ سبحانَه وتعالى بصوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُد كما يَسْمَعُه مَنْ قَرُب : أنا الدَّيّانُ ، أنا المَلِكُ . لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حقٌّ حتى أقُصَّه منه ، ولا يَنْبغي لأَحَدٍ من أهلِ الجنةِ أن يَدْخُلَ الجنةَ ولأحدٍ من أهل النار عندَه حَقٌّ حتّى أقُصَّهُ منه ، حتى اللَّطْمَةَ » .

وَيجيءُ الظالِمُ يومَ القيامة حتّى إذا كان على جسر جهَنَّم بين الظُّلْمةِ والوَعِرَة ، لَقِيَه المظلومُ فعَرَفَه وعَرَف ما ظَلمه به فما يبرح الذين ظُلِمُوا يُقَصُّون من الَّذين ظَلَمُوا حتى يَنْزِعُوا ما في أيْدِيهم مِن الْحسَنَات ، فإن لم يَكُنْ لَهُمْ حَسَناتٌ ، رُدَّ علَيْهم من سَيّئاتِهم حتَّى يُوْرَدُوْا الدرْكَ الأَسْفَلَ من النّار » .

« ويأتي رجُلٌ في ذلك اليوم بصلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ ، ولكنَّه قد شَتَم هٰذا وقَذَف هٰذا وأكَلَ مالَ هٰذا وسَفَك دَمَ هٰذا وضَرَبَ هٰذا ، فيُعْطىٰ هذا من حسَناته وهٰذا من حَسَناته ، فإن فَنِيتْ حسَناتُه قبل أن يُقْضىٰ ما عَليه ، أُخِذَ من خَطاياهم وطُرِحَتْ عليه ثم طُرِح في النار ، وذٰلك هو المُفْلِس » .

ومِنْ صُوَر الحساب الواقعةِ في ذلك اليوم : « أن يَلْقىٰ العبدُ رَبَّه فيقول : أي فُلُ ، (أي يا فلان) ألم أُكرِمْك وأُسَوِّدْك وأُزَوِّجْك وأُسَخِّرْ لك الخَيْلَ والإبلَ وأذَرْكَ تَرْأس وتَرْبَعُ؟ (أي تأخذُ ما يأخذُه رئيس الجيش لنفسه وهو رُبع المغانم) . فيقول : بلىٰ يا رب ، فيقول : أظَنَنْتَ أنك مُلاقِيَّ؟ فيقول : لا . فيقول : فإنّي أنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي ، ثم يَلْقىٰ الثاني

فيقولُ : أي فُلُ ، ألم أكرمْك وأُسوِّدْك وأُزَوِّجْك وأُسَخِّرْ لك الخَيْلَ والإبلَ وأذَرْكَ ترْأَسُ وتَرْبَع؟ فيقول : بلىٰ يا ربِّ ، فيقول : أظَنَنْتَ أنك مُلاقِيَّ؟ فيقول : لا . فيقول : إني أنسَاكَ كما نَسِيتَنِي . ثم يَلْقَىٰ الثَّالِثُ فيقولُ : أي فُلُ ، ألم أُكرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ وأُزَوِّجْكَ وأُسَخِّرْ لك الخيْلَ والإبلَ وأذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟ فيقول : بلىٰ يا ربِّ ، فيقول : أظَنَنْتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقول : أيْ ربِّ ، آمَنْتُ بِكَ وبكتابِك وبِرُسُلك وَصلَّيْتُ وَصُمْتُ وتَصَدَّقْتُ ، وَيُثْنِي بخيرٍ ما اسْتَطَاع . فيقولُ : هٰهُنا إذاً . ثم يقولُ : الآن نَبْعَثُ شَاهِداً عليك ، فيتفكَّرُ في نَفْسِه مَنْ ذَا الذي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فيُختَم عَلَى فِيْهِ ويُقَالُ لفَخِذِه : انطِقي ، فيَنْطِقُ فَخِذُه وَلَحْمُه وعِظَامُهُ بعَمَلِه ، وذٰلك لِيُعْذَرَ مِنْ نفسِه ، وذٰلك المنافق ، وذلك الذي يَسْخَطُ اللهُ عليه »[١] .

« ثم يُقامُ الصِّراطُ على جهَنَّم ، فيكون النبي ﷺ هو أولَ مَنْ يَجُوز ولا يتكلَّمُ يومئذٍ أحدٌ إلاّ الرُّسلُ ، وكلامُهم : اللهمّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، فيَمرُّ المُؤمنون كطَرْفِ العيْنِ وكالبَرْقِ وكالرِّيْحِ وكالطَّيْر وكأجَاوِيدِ الخَيْلِ (أي الحُصُنِ المُسْرِعَة) والرِّكاب ، فنَاجٍ مُسَلَّمٌ . وَمَخْدُوشٌ (مَخْمُوشٌ ممزَّقٌ) مرْسَلٌ ، وَمكدوشٌ (أي مَصْروعٌ) في نار جهنم » .

« ثم يُؤْذَن للمؤمنين النَّاجين أن يَشْفَعُوا في إِخْوانهم الذين سَقَطُوا في جهنم فيقولون : رَبَّنا إخوانُنا كانوا يَصُومُون معَنا ويُصَلُّون ويَحُجُّون؟ فيقال لهم : أخرِجُوا مَنْ عرفْتُمْ ، فتَحْرُمُ صُوَرُهم على النار فيُخْرِجون خَلْقاً كثيراً قد أخَذت النارُ إلى نصف ساقِه وإلى رُكْبَتِه . ثم يقولُون : رَبَّنا ما بَقِي فيها ممّنْ أمَرتَنا به . فيُقال : ارْجِعُوا فمن وَجَدتُمْ في قلبه مِثقالَ دينارٍ من خَيْرٍ فأخرِجُوه ، فيُخرجون خَلْقاً كثيراً . ثم يقولون : ربَّنا لم نَذَرْ فيها أحداً ممّن أمرْتَنا . ثم يقولُ : ارجِعُوا فَمنْ وجَدْتُم في قلبِه مِثقالَ

---

(١) رواه مسلم .

نصفِ دينارٍ من خَيرٍ فأخْرِجُوه ، فيُخْرِجون خَلقاً كثِيْراً ثم يقولون : ربَّنا لم نَذَرْ فيهَا ممّنْ أمرتَنا أَحَداً . ثم يقولُ : ارْجِعُوا فمن وجَدْتُمْ في قلبِه مِثقالَ ذَرّةٍ من خيرٍ فأخْرِجُوه ، فيُخرِجُون خَلْقاً كثيراً . ثم يَقولُون : ربَّنا لم نَذَرْ فيها خَيْراً . فيقول الله عزّ وجلّ : شفَعت الملائكةُ وشَفَع النبيون ولم يَبْقَ إلاّ أرْحمُ الراحِمينَ ، فيَقْبِضُ قَبْضَةً من النّارِ فيُخْرِج منها قوماً من النار لم يَعْمَلُوا خيراً قطُّ قد عَادُوا حُمَماً ، فيُلقِيهِمْ في نَهرٍ في أفْوَاهِ الجنة يُقال له : نَهْرُ الحَياة ، فيَخرُجون كما تَخرُج الحِبَّةُ في حَمِيْلِ السَّيْلِ . ألا تَروْنَها تكُون إلى الحَجَر أو إلى الشَّجَرِ ما يكون إلى الشّمسِ أُصَيفِرَ وأُخَيْضِرَ (أي تميلُ إلى لَوْنِ الحَجر في الصُّفْرةِ واللّمَعَانِ أو إلى الشَّجَر في الخُضْرَة) ، وما يكون منها إلى الظِلّ يكون أبْيَضَ فقالُوا : يا رسُول الله ، كأنك كنتَ ترْعَىْ بالبَادِية . قال : فَيخْرُجون كاللؤلُؤِ في رِقابهم الخَواتِيم يَعْرِفُهم أهْلُ الجنَّةِ ، هؤلاء عُتقاءُ الله الذين أدْخَلهم الله الجنَّةَ بغَيْرِ عَملٍ عَمِلُوه ، ولا خيرٍ قَدَّمُوه ثم يقول : ادْخُلوا الجنةَ فما رَأيْتُموه فهُوَ لكم . فيقولون : ربَّنا أعطَيْتَنا ما لم تُعْطِ أحَداً من العالمين فيقول : لكُمْ عندِي أفضلُ من هٰذا . فيقولون : يا ربَّنا أيُّ شيءٍ أفْضَلُ من هذا؟ فيقول : رِضَايَ فلا أَسْخَطُ عليْكُمْ أبداً »[١] .

* * *

---

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ له .

الحَوضُ وَالمِيزانُ والصِّرَاط

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأُمّة المحمدية : ما أكرمهم الله تعالى به من العلم عن الحوض والميزان والصراط مما لم يفصَّل لأمّةٍ سابقة .

وأمّا الحوضُ : فهو طويلٌ جدّاً ، مَسافةُ طوله نحو سَير شهرٍ بمركب مُسرع ، ونواحيهِ واسعةٌ متساويةٌ . أطيبُ ريحاً من المسك ، وأحلىٰ من العسل ، وأبيض من اللبن ، وأبردُ من الثلج ، مَنْ شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً ، ولم يَسودَّ وجهه ، يجري فيه مِيزابان يَمدّانِه من الجنة ، أحدهما من ذَهبٍ والآخر من ورقٍ ، وأكوابه كَعدد نُجوم السماء ، وأهله مَنْ تَمسّك بشريعة سيدنا محمد ﷺ ولم يبدِّلوا ولم يغيِّروا ومَنْ لم يتَّخِذ عقيدةً غير ما عليه النبي ﷺ وأصحابه .

أما من غيّر أو بدّل ، فإنه يُطرد عنه كالمرتدِّ والمُخالِف لجماعةٍ من المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة والظلمة الجائرين ، والمُعلنِ بالكبائر المُستخِفِّ بالمعاصي ، وأهلِ الزيغ والبدع والكفار .

وأولُ الناسِ وروداً عليه ؛ فقراء المهاجرين ، ورسول الله ﷺ على الحَوضِ ينتظرُ من يَرِدُ عليه من الأُمّة .

وأمّا الميزان : فهو خَلقٌ عَظيمٌ من خَلْق الله لو وُزِنَتْ فِيْهِ السَّمٰوٰاتُ والأرض لوسعت ، به مَلكٌ مُوكَّلٌ ، فإذا جيءَ بابن آدم وقف بين كفَّتي الميزان ، فإن ثَقُل ميزانُه نادىٰ ذلك الملك بصوتٍ يُسمِع الخلائق : سَعِدَ

فلانٌ سعادةً لا يشقىٰ بعدها أبداً ، وإن خَفَّ ميزانُه نادى ذلك الملكُ بصوتٍ يُسمِع الخلائقَ : شقيَ فلانٌ شقاوةً لا يسعدُ بعدها أبداً[1] .

وأما الصراط : فَهو جِسرٌ مَمدودٌ على متن جهنم ، أرقُّ من الشَّعرة وأَحدُّ من السيف ، مَدْحَضَة مَزَلَّةٌ (أي مزلقة) عليه كَلاليب (أي خَطاطيفُ من حديد) من نارٍ يخطَف بها ، فَمُمْسَكٌ يهوي فيها وَمصروع ، ومنهم من يَمرُّ كالبرق فلا يَنْشَبُ (أي يقع فيما لا مَخلص له منه ولم يلبث) ذلك أن ينجو ، ثم كالريح فلا يَنشبُ ذلك أن ينجو ، ثم كجري الفرس ، ثم كرمَل الرَّجْل . ثم كمشي الرَّجْل .

وقد ذكرت السيدة عائشة رضي الله عنها النارَ فبكت . فقال رسول الله ﷺ : « ما يُبْكِيكِ؟ فقالتْ : ذَكَرْتُ النّارَ فبكَيْتُ ، فهل تَذْكُرُون أهْلِيكم يومَ القيامة؟ فقال : أمَّا في ثلاثةِ مَوَاطنَ فلا يَذْكُر أحدٌ أحَداً : عند الميزان حتى يَعْلَمَ أيخِفُّ ميزانُه أم يَثْقُل؟ ، وعند تطايُر الصُّحُفِ حتى يعلَم أين يَقَعُ كتابُه في يَمينِه أم وَراء ظَهره؟ ، وعند الصراط إذا وُضع بين ظَهْرَيْ جَهنَّم حتى يَجُوز »[2] .

وقد سَأل أنس رسول الله ﷺ أن يَشْفَع لهُ فقال ﷺ : « أنَا فاعِلٌ إن شاء الله ، يقول أنسٌ : قلتُ : فأيْنَ أطْلبُك؟ قال رسول الله ﷺ : « أوَّلُ ما تَطْلُبُني على الصِّراط . قال أنسٌ : قلت : فإن لَمْ أَلْقَك على الصِّراط قال : فاطْلُبْني عندَ المِيزَانِ . قال : قلتُ : فإن لَمْ أَلْقَكَ عندَ الميزانِ؟ قال : فاطلُبْني عند الحَوْضِ فَإني لا أُخطِىءُ هٰذه الثَّلاثةَ مَوَاطِنَ »[3] .

* * *

(١) رواه البزار والبيهقي .

(٢) رواه أبو داوود .

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب.

اختصَاصُ نَبينا مُحمدٍ ﷺ بالشَّفاعةِ العُظْمىٰ

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأُمّة المحمدية : أن جعل نبينا محمداً ﷺ هو شَافعُ ذلك الموقف .

كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كنّا مع النبي ﷺ في دَعْوَة ، فرُفِع إليه الذِّرَاعُ ، وكانتْ تُعْجِبُه فَنَهَس منْهَا نَهسةً وقال : أنا سَيِّدُ الناسِ يوْمَ القِيامة ، هل تَدْرُون مِمَّ ذاك؟ يَجْمعُ الله الأَوّلين والآخِرين في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فيُبْصِرهُم النّاظِرُ وَيسْمَعُهُم الدَّاعِي ، وتَدْنُو مِنهم الشَمْسُ فَيَبْلُغُ الناس من الغَمّ والكَرْبِ مَا لا يُطِيقُون ولا يَحْتَمِلُون . فيقول الناسُ : ألا تَرَوْنَ إلى ما أَنْتُمْ فِيه ، وإلىٰ ما بلَغكُمْ ، أَلا تَنْظُرون مَنْ يشفَعُ لَكُم إلىٰ رَبِّكُمْ؟ فيقولُ بَعْضُ الناسِ لبَعْضٍ : أَبُوكُم آدَمُ ، فيأْتُونَهُ فَيَقُولون : يا آدَمُ أنتَ أبو البَشر ، خلَقَك الله بيدِه . ونَفخ فيكَ مِنْ رُوْحِه وأمَر الملائكةَ فسَجَدُوا لك ، وأسْكَنكَ الجنَّةَ . أَلا تَشْفَعُ لنا إلى رَبّك ، أَلا ترىٰ مَا نَحْنُ فِيه وما بَلَغنا .

فقال : إنّ ربي غَضِب اليَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْله مِثْلَه ، ولا يغْضَبُ بعدَهُ مِثْلَه ، وإنّه نَهاني عن الشَّجرَةِ فَعَصَيْتُ ، نفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ، اذْهَبُوا إلى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إلىٰ نوحٍ . فيأْتُون نُوحاً فيقُولُون : يا نُوْحُ ، أنْتَ أوّلُ الرُّسُلِ إلىٰ أهلِ الأرْضِ ، وقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عبداً شَكُوراً . أَلا ترى إلىٰ ما نَحْنُ فيه ، أَلا ترىٰ إلى ما بَلَغنا ، ألا تَشْفَعُ لنا إلى رَبِّكَ؟ فيقولُ : إنَّ

ربِّي غضِبَ اليومَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَه مثْلَه ، ولن يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَه وإنّه قد كانَ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِها علىٰ قَوْمِي ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إلىٰ غَيْرِي ، اذْهَبُوا إلى إبراهيم . فيَأْتون إبراهِيمَ فيَقُولُون : أنتَ نَبِيُّ الله وخَلِيْلُه مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، اشْفَعْ لَنا إلى رَبِّك ألا تَرىٰ إلىٰ ما نحنُ فِيهِ؟ فيَقُولُ لَهُم : إنَّ رَبِّي قد غضِب الْيَوْمَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَه مِثْلَه ، ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَه مِثْلَه ، وإنِّي كُنْتُ كذَبْتُ ثَلاثَ كذَباتٍ فَذَكَرها ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلىٰ مُوْسىٰ . فيَأْتُونَ مُوسىٰ فيقولُون : يا مُوسىٰ ، أنت رَسولُ الله فضّلَكَ اللهُ برِسَالاتِه وبكلامِه على الناسِ ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبّك أمَا تَرى إلى ما نَحنُ فيه . فيَقُولُ : إنَّ ربّي قد غَضِبَ اليومَ غضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ ، ولَنْ يَغضَب بَعْده مِثْلَه ، وإنّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُوْمَرْ بقَتْلِها ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلىٰ عِيْسَىٰ . فيَأْتُونَ عِيْسىٰ فيَقُولُون : يَا عِيْسىٰ ، أنتَ رَسُوْلُ الله وكَلِمتُه أَلْقَاها إلىٰ مريَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وكَلَّمْتَ النَّاسَ في المَهْدِ . اشْفَعْ لَنا إِلىٰ رَبِّك ، أَلا تَرىٰ إلىٰ مَا نحنُ فِيه؟ فيَقُولُ عِيسىٰ : إنّ رَبّي قد غَضِبَ اليومَ غَضَباً لم يَغْضَبْ قَبْلَه مِثْلَه ، ولن يَغْضَبَ بَعْدَه مِثلَه ، ولم يَذْكُرْ ذَنْباً . نفسِي نَفْسِي نَفْسِي . اذْهَبُوا إِلىٰ غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلىٰ محمّدٍ ﷺ فيأْتُونِي .

فَيَقُولُون : يا مُحَمّدُ ، أَنْتَ رَسُولُ الله ، وخَاتَمُ الأَنْبياءِ ، وقَدْ غَفَرَ الله لك مَا تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تَأَخّرَ . اشْفَعْ لَنَا إِلىٰ رَبِّكَ ، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحنُ فيه؟ فأَنطلِقُ فآتِي تَحتَ العرش ، فأَقَعُ ساجِداً لرَبّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عليَّ من مَحَامِدِهِ وحُسْنِ الثَّناءِ عَليه شيئاً لم يَفْتَحْهُ علىٰ أحدٍ قَبْلِي ، ثمّ يُقَالُ : يا محمَّد ، ارْفَعْ رأسَك سَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فأقولُ : أُمَّتي يا ربِّ ، أُمَّتي يَا رَبِّ ، امتي يَا رَبِّ . فيُقَالُ : يا محمدُ ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عليهم مِن الباب الأيْمَنِ من أبوابِ الجَنَّةِ ، وهُمْ شُرَكَاءُ الناسِ فيما سِوىٰ ذٰلِك مِنَ الأَبْوَابِ . ثم قال : والّذي نفسِي بيدِه ، إنّ

ما بَيْنَ المِصْرَاعَيْن مِنْ مَصارِيعِ الجنّةِ ، كما بَيْن مكةَ وهَجَرَ ، أو كما بَيْنَ مَكّةَ وبُصْرى »[1] .

وَرُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يُوضَعُ للأنبياءِ مَنابِرُ من نُورٍ يَجْلِسُون علَيْها ويَبْقىٰ مِنْبَرِي لا أَجْلِسُ علَيْه . أو قالَ : لا أقعدُ علَيْه ، قائماً بين يدَيْ ربِّي مخافَةَ أن يُبْعَثَ بي إلى الجَنّةِ وتَبْقَى أُمَّتِي بَعْدِي فأقُولُ : يا رَبِّ أُمّتِي أُمّتِي . فيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : يا مُحَمّدُ ، ما تُرِيدُ أن أَصْنَع بأُمّتِك؟ فأقُولُ : يا رَبِّ عَجِّلْ حِسَابَهُمْ . فيُدعىٰ بِهِمْ فَيُحاسَبُون ، فمِنْهُم مَنْ يَدخُل الجنَّةَ بِرحْمَتِه ، ومِنهُم مَنْ يَدْخُل الجَنّةَ بشَفَاعَتِي . فما أَزَالُ أَشْفَعُ حتى أُعطىٰ صِكَاكاً برجالٍ قَدْ بُعِث بِهم إلىٰ النّارِ حتَّى إنَّ مالِكاً خازِنَ النار لَيَقُولُ : يا محمّدُ ، ما تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ في أُمّتك من نِقْمةٍ »[2] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « أَشْفَعُ لأمّتِي حتى يُنَادِيَنِي رَبِّي تبارك وتَعالى فيقولُ : أقَدْ رَضِيتَ يا مُحَمّدُ؟ فأقُولُ : أيْ ربِّ قَدْ رَضِيتُ »[3] .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفاعَةِ أو يَدْخُلُ نِصفُ أُمّتي الجنةَ ، فاخْتَرْتُ الشَّفاعَةَ لأنّها أعَمُّ وأكْفىٰ ، أمَا إنّها ليسَتْ للمؤمنين المُتقدِّمين ـ (أي السلف الصالح) ـ ، ولكنّها للمُذْنِبين الخَطّائِينَ المُتلَوِّثِينَ »[4] .

* * *

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » والبيهقي في « البعث » . ومعنى الصكاك : الكتاب .

(٣) رواه البزار والطبراني وابن حبان في « صحيحه » والبيهقي .

(٤) رواه أحمد والطبراني واللفظ له وإسناده جيد .

النَّارُ وَأحوَالُ أَهلها

ومما أكرم الله تعالى به هذهِ الأُمّة المحمدية : أن وَفَّر حَظّها من العلم التفصيلي بالنار وأحوال أهلها ، وذلك بلسان النُّبوّة الصَّادقة .

رُويَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ في حينٍ غير حينه الذي كان يَأتيه فيه ، فقَامَ إليه رسول الله ﷺ فقال : يا جِبْريلُ مالي أراكَ متغيِّر اللّون؟ فقال : ما جئتُكَ حتى أمرَ الله عزّ وجلَّ بمنَافخِ النار . فقال رسول الله ﷺ : يا جبريلُ صِفْ لي النار وانعَت لي جهَنَّم .

فقال جبريلُ : إنَّ الله تبارك وتعالى أمَرَ بجهنم فأُوقِد عليها ألف عَامٍ حتى ابيضَّتْ ، ثم أمَر فأُوقِدَ عليها ألفَ عام حتى احمَرَّتْ ، ثم أمر فأُوْقِدَ عليها ألفَ عام حتى اسودَّتْ . فهي سَوْداءُ مظلمةٌ لا يُضِيءُ شَرَرُها ولا يُطفأُ لَهَبُها ، والذي بعثَك بالحقّ لو أنَّ قَدْرَ ثَقْبِ إبرةٍ فُتِح مِن جهنَّم لماتَ مَن في الأرضِ كلُّهم جميعاً مِن حَرّهِ ، والذي بعثَك بالحقِّ لو أنّ خازناً مِن خَزَنَةِ جهنَّم برزَ إلى أهلِ الدنيا لماتَ مَن في الأرض كلُّهم مِن قُبحِ وجْهِه ومِن نَتْنِ رِيحِه ، والذي بعثَك بالحقّ لو أنّ حَلقةً من حِلَقِ سِلْسِلةِ أهلِ النارِ التي نَعتَ الله في كتابه وُضِعتْ على جبالِ الدنيا لأَرْفَضَتْ (تَدَكْدَكتْ) وما تقَارَّتْ (أي لم يُوجد لها قرار) حتى يَنْتَهِيَ إلى الأرضِ السُّفلىٰ . فقال رسول الله ﷺ : حَسبِي يا جبريلُ لا يَنصدِعُ قلبِي فأمُوتَ . قال : فنظَر رسول الله ﷺ إلى جبريلَ وهُو يَبكي . فقال : تبكِي يا جبريل وأنتَ

من الله بالمَكان الذي أنتَ به؟ فقال : ومَا لي لا أبكي؟ أنا أحَقُّ بالبكاء لَعَلّي أكُونُ في علمِ اللهِ على غيرِ الحال التي أنا علَيها ، وما أدرِي لَعَلّي أُبْتَلىٰ بما ابتُلِي به إبليسُ ، فقد كان من الملائكةِ ، وما أدري لعلِّي أُبتلَىٰ بما ابتُلي به هارُوت وماروتُ . قال : فبَكَىٰ رسول الله ﷺ ، وبَكىٰ جبريلُ عليه السلام ، فَما زَالا يَبكِيانِ حتى نُودِيا : أنْ يا جبريلُ ويا محمدُ ، إنَّ الله عزّ وجلّ قد أمَّنَكُمَا أن تَعْصِياه . فَارتفع جبريلُ عليه السلام ، وخَرجَ رسول الله ﷺ فمَرّ بقومٍ من الأنصار يَضْحَكُون ويَلْعبون فقال : أتَضْحَكُون ووراءكم جهنَّمُ فلو تَعْلَمون ما أعلَمُ ، لضحِكْتُم قليلاً ولبَكَيْتُم كثيراً ، ولَمَا أسَغْتُمْ الطعامَ والشَّرابَ ولخرجتُمْ إلى الصَّعَدات » أي الطُّرق) تجْأرون إلى الله (أي تَلجؤون إليه وتتضرّعون بإزالة كَرْبه)[١] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُؤْتىٰ بالنارِ يومَ القيامة لها سبعون ألفَ زِمامٍ (أي ناحيةٍ أو جهةٍ أو ثَغرةٍ مفتُوحةٍ فيها) ، مع كُلِّ زِمامٍ سبعون ألفَ ملكٍ يَجُرُّونَها »[٢] .

أمّا شِدّةُ حَرّها : فقد قال ﷺ : « نَارُكم هٰذه ما يُوقِد بنو آدم جُزءٌ وَاحِدٌ من سبعين جزءاً من نارِ جهنَّم ، قالوا : والله إنْ كانتْ لكافِيَةً . قال : إنها فُضِّلتْ عليها بتسعةٍ وستين جُزءاً ، كلُّهن مثلُ حَرِّهَا »[٣] .

وفي روايةٍ : « وَضُرِبتْ بالبحرِ مرَّتين ، ولولا ذٰلك ما جعل الله فيها مَنفعةً لأحدٍ »[٤] .

---

(١) رواه الطبراني في « الأوسط » .
(٢) رواه مسلم والترمذي .
(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي .
(٤) رواها أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي .

وفي روايةٍ : « أنَّ رسول الله ﷺ قال : تَحسَبون أنَّ نارَ جهنم مِثلُ نارِكم هٰذه؟ هِيَ أشدُّ سواداً من القَار ، هي جُزءٌ من بِضعةٍ وسِتّين جُزْءاً منها ، أو نيِّفٍ وأربعينَ »[1] .

وقال ﷺ : « لو كان في هٰذا المسجِد مائةُ ألفٍ أو يَزيدُون وفيهم رجُلٌ من أهلِ النار فتنفَّسَ فأصابهم نَفَسُه ، لاحترَقَ المسجدُ ومَن فيه »[2] .

وفي جهنم وَادٍ من قَيح ودمٍ يُسمى : (مَوبقاً) وهو الذي ذَكرهُ المولىٰ بقوله : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف : ٥٢] .

وفي جهنَّم وَادٍ تتعوّذ منه جهنم كُلَّ يوم سبعين مرة ، أعدّه الله تعالى للقُرَّاءِ المُرَائِيْنَ يُسمّى : (جُبَّ الحَزْنِ) .

وفي جهنم قَصرٌ يقال له : هَوَى . يُرمَىٰ الكافرُ من أعلاه أربعين خَرِيفاً قبل أنْ يبلُغ أصلَه ، وهو المُشارُ إليه بقوله تعالى : ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه : ٨١] أي : تردَّى وهلَك .

وفي جهنم وَادٍ يُدعىٰ : (أثامًا) ، فيه حَيّاتٌ وعَقاربُ فِقَارُ إحداهن مقدارُ سبعين قُلّة سُمٍّ ، والعَقربُ مِنهنّ مثلُ البَغْلة الموكَفَة (أي الضَخْمةِ السمينة) تَلدَغُ الرَّجُل ، ولا يُلهِيه ما يجد من حَرّ جهنم عن حَمْوَةِ لَدْغَتِهَا (أي مادّةِ سُمِّها) ، فهو لمن خُلِق له .

وفي جهنم سبعون دَاءً ، كُلّ داءٍ مثلُ جُزءٍ من أجزاءِ جهنم .

وفي جهنَّمَ سبعون ألفَ وَادٍ وفي كلِّ وادٍ سَبعُون ألفَ شِعْبٍ ، وفي كلِّ شِعبٍ سبعون ألفَ جُحْرٍ ، وفي كُلِّ جُحْرٍ حَيَّةٌ تأكُل وجُوهَ أهْلِ النّار .

---

(١) رواها البيهقي .
(٢) رواه أبو يعلى .

وفي روايةٍ : « في كُلِّ شِعبٍ سبعون ألفَ دارٍ ، في كُلِّ دار سبعون ألفَ بيتٍ ، في كُلِّ بيت سبعون ألفَ بئرٍ ، في كُلِّ بئرٍ سبعون ألف ثُعبانٍ ، في شِدْقِ كُلِّ ثُعْبان سبعون ألفَ عقرب ، لا يَنتهِي الكافِرُ أو المُنافِقُ حتى يُواقِع ذٰلِك كلّه .

وإنَّ في النار حيّاتٍ كأمثالِ أعناقِ البُخْت (الإبل) ، تَلْسع إحداهُنّ لَسْعَةً فيَجد حَرَّها سبعين خَريفاً .

وإنَّ لجهنَّم لَجِباباً (أي آباراً) في كلِّ جُبٍّ ساحِلاً كساحِل البحر ، فيه هَوامٌ (أي حشرات) وحَيّاتٌ كالبَخاتِي وعقاربُ كالبغَال الدُّلَّ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أنَّ غَرْباً من جهنَّم جُعل في وسَط الأرض ، لأذىٰ نتنُ ريحِه وشدَّةُ حَرّه ما بينَ المشرِق والمغرِب ، ولو أنّ شَررةً من شَررِ جهنَّم بالمشرِق لوَجد حَرَّها مَنْ بالمغرِب[1] .

والغَرْبُ بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء بعدها بَاءٌ مُوحّدةٌ هي : الدَّلوُ العظيمة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لمّا خَلق اللهُ الجنّةَ والنارَ أرسلَ جبريلَ إلى الجنّةِ فقالَ : انظرْ إليها وإلىٰ ما أعدَدْتُ لأهلِها فيها . قال : فجاءَ فنظَرَ إليها وإلىٰ ما أعدَّ اللهُ لأهلِها فيها ، قال : فرجَع إليه قال : وعِزَّتِكَ لا يَسمعُ بها أحَدٌ إلاّ دَخَلها . فأُمرَ بها فحُفَّتْ بالمَكارِه . فقال : ارجِعْ إليها فانظُرْ إلىٰ ما أعددتُ لأهلِها فيها . قال : فرجَع إليها ، فإذا هي قد حُفَّتْ بالمَكارِه ، فرجَع إليه فقال : وعِزّتِك لقد خِفْتُ أن لا يَدخُلَها أحدٌ . وقال : اذْهَبْ إلى النار فانظُرْ إليها وإلىٰ

(١) رواه الطبراني .

ما أعْدَدْتُ لأَهْلِها فيها ، قال : فنظَر إليها فإذا هي يَركبُ بعضُها بعضاً ، فرجَع إليه فقال : وعِزَّتِك لا يَسمع بها أحدٌ فيدخُلَها . فأُمِر بها فحُفَّتْ بالشَّهَواتِ ، فقال ارجِعْ إليها ، فرجَع إليها فقال : وعِزّتِك لقد خشِيتُ أن لا ينجُوَ منها أحَدٌ إلاّ دَخلها » .

وفي جهنم وَادٍ يُسمّىٰ : (وَيْلاً) يَهوي الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قَعرَهُ .

وفيها جَبلٌ من نارٍ يسمى : (صَعُوْدًا) وهو الذي أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر : ١٧] يتصعّد فيه الكافر سبعين خريفاً ويَهوي به كذلك أبداً .

وفي جهنم وَادٍ يسمى : (غَيًّا) يقذفُ فيه الذين يتَّبعون الشهوات وهو الذي أشار إليه المولى جلّ شأنه بقوله : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] فإذا سأل أهل النار التخفيف قيل : اخرُجوا إلى الساحل ، فتأخذهم تلك الهوامُّ بِشفَاهِهم وَجُنُوْبِهِمْ وما شاء الله من ذلك فتكْشِطُهَا ، فيرجعون فيبادرون إلى مُعظم النيران ويُسلّط عليهم الجَرَبُ حتى إنَّ أحدهم لَيَحُكُّ جلده حتى يبدو العَظْمُ ، فيقال : يا فلان ، هل يُؤذيك هذا؟ فيقول : نعم ، فَيُقال له : ذلك بما كنت تُؤذي المؤمنين .

أمّا شَرابهم فالحميم ، كما قال تعالى : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد : ١٥] وإنه ليُصَبُّ على رؤوسهم فينفذ الحَميمُ حتى يَخلُصَ إلى جوفه ، فَيَسْلُت ما في جوفه حتى يمرُق من قدميه وهو الصَّهر ، ثم يُعاد كما كان .

ويُسقَوْنَ من مَاءٍ صَديدٍ . كما قال تعالى : ﴿ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾ [إبراهيم : ١٦-١٧] يُقرَّبُ إلى فيه فيكرهه ، فإذا أُدْنِيَ منه شَوَىٰ وَجْهَه ووقعت فَروَةُ رأسه . فإذا شَربهُ ، قطَّع أمعاءه حتى يخرجَ من دُبرِهِ

كما قال تعالى : ﴿وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ وقال : ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف : ٢٩] ولو أنَّ دلواً من غَسّاقٍ يُهراق في الدنيا ، لأنتن أهل الدنيا . والحميم والغَسّاق : هو ما يَسيلُ من جُلودِ أهل النار .

أمَّا طَعامهم فَالزَّقُّوم . ولو أنَّ قطرةً من الزَّقُّوم قطرت في دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الدُّنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه؟ .

ومن طعامهم شَوكٌ يأخذُ بالحَلْقِ لا يدخل ولا يخرج ، وهو ما ذَكرهُ تعالى بقوله : ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل : ١٣] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يُلْقَى على أهلِ النار الجُوعُ ، فيَعدِلُ ما هُم فيه من العَذاب ، فيَسْتغِيثون فيُغاثون بطعامٍ من ضَريعٍ لا يُسْمِن ولا يُغنِي من جُوعٍ ، فيَستغيثون فيُغاثون بطعامٍ ذي غُصّةٍ ، فيَذكرون أنهم يُجيزون الغُصَص في الدنيا بالشَّرابِ ، فيَستغِيثون بالشراب فيُدْفَع إليهم الحَمِيم بكَلاليبِ الحديدِ ، فإذا دَنتْ من وُجوهِهم شَوَتْ وجُوهَهم ، فإذا دخَلتْ بطونَهم ، قطَّعتْ ما في بطونِهم فيقولُون : أُدعُوا خزَنةَ جهنم فيقولون : ﴿قَالُوٓا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَٰتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَٰٓؤُا الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر : ٥٠] قال : فيقولون : أُدْعُوا مَالِكاً فيقولون : ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف : ٧٧] قال : فيُجِيبُهُم : ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف : ٧٧] . قال الأعمش : نُبِّئْتُ أنَّ بين دعائِهم وبين إجابةِ مالكٍ إيَّاهُم ألْفَ عامٍ . قال : فيقولُون : ادعُوا ربكم ، فلا أحدَ خيرٌ من رَبِّكم فيقولون : ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ۝١٠٦ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٦-١٠٧] قال : فيُجِيبُهم : ﴿اخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون : ١٠٨] قال : فَعند ذلك يَئِسوا من كُلِّ خيرٍ ، وعند

ذلك يأخُذون في الزَّفير والحَسْرةِ والويلِ »[1] .

وَيتفاوتُ أهلُ النار في العذاب ، فأهونهم عذاباً رجلٌ منتعِلٌ بنعلين من نار يغلي منهما دِمَاغُه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى كعبيه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من في النار إلى ركبتيه مع أجزاء العذاب ، ومنهم من قد اغتمر (أي عَمّ جميع جسمه) .

ويقول ﷺ في الحديث : « يا أيها الناسُ ، ابكُوا فإن لم تبكُوا فتَباكَوْا . فإنّ أهلَ النارِ يَبكُون في النار حتى تَسِيلَ دموعُهم في خدُودهم كأنّها جداولُ (أي أنهارٌ) حتى تَنقطعَ الدمُوعُ ، فيَسِيل - يعني الدمَ - فيُقرِح العُيونَ » .

* * *

(١) رواه البيهقي والترمذي .د
الزفير : تردُّد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه ، والحسرة : تقطُّع الأنفاس وزيادة الملل والضجر .

تَعْريفُ الأُمّة المُحمديةِ بالجَنّةِ وَأحوَالها

ومما أكرم الله تعالى به هذه الأُمّة المحمدية : أن وفَّرَ حظَّها من العلم المُفَصَّلِ عن الجنة وصفتها بلسانِ النُّبوّة المطهّرة . إذ أخبر ﷺ أنَّ أبوابَ الجنة ثمانيةٌ ، ولكلِّ أهلِ عَملٍ بابٌ من أبواب الجنة ، يُدْعون منه بذلك العمل . فللصائمين بابٌ خاصٌّ يُسمىٰ : باب الرّيّان يَدخلُ منه الصائمون يوم القيامة ، لا يَدْخُل معهم غيرُهم . يُقال : أين الصائمون ، فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرُهُم أُغلِق فلم يَدخل منه أحدٌ .

وهناك بَابٌ يُقال له : الضُّحىٰ ، فإذا كان يوم القيامة نَادىٰ مُنادٍ : أين الذين كانوا يُدِيمونَ على صلاة الضُحىٰ؟ هذا بابُكم فادخُلوا برحمة الله .

وهناك بَابٌ خَاصٌّ لا يَدخُل منه إلاَّ من أطعم مؤمناً حتى يُشْبِعه ، لا يَدخُل معه إلاَّ مَن كان مِثلَهُ .

وهناك بَابُ الصلاة ، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة ، ومن أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دُعي من أبواب الجنة .

وهذه الأبوابُ تُفتح كلها لبعض أَرباب الأعمال في الدنيا ، فمن تَوضّأ وأسبغ الوُضوءَ ثم قال : أشهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير ، إلخ . . . فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيّها شاء .

وفي روايةٍ بزيادة : أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عَبدهُ ورسوله ، وأنَّ عيسى عبد الله وابن أَمتِه وكلمته ألقاها إلى مريم ورُوحٌ منه ، وأنَّ الجنة حقٌّ ، والنار حقٌّ .

ومن مات له ثلاثة من الولد دون البلوغ ، تَتلقّاهُ أولاده من أبواب الجنة الثمانية يَدخُل من أيها شاء .

وَالمرأةُ إذا صَلّت خَمسها وصامت شَهرها وحفظت فَرجها وأطاعت زوجها قيل لها : ادخلي من أيِّ أبواب الجنّة شئتِ .

ومن كان له ابنتان أو أختان أو عمتان أو خالتان وَعالهنَّ ، فُتحت له ثمانية أبواب الجنة .

وقد أخرج مسلم عن عقبة بن غزوان قال : ذُكِرَ لنا أنَّ ما بين المِصراعَيْنِ من مَصاريع الجنة بينهما مَسِيرةُ أربعين سنةً ، وَلَيأتيَنَّ علَيه يَومٌ وهو كَظِيظٌ من الزِّحَام .

وفي روايةٍ يقول ﷺ : « والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِه ، إنَّ ما بين مِصْرَاعَيْنِ من مَصارِيْعِ الجَنَّة ، لَكَما بَينَ مكَّةَ وهَجَر . أوْ كما بَيْنَ مكَّةَ وبُصْرىٰ » .

يَقُول قتادة رضي الله عنه : هي أَبوابٌ يُرىٰ ظَاهرها من باطنها ، وبَاطنها من ظاهرها ، تَتكلَّمُ وتُكلم ، وتَفهَمُ ما يُقال لها : انفتِحِي ، انغلقي .

وقد أخبرنا ﷺ بما تَلاهُ علينا من القرآن الكريم في كثير من آياته عن الجنة وأوصافها العامة ، فأخبرنا أنه جنة المأوىٰ ودَارُ الخُلد ودار السلام ، وفيها الرَّوحُ والرَّيحان ، والنعيمُ المُقِيمُ ، وأنَّ عرضها السموات والأرض ، وهي مُعدّةٌ مُهياةٌ للمتّقين مُفتّحةً لهم الأبواب .

وكذلك تحدّثَ ﷺ عن الجنة وأوصافها العامة في كثير من الأحاديث

النبوية والقُدسية ، وأقسم بربّ الكعبة إنّها نُورٌ يَتلألأُ ورَيحانٌ وقصرٌ مَشِيْدٌ ، ونَهْرٌ مطّرِدٌ وثمرةٌ نَضِيجةٌ ، وزَوجةٌ حَسناءُ جميلةٌ وحُلَلٌ كثيرةٌ ، وَمُقَامٌ في أبدٍ في دارٍ سليمة ، وفاكِهةٌ وخَضِرةٌ وحَبرة ونعمةٌ في مَحلّةٍ عَاليةٍ بَهيَّةٍ لا تُقاس بالدنيا بما فيها . فأَقلُّ شيءٍ في الجنة هو أَعظمُ من أَعظمِ شيءٍ في الدُّنيا ، بل إنَّ موضعَ سَوطٍ في الجنة خَيرٌ من الدنيا وما فيها .

وإنَّ قَاب قَوسٍ وَاحدٍ من أهل الجنة فيها ، خَيرٌ مما طَلعت عليه الشمس أو غربت ، ولو أن رجلاً من أهل الجنة طَلع فبدت زِينتُهُ وحليته وأساوره ، لَطمس ذلك ضَوء الشمس كما تَطمسُ الشمس ضوءَ النجوم ، ولا يَستطيع العقل البشري مهما اتسعت مداركه وآفاقه العلمية أن يتصور حقيقة ما في تلك الدار من أنواع النِّعَم وموائد الكرم ، وَلذةِ النعيم وَمُتعةِ النظر إلى الوجه الكريم ، ولطائفِ الأُنس في حَظيرةِ القُدس ، لأنَّ الله تعالى نَفىٰ وُجودَ العِلم الكامل التام بحقيقة ما في ذلك المقام ، فقال : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] . وهذا هو الذي أشار إليه النبي ﷺ فيما يَرويه عن ربِّ العِزة جلّ جلاله : « أَعْدَدْتُ لِعبادِي الصالحين ما لا عَيْنٌ رأتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قلْبِ بشَرٍ » .

ولذلك فإنَّ الإِنسان إذا رأىٰ ذلك النَّعيم وانغمس فيما أَعدّهُ الله له من خَيرٍ وَمقامٍ وانصبغ في الجنة صبغةً ، يمتلىءُ قلبه ونفسه بالبهجةِ والحُبور والفَرح والسُّرورِ وينسىٰ ما كان فيه في الدنيا من بُؤسٍ وَشدّةٍ وتَعبٍ وَضنكٍ ، حتى أنه لَيُقال له : يا ابنَ آدمَ ، هل رَأَيْتَ بُؤْساً؟ هل مَرَّ بِكَ شِدّةٌ؟ فيقول : لا واللهِ يا رَبِّي ، ما مَرّ بِي بُؤْسٌ قطّ ، ولا رَأَيْتُ شِدّةً قطّ .

ففي هذا السبيل تُبذل المُهج وَتباعُ الأنفس وَيتسابقُ المجدّون ولأجل هذه السِّلعة الغَالية ، يُسارع المؤمنون معتقدين أنّ من خَاف أدلج ، ومن

أدلج بلغ المنزل ، وإنَّ المنزل هو سِلعةُ الله الغالية ، وإنَّ سلعة الله هي الجنة ، فلا يَصلُ إلاَّ الموفّقُ المحفوظُ وَالمؤيدُ الملحُوظُ الذي لا تَغرّهُ الشهوات المحيطة بالنار ، ولا تضرّهُ المكَارهُ التي حُفّت بالجنة .

لأنَّ الله تعالى لما خَلق الجنَّةَ قال لجبريل : اذْهَبْ إليها ، فذهَبَ فنظَرَ إلَيْها فقال : أيْ ربِّ ، وعِزَّتكَ لا يَسْمعُ بها أحَدٌ إلاَّ دَخَلها ثم حَفَّها بالمَكارِه ، ثم قال : يا جِبريلُ ، اذهَبْ فانْظُرْ إليها ، فذهب فنَظَر إليها ثم جاءَ فقال : أي ربِّ ، لقَدْ خَشِيتُ أنْ لا يَدخُلهَا أحَدٌ . فلمّا خلَق اللهُ النّارَ قال : يا جِبريلُ ، اذهَبْ فانظُرْ إليها ، فذهبَ فنَظَر إليْهَا ثم جاءَ فقال : أيْ ربّ ، وعزّتِك لا يَسمع بها أحدٌ فيَدْخُلَها . فحَفَّها بالشَّهوَاتِ ثم قال : يا جِبْرِيلُ ، اذْهَبْ فانظُرْ إلَيْها ، فذَهَب فنظَرَ إليْها فقالَ : أيْ رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ لقدْ خَشِيتُ أن لا يَبْقَىٰ أحَدٌ إلاَّ دَخلها .

ولمَّا خلق اللهُ تعالى الجنة ودَلَّىٰ فيها ثِمارَها وشقَّ فيها أنهارها ، نظر إليها فقال لها : تكلَّمِي فقالتْ : طُوبىٰ لِمَنْ رَضِيْتَ علَيه ، قد أفْلَحَ المُؤْمِنون فقال : وعِزَّتي وجَلالِي لا يُجاورُني فِيك بخيلٌ ، فلا يَصِلُ إليها بسَلامٍ وأَمانٍ إلاَّ المُفْلِحون ، ولا يُفْلِحُ إلاَّ المُؤْمِنُون الَّذين رَضِيَ الله عنهم وَرَضُوا عَنْه .

ولما كان الإِنعامُ والإكرامُ الأُخروي في الجنة متفاوتاً لاختلافِ أعمال الناس ، اقتضىٰ ذلك أن تكونَ منازلهم في الجنة أيضاً علىٰ مراتبَ مُختلفةٍ ودَرجاتٍ مُتفاوتَةٍ ليظهر فَضلُ الفَاضِل وسبقُ الكَاملِ وَجُهد العَامِلِ .

وأعلىٰ هذه الدرجات وأعظمها ، هي الفردوس .

فالفردوسُ أعلاها درجةً وفوقه عرش الرحمن ، ومنها تُفجر أنهار الجنة الأربعة .

ولذا فقد أمرنا رسول الله ﷺ إذا سألنا الجنة ، أن نسألَ اللهَ الفردوسَ ، وبيَّنَ لنا سبيلَ إدراكِ أعلىٰ هذه الدرجاتِ وطريقَ الوُصُولِ إلى أشْرفها وأبوابَ الارْتِقاءِ فيها وهي :

إسباغُ الوُضوءِ على المكاره ، وَكثرةُ الخُطا إلى المساجد ، وانتظارُ الصَّلاةِ بعد الصَّلاة .

ومن تلك الأبواب : الجهادُ في سبيل الله ، وحفظ القرآن مع ملازمة تلاوته ، وإسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرةُ الخُطا إلى المساجد ، وَإكثارٌ من ذِكر الله ، وكلمةٌ طَيبةٌ تُرضي الله ورسوله يتكلم بها الرجل من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً ، وَصبرٌ جَميلٌ على بَلاءٍ مَكروهٍ عَظيمٍ ، وشَفاعةٌ حَسنةٌ عند ذي سُلطانٍ في دَفعِ مَكروهٍ أو مَبْلغ برٍ وَعفوٍ عمن ظلم ، وإعطاءٌ لمن حُرم ووَصلٌ لمن قُطع . وقد اختصَّ الله سبحانه وتعالى بعض الناس بدرجات مُعينةٍ لا ينالها غيرهم ولا يدركها إلاَّ من عمل بعملهم ، فهناك دَرجاتٌ مَخصوصةٌ لا ينالها إلاَّ أربابُ الهُموم والتفكيرِ في السعي على العِيال بالحلال .

وإنَّ العَبد ليرفعُ بصرهُ وهو في الجنة فَيلمعُ له بَرقٌ ، فَيتعجَّبُ النَّاظر وَيأخذهُ الفَزعُ من ذلك اللامع الذي كاد يَخطِفُ بصرَهُ ويقول : ما هذا؟ فَيُقال : هذا نورُ أخيكَ فُلان . فَيرى نُوره أعظم من نُورهِ ، ودرجته أعلى من درجته فيقول : أخي فُلان كنَّا نعملُ في الدنيا جميعاً ، فكيف قد فُضِّلَ عَليَّ هكذا؟ فيقال له : إنه كان أفضل مِنك عملاً ، ثم يُجعل في قلبه الرِّضا حتى يَرضىٰ .

وإنَّ الرجل وعبده يدخلان الجنة ، فيكون عَبدُه أرفع درجة منه فيقول : يا رب ، هذا كان عبدي في الدنيا فيقال : إنه كان أكثر ذكراً لله مِنك .

ولهذه الأُمّة بابٌ مُختصٌ يدخلونَ منه دون سائر الأمم ، يقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنَّ أبوابَ الجنة هكذا ، بَعضُها فوْقَ بعضٍ ، ثم قرأ : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧١] إذا هُم عندها بشجَرةٍ في أصلِها عينان تجرِيان فيشربون من إحداهما ، فلا تَتركُ في بطونهم قذىً ولا أذىً إلاَّ رَمتهُ ، ويغتسلونَ من الأُخرىٰ فتجري عليهم نَضرةُ النعيم ، فلا تَشعَثُ رُؤوسهم ولا تَتغيرُ أبشارهم بعد هذا أبداً . ثم قرأ ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ [الزمر : ٧٣] فَيدخلُ الرجل وهو يَعرفُ منزله ، ويتلقاهُم الوِلدَانُ فَيستبشرون برؤيتهم كما يَستبشِرُ الأَهلُ بالحميم يَقدُم من الغَيبة ، فَينطلقونَ إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعاينتهم فتَقول : أنت رأيته؟ فَتقومُ إلى الباب فَيدخلُ إلى بيته فَيتكيء إلى سَريره فينظر إلى أساس بيته ، فإذا هو قد أُسِّسَ على اللؤلؤ ، ثم يَنظرُ في أَخضر وَأحمر وَأَصفر . ثم يرفعُ رأسه إلى سَمكِ بيته ، فلولا أنه خلق له لالْتَمع بَصرهُ . فيقول : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] وفي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ۝٥٠ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾ [ص : ٥٠ـ٥١] معنىً بَديعٌ وَرائعٌ ، وهو : أنهم إذا دَخلوا الجنة لم تُغلق أبوابها عليهم ، بل تَبقى مُفتحةً كما هي .

وأمّا النارُ : فإذا دَخلها أهلها أُغلقت عليهم أبوابها ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ [الهمزة : ٨] أي مُطبقةً مُغلقةً ، ومنه سَمىٰ الباب : وصيداً ، وهي مُؤصدةٌ ﴿ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ [الهمزة : ٩] قد جُعِلت العُمد مُمسكةً للأبواب من خَلفها ، كالحَجرِ العظيم الذي يُجعل خَلف الباب . قال مُقاتل : يعني أبوابها عليهم مُطبقةٌ ، فلا يُفتح لها بابٌ ولا يخرج منها غَمٌّ ، ولا يدخل فيها روحٌ آخر الأبد .

وأيضاً ، فإن في تفتيح الأبواب له إشارةً إلى تصريفهم وذهابهم

وإيابهم ، وتبوئهم من الجنة حيثُ شَاؤوا ، وَدُخول الملائكة عليهم في كُلِّ وقتٍ بالتُّحفِ والألَطافِ ، ودخول مَايسرُّهُم عليهم في كُلِّ وقت .

وأيضاً ؛ إشارةً إلى أنها دَارُ أمنٍ لا يحتاجُونَ فيها إلى غَلق الأبواب كما كانوا يَحتاجُون إلى ذلك في الدُّنيا . قال فيه : ولما كانت درجات بعضها فوق بعض ، كانت أبوابها كذلك ، وباب الجنة العالية فوق الجنة التي تحتها ، وكلما عَلت الجنة ، اتّسعت ، فعاليها أوسعُ مما دونه ، وَسعةُ الباب بحَسبِ وُسعِ الجنة .

ولعل هذا وَجهُ الخلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب ، فإن أبوابها بَعضها أعلىٰ من بعض .

وقد تَحدّث ﷺ عن صِفة دخول أهل الجنةِ الجنةَ فقال : « والذي نفسِي بيدِه ، إنّهم إذا خرَجُوا من قُبورهم استُقبلوا بنُوقٍ بيْضٍ لَهَا أجْنِحةٌ عليها رِحَالُ الذَّهب ، شُرُكُ نِعالِهم نُورٌ يتلألأُ كُلُّ خَطْوَةٍ منها مِثْلُ مَدّ البَصرِ ، وَيَنْتَهُون إلى بابِ الجنّةِ ، فإذَا حَلْقَةٌ من يَاقُوتَةٍ حَمْراءَ على صَفَائح الذَّهَب ، وإذا شجَرَةٌ عَلى باب الجنة يَنْبَع مِنْ أصْلِها عيْنَان ، فإذا شَرِبُوا من أحَدِهما جَرَتْ في وُجُوهِهِمْ بنَضْرةِ النَّعِيم ، وإذا تَوَضَّؤوا من الأخرى لم تَشْعَثْ أشعارُهُم أبداً ، فيضرِبون الحَلْقَة بالصفيحة ـ فلو سَمِعتَ طَنينَ الحَلْقَة يا عليُّ ، فيَبْلُغ كُلَّ حَوْرَاءَ أنَّ زَوْجها قد أقْبَلَ ، فتَسْتَخِفُّها العَجَلة فتبعث قَيِّمَها ـ أي خَادِمَها والقائمَ بِأمْرِها ـ فَيَفْتَحُ لهُ البابَ ، فلولا أنّ الله عزّ وجلّ عَرَّفَهُ نفسَه ، لَخرَّ لَهُ سَاجِداً مِمَّا يَرىٰ من النُّورِ وَالبَهاءِ .

فَيَقُول : أنا قَيِّمُكَ الذي وُكِلْتُ بأمْرِك ، فَيَتْبَعهُ فَيَقْفُو أثَرَهُ ، فَيَأتِي زَوْجَته فتَسْتَخِفَّهَا العَجلَةُ ، فَتَخرُجُ مِنَ الخَيْمَةِ فَتُعَانِقُه وتَقُولُ : أنْتَ حِبّي وأنا حِبُّك ، وأنَا الرَّاضِيَةُ فلا أسْخَطُ أبَداً ، وأنا الناعِمةُ فلا أبْأسُ أبداً ، وأنا الخَالِدَةُ فلا أظْعَنُ أبداً ، فيَدْخُلُ بيتاً من أسَاسِه إلى سَقْفِهِ مائةُ ألفِ

ذراعٍ مبنيٌّ على جَنْدَل اللُؤْلُؤ والياقوت طَرائِقُ حُمْرٌ ، وطَرَائقُ خُضْرٌ ، وطرائقُ صفرٌ ، ما منها طريقةٌ تُشَاكِلُ صاحِبَتَها ، فيأتي الأريكة ـ ما يتكأ عليه من فراش وثير ـ فإذا عَلَيها سَرِيْرٌ ، على السرير سبعون فراشاً ، على كلِّ فراشٍ سبعون زوجةً ، على كلِّ زوجةٍ سَبْعُون حُلّةً ، يُرىٰ مُخُّ سَاقِهَا مِنْ باطِن الحُلَلِ ، يَقضي جِماعَهُنّ في مقدارِ لَيْلةٍ ، تَجْرِي مِنْ تحتِهم أنهارٌ مطَّرِدَةٌ ، أنْهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِنٍ ـ أي لم يتغير طعمُه وريحُه ـ صَافٍ لَيْسَ فيه كَدَرٌ ، وأنْهارٌ من عَسَلٍ مُصَفًّى لم يَخْرُج مِنْ بُطون النَّحْلِ ، وأنْهارٌ من خَمْرة لَذَّةٍ لِلشَّارِبين لم تَعْصُرْه الرِّجَال بِأقْدامِها ، وأنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتغَيَّرْ طَعْمُه لَم يَخْرُجْ من بُطُونِ المَاشِيَةِ .

فإذا اشْتَهَوا الطَّعامَ جَاءَتْهُمْ طَيْرٌ بِيْضٌ فترفَعُ أجْنِحَتَها فَيأكُلون من جُنُوبها ، من أيّ الألْوانِ شَاؤوا ، ثم تَطِيْرُ فَتَذْهَبُ . وفِيهَا ثِمارٌ مُتَدَلِّيَةٌ ، إذَا اشْتَهَوْهَا انْبعثَ الغُصْنُ إليهِمْ فَيأكلونَ مِنْ أيّ الثمارِ شَاؤوا إن شاءَ قائماً وإن شاء مُتّكئاً ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] وبَينْ أيديهم خَدَمٌ كاللُؤلؤ » .

« ويدخُل أهلُ الجَنة الجنةَ جُرْداً مُرْداً مكَحَّلين ، بَنِي ثلاثٍ وثلاثِين ، لا يَفْنَى شَبابُهم ولا تَبْلى ثِيابُهُم ، لا يبْزُقُون فيها ولا يَبولُون ، ولا يَمْتَخِطُونَ ولا يَتَغَوَّطُون ، آنيتُهم الذَّهَب ، ورَشْحُهم المِسْكُ ، وَمَجامِرهُم الألُوَّةُ » .

« أمّا أدْنَاهَم منزلةً فيها ، فرجلٌ كان مُخَلِّطاً في الدنيا ، يمر على الصراط وهو يَحبو على وَجههِ ويديه ورجليه ، تَخِرُّ يَدٌ ـ أي تسقط ـ وتُعلَّقُ يَدٌ ، وتَخِرّ رِجلٌ وتُعلَّق رِجلٌ ، وتُصِيبُ جوانِبَه النّارُ . فَلا يَزالُ كذلك حتى يَخْلُصَ ، فإذا خَلَص وَقَف عليها فقال : الحمد للهِ الذي أعْطاني ما لم يُعْطِ أحداً ، إذ نَجّاني مِنْهَا بعد إذْ رأيْتُهَا .

قال : فيُنطلقُ به إلىٰ غَدِيرٍ ـ أي نهرٍ ـ عند بابِ الجنةِ فيغْتَسل ، فيَعُودُ إليه رِيحُ أهلِ الجنة وألْوَانُهم ، فيَرى ما في الجنةِ مِنْ خَلَلِ البابِ ، فيقولُ : ربِّ أدْخِلْنِي الجنةَ ، فيقولُ له : أتسْألُ الجنة وقد نَجَّيْتُكَ من النّار؟ فيقول : رَبِّ ، اجعَلْ بينِي وبينَها حِجَاباً لا أسْمَع حَسِيسَها قال : فَيدخُل الجنّةَ ويَرى أو يُرفَع له مَنزِلٌ أمَام ذلك ، كأنَّ ما هو فيه إليه حُلْمٌ . ـ أي رُؤيا في المنام ـ فيقولُ : رَبِّ ، أعْطِني ذلك المَنزِل ، فيقولُ : لعلّك إن أَعطَيتُكَهُ تَسْأَلُ غيرَه ، فيقول : لا وَعِزّتِك ، لا أسْأَلُكَ غيْرَه ، وأيُّ مَنزِلٍ أحْسَنُ منهُ ؟ فيُعْطَاهُ فَيَنْزِلُهُ ، ويَرىٰ أمامَ ذلك مَنزِلاً كأنَّ ما هُوَ فيه إليه حُلْمٌ قال : رَبِّ ، أَعْطِني ذلك المَنْزِلَ ، فيقول الله تبارَك وتعالى له : فلعلَّكَ إنْ أَعطَيْتكَهُ تَسْأَلُ غَيْرَه؟ فيقول : لا وَعِزّتِكَ ياربّ ، وأيُّ مَنزِلٍ أحسَنُ منه ؟ فيُعْطَاه فَيَنْزِلُهُ ، ثم يَسْكُتُ .

فيقولُ الله جلّ ذِكْرهُ : مَا لَكَ لا تَسْأَلُ؟ فيقولُ : ربِّ قد سَأَلتُك حتّى استَحْيَيْتُكَ ، وأقسمتُ حتى استحييتُك ، فيقول الله جَلّ ذِكْرهُ : أَلَمْ تَرْضَ أَنْ أُعطِيَك مِثْلَ الدنيا مُنْذُ خَلَقْتُها إِلىٰ يومِ أَفْنَيْتُها وعشْرةَ أضعافه؟ فيقول : أَتهْزَأُ بي وأنتَ ربُّ العِزَّة؟ فيضحكُ الربُّ تبارك وتعالى من قوله .

قال : فرأيتُ عبد الله بن مسعود إذا بلغَ هذا المكان من هذا الحديث ، ضَحِكَ حتّى تبدُوَ أضراسُه ، قال : فيقولُ الربُّ جلّ ذِكرُه : لا ، ولٰكِنّي علىٰ ذَلك قادِرٌ ، سَلْ ، فيقولُ : أَلحِقْنِي بالنَّاسِ ، فيقولُ : اِلْحَقْ بالناس . قال : فيَنْطلِقُ يَرْمُلُ في الجَنّة حتَّى إذا دَنا من الناس ، رُفِع لَه قَصْرٌ من دُرَّةٍ ، فَيخِرُّ سَاجِداً ، فيقالُ لهُ : ارْفَعْ رأسك ، مَا لَكَ؟ فيقول : رأيتُ رَبِّي أو تَراءَىٰ لي رَبِّي ، فيُقالُ : إنما هُو مَنْزِلٌ من مَنازِلِك .

قال : ثم يلقى رجُلاً فَيَتهيَّأُ للسُّجُودِ له ، فيُقال له : مَهْ . فيقول :

رأيتُ أنَّكَ ملَكٌ مِنَ الملائكة ، فيقول : إنما أَنا خَازِنٌ من خُزَّانِك ، وعَبْدٌ من عَبيدِكَ تَحت يَدِيَّ أَلْفُ قَهْرَمانٍ على ما أنا عَليه .

قال : فيَنْطلِق أمامَه حتّى يُفتَح له القَصْرُ . قال : وهو من دُرّةٍ مُجوّفةٍ سَقائِفُها وأبْوابُها وأغلاقُها ومَفَاتِيْحُها منها ، تَسْتَقْبلهُ جَوهرةٌ خضراءُ مُبَطَّنةٌ بحَمراءَ فيها سبعون باباً ، كلُّ بابٍ يُفضي إلى جَوهرةٍ خضراءَ مُبطّنةٍ ، كلُّ جوهرةٍ تُفْضي إلى جَوهَرةٍ على غيرِ لونِ الأُخرىٰ ، في كلّ جوهرةٍ سُرُرٌ وأزواجٌ ووصائِفُ ـ أي إماءٌ ـ أدناهُنّ حَوْراءُ عَيْناءُ عليْها سبعون حُلَّةً ، يُرَىٰ مُخُّ سَاقِها من وراءِ حُلَلِها ، كَبِدُها مِرآتُهُ وكَبِدُهُ مِرْآتُها ، إذَا أعْرَضَ عنْهَا إِعراضَةً ، ازدادَتْ في عينه سبعين ضِعفاً فيقال له : أشْرِفْ فيَشْرُفُ . فيقال له : مُلْكُكَ مَسِيرةُ مِائةِ عامٍ يَنْفذُهُ بَصرُكَ .

قال : فقال عُمر : ألا تَسْمَعُ ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة مَنزِلاً ، فكيف أعْلاهم؟ قال : يا أميرَ المؤمنين ، ما لا عَينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعتْ ، إن الله جلّ ذِكرُه خَلَق دَاراً جَعَل فيها ما شَاءَ من الأزواج والثمرات والأشربَةِ ، ثم أطْبَقها فلم يَرها أحدٌ من خَلْقِه لا جبريلُ ولا غَيرُه من الملائكة ، ثم قَرأ كعبٌ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] .

قال : وخلقَ دُون ذلك جنّتَين وزيَّنَهما بما شَاءَ وأراهما مَن شاء مِن خَلقِه ، ثم قال : من كان كتابُه في عِلِّيِّينَ نَزَل في تلك الدارِ التي لم يَرها أحدٌ ، حتى إنَّ الرجُلَ من أهلِ علِّيِّين لَيَخْرُجُ فيَسيرُ في مُلْكِهِ فلا تَبقى خَيمةٌ من خِيَمِ الجنةِ إلاّ دخَلها من ضَوءِ وَجهِه ، فيَستبشِرون بريحِه فيقولون : وَاهاً ـ أي عجباً ـ لهذا الريحِ ، هذا ريحُ رجلٍ من أهل عِلِّيِّينَ قد خَرج يسيرُ في مُلكِه .

قال : وَيْحَكَ يا كعبُ ، إنّ هٰذه القلوبَ قد اسْتَرْسلَتْ ، فاقبِضْها .

فقال كعبٌ : إنّ لجهنَّم يومَ القيامة لزَفْرةً ـ أي نفساً ـ ما مِن مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسَلٍ إلاَّ خرَّ لِرُكْبَتَيْهِ ، حتى إنّ إبراهيمَ خليلَ اللهِ لَيقولُ : رَبِّ نفسِي نفسِي ، حتى لو كان لكَ عَملُ سبعين نبياً إلى عملِك ، لظننتُ أن لا تَنجُو »[1] .

وأمّا غِناءُ حُورِ العين ، فقد جَاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ أزواجَ أهلِ الجنة لَيُغَنِّيْنَ أزواجَهُن بأحسنِ أصواتٍ سَمِعها أحَدٌ قط . إنَّ مما يُغنِّيْنَ به (نحنُ الخَيراتُ الحِسان . . أزواجُ قومٍ كِرامٍ . . يُنظَرْنَ بِقُرَّةِ أعيان) . وإنّ مما يغنّين به : (نحنُ الخَالِداتُ فلا نَمُتْنَهْ . . نحن الآمِنات فلا نَخَفْنَهْ . . نحن المُقِيماتُ فلا نَظْعَنَّهْ) »[2] .

* * *

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا والطبراني والحاكم .

(٢) رواه الطبراني في « الصغير » و« الأوسط » .

سُوقُ الجَنّةِ

عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه لقيَ أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سُوق الجنة . قال سعيد : أو فِيهَا سُوق؟ قال : نعم . أخبرني رسول الله ﷺ قال : « إنَّ أهل الجنة إذا دَخلوها نزَلوا فيها بفضلِ أعمالهم ، فيُؤْذَن لهم في مِقدارِ يومِ الجمعة من أيامِ الدنيا ، فَيزُورون الله ويُبْرِزُ لهم عَرشَه ويَتبدَّىٰ لهم في رَوضةٍ من رياض الجنة . فتُوضَع لهم منابرُ من نُورٍ ، ومنابِرُ من لُؤلُؤٍ ، ومنابرُ من ياقوتٍ ، ومَنابرُ من زَبَرْجَدٍ ، ومَنَابِرُ من ذهب ، ومنابِرُ من فضةٍ ، ويَجْلِسُ أدناهم وما فيهم دنِيءٌ على كُثْبانِ المِسك والكافور ـ أي على القِطَع المجتمعة الكبيرة مثل كثيبِ الرَمل ـ ما يَروْن أنّ أصحابَ الكراسِيِّ أفضلُ منهم مجلِساً . قال أبو هريرة : قُلت : يا رسول الله ، هل نَرىٰ ربَّنا؟ قال : نعمْ ، هل تَتَمارَوْن في رُؤيةِ الشمسِ والقمر ليلةَ البدرِ؟ قلنا : لا ، قال : كذلك لا تَتمارون في رُؤيةِ ربكم عزّ وجلّ ، ولا يَبقى في ذلك المجلس أحَدٌ إلاَّ حَاضَرهُ الله ـ كَلّمهُ ـ محاضَرةً . حتى إنّه ليقول للرجل منكم : ألا تَذكرُ يا فلان يومَ عملتَ كذا وكذا؟ يُذَكِّرُه بعضَ غَدراتِه في الدنيا ـ أي هفواتِه وعصيانِه ـ فيقول : يا ربِّ ، أفلم تغفر لي؟ فيقولُ : بلى ، فبِسَعَةِ مغفرتي بَلَغتَ منزلتَك هٰذه . فبينما هم كذلك ، غشِيَتْهم سَحابةٌ من فَوقهم فأمطَرتْ عليهم طِيباً لم يجدوا مثلَ ريحِهِ شيْئاً

قطّ ، ثم يقولُ ربُّنا تباركَ وتعالى : قُومُوا إلى ما أعدَدتُ لكم من الكَرامةِ ، فخذُوا ما اشتَهيتُمْ قال : فنأتي سُوقاً قد حَفَّت به الملائكةُ ، فيه ما لم تَنظُر العُيونُ إلى مِثله ، ولم تَسمعِ الآذانُ ، ولم يَخْطُرْ على القلوب قال : فَيُحْمَلُ لنا ما اشتَهَيْنا ليس يُباع فيه شيءٌ ولا يُشتَرىٰ ، وفي ذلك السُوقِ يَلقَىٰ أهلُ الجنَّةِ بَعضُهم بعضاً قال : فيُقْبِل الرَّجلُ ذو المنزلةِ المُرتفعةِ فيَلقَى مَن دُونَه وما فيهم دَنيءٌ فيرُوعُه ـ أي يُزْعِجه ـ ما يَرىٰ عليه من اللباسِ ، فما يَنقضي آخِر حَديثِه حتى يَتمثَّل عليه أَحسنُ منه ، وذلك أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يَحزَنَ فيها .

قال : ثم نَنْصرِفُ إلى مَنازِلنا ، فتتلَقَّانا أزواجُنا فيقُلْن : مرحباً وأهلاً لقدْ جِئتَ ، وإنّ بك من الجَمالِ والطيبِ ، أفضلَ مما فَارقتَنا عليه . فيقولُ : إنَّا جَالَسنَا اليوم ربَّنا الجبارَ عزّ وجلّ ، وبحقنا أن نَنْقلِب بمثل ما انقلَبنا »[1] .

ومن نَعيم الجنة : أنهم يتزاورون على المَطايا والنُّجُب ـ أي الجمال الطِّوالُ الأعناق ـ وإنهم يُؤتون في الجنة بِخيل مُسْرَجةٍ مُلجمةٍ لا تَروثُ ولا تَبُول ، فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله عزّ وجلّ .

وَرُويَ عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ فيشتَاق الإخوانُ بَعضُهم إلى بعضٍ ، فيَسير سَريرُ هٰذا إلى سَريرِ هٰذا ، وسَريرُ هٰذا إلى سريرِ هٰذا ، حتى يجتمعا جميعاً ، فيتّكىءُ هٰذا ويتكىءُ هذا ، فيقول أحَدُهما لصاحِبه : أتَعلمُ متى غفَر الله لنا؟ فيقولُ صاحِبُه : نعمْ ، يومَ كُنّا في موضع كذا وكذا ، فدَعَونا اللهَ فَغَفر لنا »[2] .

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا والبزار .

وعن عبد الرحمن بن ساعدة رضي الله عنه قال : كنتُ أحبُّ الخَيلَ ، فقلتُ : يا رسول الله ، هل في الجنةِ خيلٌ ، فقال : « إنْ أدْخَلك الله الجنةَ يا عبدَ الرحمن ، كان لك فيها فَرسٌ من ياقوتٍ له جنَاحان تَطِيرُ بك حيث شِئتَ »[1] .

* * *

---

(١) رواه الطبراني ورواته ثقات .

رُؤيةُ رَبِّ العَالمين

ومن نَعيم أهل الجنة : أنهم يَتشرّفُونَ بزيارة الحق سبحانه وتعالى ، يأتيهم مَلكٌ فَينادِيهم ويقول : إنَّ الله يأمُركم أن تزُوروهُ ، فيَجتمعون . فَيأمرُ الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام ، فيَرفع صوتَه بالتسبيحِ والتهليلِ ، ثم تُوضع مَائِدةُ الخُلدِ .

قالُوا : يا رسولَ الله ، وما مائِدةُ الخُلدِ؟ قال : « زاوِيةٌ من زوَاياها أوسَعُ مِمّا بين المَشرِق والمَغرِب ، فيُطْعَمُون ثم يُسقَون ثم يُكسَون ، فيقولُون : لم يَبقَ إلاّ النّظرُ في وجهِ ربّنا عزَّ وجلّ ، فَيتجلّىٰ لَهُم فَيَخِرُّون سُجّداً ، فقال : لَستُمْ في دارِ عملٍ ، إنّما أنتُم في دارِ جَزاءٍ »[1] .

« فلما تَجلّىٰ لهم الحق تعالى في عَظمتِه العظيمة ـ تَحيَّتُهم فيها السلام ـ قالوا : ربّنا أنت السلام ومنك السلام ، ولك حقُّ الجَلالِ والإِكرامِ . فقال لهم ربُّهم : إني أنا السلامُ ومِنّي السلام ولي حقُّ الجَلال والإِكرام ، فمرحباً بعبادي الذين حَفِظوا وَصِيَّتي ورَعَواْ عَهْدِي وخافُونِي بالغَيب ، وكانُوا منّي على كُلِّ حالٍ مُشْفِقين .

قالوا : أمَا وَعزّتِك وجلالِك وعلوّ مكانِك ، ما قَدَرْناك حقّ قدرِك ، ولا أدّينا إليك كُلَّ حقِّك . فَأْذَنْ لنا بالسُجود لك؟ فقال لهم ربُّهم تبارك

(١) رواه أبو نُعيم في « صفة الجنة » .

وتعالى : إنِّي قد وضعتُ عنكم مُؤنةَ العبادةِ ، وأرحتُ لكم أبدانكم فطالَما أنصبتُم - أتعبتم - الأبدانَ وأعنَيْتم الوجُوهَ ، فالآن أفضَيتُم إلى رَوْحي ورَحمتي وكرَامتِي ، فسَلُوني ما شئتُم وتَمنَّوا عَلَيَّ أُعْطِكُمْ أمانِيَكم . فإني لن أجزِيَكم اليومَ بقدرِ أعمالِكم ، ولكنْ بقَدرِ رَحمتِي وكرامتِي وَطَوْلي وَجَلالي وعُلوِّ مكاني وعظمةِ شأني . فما يَزالون في الأَمانِي والمواهب والعَطايا ، حتى إنّ المُقصِّرَ منهم ليتمنَّى مثلَ جميعِ الدنيا منذُ يومَ خَلَقها الله عز وجل إلى يوم أفْناها .

قال رَبُّهم : لقد قَصَّرتُم في أمانِيكم ورضِيتُم بدُون ما يَحِقّ لكم ، فقدْ أَوجبتُ لكم ما سألتُم وتَمنَّيْتُم وزدتُكم على ما قصُرتْ عنه أمانِيكم ، فانظُروا إلى مَواهِب رَبِّكُمْ الذي وهَبَ لكم . فإذا بِقِبابٍ في الرَّفيعِ الأعلىٰ ، وغُرَفٍ مَبنيّةٍ من الدُرِّ والمَرجان أبوابها من ذهبٍ وسُررُها من ياقُوتٍ ، وفُرشُها من سُندُسٍ وإسْتَبْرَقٍ ، ومَنابِرُها من نورٍ . يَثُور - ينتشر - من أبوابها وأعراضِها نورٌ كشُعاعِ الشمس مثلُ الكوكب الدُّرِّيِّ في النَّهار المُضيء . وإذا قُصورٌ شامِخةٌ في أعلىٰ عِلِّيِّيْنَ من الياقُوتِ يَزْهَرُ نُورُها ، فلولا أنّه سُخِّرَ لالْتَمَعَ الأبصارَ . فما كان من تلك القُصور من الياقوتِ الأبيَضِ فهو مفروشٌ بالحريرِ الأبيضِ ، وما كانَ منها مِنَ اليَاقُوتِ الأَحْمَرِ فهو مفروشٌ بالعَبْقَرِيِّ الأَحمَرِ ، وما كان منها من الياقوتِ الأخضرِ فهو مَفروشٌ بالسُّندُسِ الأخضر ، وما كان منها من الياقوتِ الأصفَر فهو مَفروش بالأرْجُوان الأصفَر مُمَوَّهٌ بالزُّمُرُّدِ الأخضر والذهب الأحمَرِ والفِضّةِ البَيْضَاءِ . قواعِدُها وأركانُها من الياقوت وشرُفُها - أي أعاليها - قِبابُ اللؤلؤ ، وبُروجُها غُرَفُ المرجان - أي أماكنها ومأوَاها - فلما انصرَفُوا إلى ما أعطاهم ربُّهم ، قُرِّبَتْ لهم بَراذِينُ - خيلٌ مطهمةٌ - من الياقوتِ الأبيضِ منفوخٌ فيها الرُّوح ، يَجنُبُهَا - يقودُها - الوِلْدان المخَلّدُون وبيدِ كل وَليدٍ منهم حَكَمَةُ بِرذَوْنٍ ، وَلُجُمُهَا وأعِنَّتُها من فضةٍ بيضاءَ مُتَطَوَّقَةٍ - أي

مُحاطة ـ بالدُّرِّ والياقوتِ ، وسُرُجُها سُررٌ مَوضونةٌ مفروشةٌ بالسُّندُس والإِستَبْرَقِ . فانطلَقتْ بهم تلك البَراذِين تزُفُّ بهم وتَنظرُ رياضَ الجنّة ، فلما انتَهوا إلى منازِلهم ، وجَدُوا فيها جَميعَ ما تَطوَّلَ به ـ أي تَفضَل به ـ ربُّهم عليهم مما سألُوه وتمنَّوا ، وإذا على بابِ كُلِّ قصرٍ من تلك القُصور أربعُ جِنانٍ ، جَنّتَان ذَواتا أفنانٍ ، وجنَّتان مُدهامّتَان ـ أي خضراوان ـ وفيهما عينان نَضّاخَتان ـ فوّارتان ـ وفيهما من كُلِّ فاكهةٍ زَوجانِ ـ صِنفانِ ـ وحُورٌ مَقصورَاتٌ في الخِيامِ . فلما تَبوّءوا منازلَهم واستَقرّ بهم قَرارُهم ، قال لهم ربُّهم : هَل وجدْتُم ما وَعَدكم ربُّكم حقّاً؟ قالُوا : نعمْ . رَضينا فَارْضَ عَنّا قال : برِضَايَ عنكم حلَلْتُم دارِي ونَظَرتم إلى وَجهِي وصافَحتْكُم ملائكتِي ، فهنِيئاً هنِيئاً عَطاءً غير مَجذُوذٍ ، ليس فيهِ تَنغيصٌ ولا تَصريدٌ .

فعند ذلك قالُوا : الحمد لله الذي أذهَب عنّا الحَزنَ وأحَلّنا دارَ المُقامَة من فَضله ، لا يَمسُّنا فيها نَصَبٌ ـ أي تعبٌ ـ ولا يَمسُّنا فيها لُغوبٌ ـ ملَل ـ إن ربَّنا لَغفورٌ شكُورٌ »(١) .

ومن نَعيم أهل الجنة : أنهم يَتشرّفُونَ بالنظر إلى المولى جَلّ شأنه ، قال رسول الله ﷺ : « إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ، يقولُ الله عزّ وجل : تُريدون شيئاً أَزِيدُكُم؟ فيقولُون : ألم تُبَيِّضْ وجُوهَنا ، ألَمْ تُدخِلْنا الجنّةَ ، وتُنَجِّنَا من النار؟ قال : فيُكشَفُ الحِجابُ ، فما أُعطُوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربِّهم ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾(٢) [يونس : ٢٦] .

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم .
(٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي .

وقد قال العلماء : إن الحُسنى هي الجنة ، والزيادة هي : النظر إلى الحقّ سبحانه وتعالى .

فنسأل الله تعالى أن يختم لنا بخاتمة السعادة ، ويجعلنا من أهل الحسنى والزيادة .

انتهى بحمد الله ما تيسّر لنا من الجمعِ في هذا الموضوع ، ولم نَلتزم فيه بالأحاديث الصحيحة ، بل إننا تَوسعنَا فيه بالنقل اعتماداً على قَبول الضعيف في فضائل الأعمال ، وقد نصَّ على ذلك الإمام النووي في « التقريب » ، والعراقي في شرحه على « ألفيته » ، وابن حجر العسقلاني في « شرح النخبة » ، والشيخ زكريا الأنصاري في « شرح ألفية العراقي » ، والحافظ السيوطي في « التدريب » ، وابن حجر المكّي في « شرحه على الأربعين » . وللعلامة اللكنوي رسالةٌ تُسمىٰ : « الأجوبة الفاضلة » له فيها بحثٌ مُستفيضٌ في ذلك ، ولسيدي الإمام الوالد السيد علوي المالكي رحمه الله رسالةٌ خَاصةٌ في أحكام الحديث الضعيف ، وعلى هذه القَاعِدة جرينا في كتابنا هذا .

نَفع الله تعالى به وجعله خالصاً لوجهه الكريم .

وصلّىٰ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

كتبه

السيد محمد بن السيد علوي المالكي الحسني

خادم العلم الشريف بالبلد الحرام

محتويات الكتاب

* * *

ردمك: ٨ ـ ٠٣٧ ـ ٢٨ ـ ٩٩٦٠